محمد بن رجب الجندوبي

أحاديث الكافرين

قراءات نقدية في القرآن والسيرة



لوحة الغلاف اوسكار تي

تونس 2021

أحــاديث الكـــافــرين

أحاديث الكافرين : قراءات نقدية في القرآن والسيرة

تأليف :محمد بن رجب الجندوبي

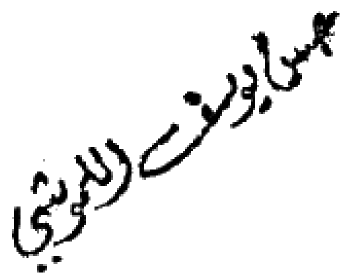
مراجعة لغوية : د.مراد الضويوي

الإيداع القانوني :فيفري 2021

ر.د.م.ك:978-9973-28-593-5

الطبعة الأولى 2021

السعر: 15د.ت.- 9€



محمد بن رجب الجندوبي

أحاديث الكافرين

قراءات نقدية في القرآن والسيرة

الإهداء

لأجلك...

فرخندة ملكيزادة

2015/03/15

ستظل ذكراك شعلة تتقد في قلبي ...

يقول القصيمي :

الذين يخافون على ايمانهم من الكلام قومٌ لا يثقون في ايمانهم ،فالضعفاء والمتخلفون لا يريدون أن يسمعوا غير المديح والتدليل لأنهم يخافون النقد، يخافون النقد لأنهم يخافون التغيير لأنه تعب ومعاناة وخطر. فالذي يقول: أنا كامل ومنزه كأنما يقول: أنا لا أريد أن أتغير لأن التغير ارهاق وخوف. والذي يقول: أنا ناقص كالذي يعترف بأنه في حاجة إلى مزايا أكبر، وأنه شجاع وقوي لا يهاب ولا يحاول ويجرب أن يكون! إرادة النقد مرتبطة بإرادة التغيير، والخوف من التغيير ليس فكرة بل عجز. فالذين يرفضون أن ينقدوا انفسهم أويتغيروا ليسوا فضلاء وإنما هم عاجزون.

عبدالله القصيمي-العالم ليس عاقلا-

مقدمة الكاتب

الإسلام ليس بريئا...

الإسلام هو المتهم الأول في كل عملية إرهابية. نعم ليس كل المسلمين إرهابيين، لكن للأسف كل الإرهابيين مسلمون وكل مسلم هو مشروع إرهابي قد ينفجر في أي لحظة والسبب في ذلك يعود للموروث الديني المتراكم منذ قرون في القرآن والسنّة وصولاً إلى كتب التفاسير والفقهاء.

يسود في أوساط المسلمين خطاب مفاده أنّ الإسلام بريء من كل ما يلصق به من تهم، ويصرّون على أن هذه الشبهات مجرد تلفيق وأحاديث مغرضة مصدرها حسب اعتقادهم الكفّار الحاقدين على الإسلام والّذين استغلوا موجة الإسلاموفوبيا المنتشرة في الغرب بعد الأحداث الإرهابية التي كانت عديد من البلدان الغربية مسرحا لها، وأرادوا توجيه الرأي العام العالمي ضد الإسلام بتشويهه ومضمون هذا الخطاب هو أن الإسلام دين "وسطي متسامح" يتضمن كل القيم الإنسانية ويحفظ حقوق الإنسان بل ويتجاوز القوانين الدولية في ذلك، وأن الذين يشوهون الإسلام للنيل منه هم أشخاص مرضى ليس لهم إلمام بالإسلام وتعاليمه النبيلة، وإنما وقعوا ضحية شيوخ وفقهاء ضلو وأضلوا ويصر كثير من منظري الإسلام الليبرالي على أن الإسلام لا يمثل عائقا أمام التقدم كما أنهم يتوافقون مع التيارات الإسلامية الأخرى في كون الإسلام هو الحل وأن المشكل في المسلمين الذين لم يفهموا الإسلام. أي أن المسلمين لم يفهموا ما أراد الله أن يقوله لهم...! فهل أن خطاب الله لم يكن مفهوما إلى الحد الذي عجز فيه المسلمون عن فهمه منذ قرون رغم كثرة الكتب التى تحاول تفسير كلامه الغامض من خلال القرآن؟ وهنا اتهام غير مباشر للإله بالنقص والعجز عن توضيح رسالته التي أرادها أن تكون حلاً للبشرية.

وإن كان المشكل في المسلمين وليس في الإسلام ذاته، فهل المقصود هم فقط مسلمي اليوم أو المسلمين المنتمين إلى الفترة الأولى من الإسلام؟ لأن اللحظات التي تصور على أنها "عصر ذهبي" للإسلام وهي مرحلة النبوة والخلفاء الراشدين كانت أيضا مرحلة

حروب فظيعة واقتتال شنيع وأحداث مهولة ولم تكن مرحلة سلم وحضارة وإزدهار. بل إن الحضارة لم تبدأ إلا خلال القرن الثاني الهجري بعد ثورة الترجمة حينما تمّ نقل العرب التراث الإغريقي واللاتيني والسرياني إلى العربية وتمّ هضمه بالتدريج. كذلك ساهم التفاعل مع الحضارات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية في بروز الحضارة العربية الإسلامية و ريادتها في فترات معينة .

يحاول منظرو التيار الإسلامي الليبرالي الدفاع عن الإسلام باستحضار بعض الآيات والأحاديث ذات المضامين الأخلاقية والإيجابية، وفي الآن ذاته يتناسون أن بعض المسلمين يرتكبون الجرائم والأخطاء الشنيعة بناءً على تشريعات نصوص أخرى هي أيضا من القرآن والسنة، مما يطرح مشكل التعارض الصريح الموجود بين آيات النص المؤسس للإسلام، ما يطرح إرتباك في استعمالها، وهي تناقضات، إن كان المسلمون يبتلعونها صامتين باللجوء إلى ألاعيب "الناسخ" و"المنسوخ"و"الضعيف" و"الصحيح" فإن بقية العالم لا يمكن لهم القبول بالتناقضات التي لا يستسيغها العقل السليم. ذلك أن القرآن إن كان يضم نصوصا منسوخة ومتجاوزة منذ 1400 سنة باعتراف الفقهاء أنفسهم فلماذا ظلّت هذه النصوص موجودة ضمن الكتاب تحفظ وتروى وتشرح حتى الآن؟

ألا يعني هذا في العمق أنها ليست "منسوخة" وأن أحكامها باقية وأن من حق بعض المسلمين اعتبارها مرجعية لهم واعتمادها في سلوكاتهم؟ ما هو الموقف الواضح والصريح من النصوص التي تستعمل في الإرهاب وإيذاء الناس والإضرار بمصالحهم؟ ولماذا يطالعك المسلم بالآيات الإيجابية ويخفي غيرها عندما يكون في وضعية دفاع، ثم يفاجئك بعد ذلك بنصوص إرهابية المحتوى بمجرد أن يصبح في حالة قوة؟

يصر المسلمون على أن دينهم لا يحوي أي تناقض وأنه كامل منزه عن النقصان، هم واثقون من أن دينهم أفضل الأديان وأصحّها على الإطلاق، ويعتبرون ديانات غيرهم خرافية ومنحرفة ولا عقلانية، فهم يقدسون الأنبياء الذين ذكرهم القرآن بتمجيد وتشريف ويؤمنون بمعجزاتهم الخارقة للطبيعة، ولكنهم يقفون موقف الكره والنفور من الأقوام التي اتبعت ديانات هؤلاء الأنبياء، باعتبارهم منحرفين عن هدي أنبيائهم الذي أصبح يتجسد في الإسلام، الدين الذي ظل وحده وفيا لمبدإ التّوحيد الصّحيح

من عهد إبراهيم، وهم يتشبثون بهذه المواقف العدائية من منطلق قرآني حيث يعتبرون أن ذلك ما جاء به القرآن ولا يمكن تكذيبه، هل يمكن لقوم هذا اعتقادهم أن يكونوا في سلام مع العالم؟

هذه بعض ملامح المعضلة التي يعيشها المسلمون ويلحّون على البقاء فيهامع سبق الإصرار، ولا نرى من حلّ لها إلا أن تتوفر لهم الشجاعة التي توفرت لغيرهم في النقد الذاتي الذي ينبغي أن يمرّ عبر اعترافين اثنين لا مناص منهما:

1) اعتراف المسلمين بأنهم متخلفون، وأن غيرهم من الأقوام المتقدمة تعيش حياة أفضل على شتى الأصعدة.
2) الاعتراف بأن المشكل ليس في المسلمين فقط بل يكمن في صميم الدين الإسلامي وبين ثنايا نصوصه، لذلك وجب مراجعة النصوص الدينية بدآية من القرآن والسنة وحذف كل ما لا يتماشى مع منظومة حقوق الإنسان ومع المنطق.

ولا يبدو أن لدى المسلمين القدرة والشجاعة للقيام بهذه الخطوة في الوقت الراهن. ورغم أن هناك قراءات جديدة للإسلام يقدمها بعض الفقهاء المجتهدين والمفكرين الإسلاميين المتنورين فهي لا تكفي لعلاج الهوة بين الإسلام والعصر. هذه القراءات ليست سوى اجترار لأفكار ماضوية غير منبثقة من الحاضر وتبذير للطاقات بل وتبعدنا عن أصل المشكل وهو النص المقدس المؤسس للإسلام من قرآن و سنة.زد على ذلك أن هؤلاء المصلحين يتعرضون لوابل من الشتائم والتعنيف الشرس من أجل إرجاعهم إلى ما وراء الخطوط الحمراء التي رسمها العقل السلفي وحلفاؤه في السلطة.

في القانون هناك قاعدة عامة تقول، المتهم بريء حتى تثبت إدانته ونحن من خلال هذا الكتاب سنحاول إثبات إدانة الإسلام كونه المتهم الأول والسبب الرئيسي في تخلف المسلمين عن الحضارة والطابع الدموي الذي يميّزه منذ بدآية الدعوة المحمدية ودليل إدانتنا هو القرآن والسنة كمرجعين أساسيين للإسلام ثم كتب التفسير وكتب التراث الإسلامي.

هذا الكتاب ليس مجرد "أحاديث كافرين" أو حاقدين على الإسلام. هذا الكتاب هو دعوة للمراجعة المنطقية والإنسانية للموروث الديني، فهو ذو وظيفة اصلاحية وخطوة من أجل النهضة.

إلى الأمس القريب جيل آبائي لم يكن يجرؤ على مناقشة ماهية الإسلام أو التّشكيك فيه ونقد تعاليمه ونصوصه الإلهية وخاصة النص القرآني، ولكن جيلي يستطيع وبحرية كبيرة وبمخاوف أقل نقد التعارض الصريح بين العقل و النص المقدس. نعم يجب أن تتم مراجعة النّص القرآني وحذف كل ماهو غير صالح فيه، وإلا فإن محاكمة النص القرآني كمتهم أول بالإرهاب والتخلف ستبقى قائمة حتى ينقرض الإسلام فالعالم لن يقبل بشريعة تبشر بدماره.

الباب الأول

دراسات نقدية في السيرة النبوية

حول زوجات الرسول محمد

1-في زواج محمد من الطفلة عائشة

تروي كتب الحديث والسيرة المحمدية أن محمد رسول الإسلام قد تزوج من عائشة وهي في سن السادسة بينما هو في سن الواحدة والخمسين. وبالنسبة إلى أهل السنة والجماعة فهذا أمر محقق ثابت لا نقاش فيه والتّشكيك يعني الكفر بالإسلام وهنا سوف ننقل نص فتوى نشرها موقع الإسلام سؤال[1]: عنوان الفتوى (الرد على زواج النبي (ص) من عائشة ولها 18 سنة) أي أن الفتوى هنا للرد على المسلمين الذين ينكرون روآية الزواج من عائشة وهي طفلة ويدّعون أن عمرها كان 18 سنة.

السؤال:

قرأت بإحدى الصحف مقالاً بعنوان"صحفي شاب يصحح للأئمة الأعلام خطأ ألف عام" ويتلخص ما ورد بالمقال في النقاط الآتية:

1. قضية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تزوج بأم المؤمنين عائشة في سن السادسة وبني بها في سن التاسعة بناءً على ما جاء في البخاري هوخطأ والخطأ في تحديد عمر السيدة عائشة رضي الله عنها آنذاك.

2. أنه من خلال بحث المصادر التاريخية (بحسب قول كاتب المقال) تبين أن العمر الحقيقي للسيدة عائشة رضي الله عنها حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان 18 سنة وليس 9 سنين.

3. وأن هذا الخطأ قد فات على جميع علماء الأمة ولم يكتشفه إلا هذا الصحفي. أرجو من فضيلتكم توضيح هذا الأمر لعامة المسلمين وتقديم الرد الشرعي في هذا الشأن...

---

[1] نص الفتوى عدد 122534 عبر موقع الإسلام سؤال وجواب تاريخ النشر: 28-04-2009

ننظر الأن في الرد الشرعي من القائمين على الموقع والمستمد من فتاوى العلماء المسلمين:

نص الجواب

الحمد لله

أولاً:

جاءت الأحاديث الصحيحة بأن النبي صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، ومن ذلك:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: **(تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوُعِكْتُ (أي: أصابتها حمى)... فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ وَمَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفَتْنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لَأُنْهِجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ. فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحًى فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ) رواه البخاري (3894) ومسلم(1422).**

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: **(كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ(أي:يتخفين) مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي) رواه البخاري (7130) ومسلم (2440).**

وروى أبو داود (4932) عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: **(قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوخَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ فَقَالَ :مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ ؟ قَالَتْ: بَنَاتِي. وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ فَقَالَ:**

مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟ قَالَتْ: فَرَسٌ قَالَ: وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟ قَالَتْ: جَنَاحَانِ. قَالَ: فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟ قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ) وصححه الألباني في"آداب الزفاف"(ص203).

قال الحافظ:

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَإِنَّمَا أَرْخَصَ لِعَائِشَة فِيهَا (أي: اللعب) لِأَنَّهَا إِذْ ذَاكَ كَانَتْ غَيْر بَالِغ. قُلْت: وَفِي الْجَزْم بِهِ نَظَرٌلَكِنَّهُ مُحْتَمَل; لِأَنَّ عَائِشَة كَانَتْ فِي غَزْوَة خَيْبَر بِنْت أَرْبَع عَشْرَة سَنَة إِمَّا أَكْمَلَتْهَا أَوجَاوَزَتْهَا أوقَارَبَتْهَا. وَأَمَّا فِي غَزْوَة تَبُوك فَكَانَتْ قَدْ بَلَغَتْ قَطْعًا فَيَتَرَجَّح رِوَآية مَنْ قَالَ فِي خَيْبَر" انتهى، وخيبر كانت سنة سبع.

وروى مسلم(1422) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنه(أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ، وَزُفَّتْ إِلَيْهِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ، وَلُعَبُهَا مَعَهَا، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانَ عَشْرَةَ).

قال النووي:

"الْمُرَاد هَذِهِ اللُّعَب الْمُسَمَّاة بِالْبَنَاتِ (العرائس) الَّتِي تَلْعَب بِهَا الْجَوَارِي الصِّغَار، وَمَعْنَاهُ التَّنْبِيه عَلَى صِغَر سِنّهَا" انتهى.

وفي هذه الرواية قالت: (وأنا بنت سبع سنين) وفي أكثر الروايات: (بنت ست) والجمع بينهما: أنها كان لها ست وكسر، فمرة اقتصرت على السنين، ومرة عَدَّت السنة التي دخلت فيها. أفاده النووي في شرح مسلم.

وقد نقل ابن كثير رحمه الله أن هذا أمر متفق عليه بين العلماء، ولم يُذكر عن أحد منهم خلافه، فقال رحمه الله:

"قوله: (تزوجها وهي ابنة ست سنين، وبنى بها وهي ابنة تسع) مما لا خلاف فيه بين الناس -وقد ثبت في الصحاح وغيرها- وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة" انتهى من "البداية والنهاية"(3/ 16).

ومن المعلوم أن الإجماع معصوم من الخطأ، فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة، فقد روى الترمذي(2167) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ) وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (1848).

ثانيا:

كاتب المقال المذكور أوقعه جهله وتعصبه لقوله الباطل في كثير من الكذب والتدليس، يريد بذلك أن ينصر باطله.

فمن ذلك مثلا: ما ذكره عن ابن كثير في البدآية والنهآية أنه قال عن الذين سبقوا بإسلامهم: **"ومن النساء: أسماء بنت أبي بكر وعائشة وهي صغيرة فكان إسلام هؤلاء في ثلاث سنين"**

ولم نقف على هذا الكلام في "البدآية والنهآية"، وإنما قال ابن كثير(25/3): "فكان أول من بادر إلى من الرجال الأحرار: أبو بكر الصديق. ومن الغلمان: علي بن أبي طالب. ومن النساء: خديجة بنت خويلد" انتهى. ولم يذكر أسماء ولا عائشة رضي الله عنهما.

وعائشة رضي الله عنها إنما ولدت بعد النبوة بنحو أربع سنين.

ومن ذلك أيضاً قوله:

"وكما ذكرت جميع المصادر بلا اختلاف أنها- يعني أسماء- أكبر من عائشة ب10 سنوات".

والأمر ليس كذلك، فقد ذكر الذهبي في"سير أعلام النبلاء" (522/3): "أن أسماء كانت أسن من عائشة ببضع عشر سنة" انتهى.

والبضع في العدد ما بين ثلاثة والعشر.

ثالثا:

ليس في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها وهي تسع سنوات شيء يستنكر، فمن المعلوم أن سن بلوغ المرأة يختلف حسب العرق وحسب المناخ، ففي المناطق الحارة تبلغ الجارية مبكرا، بينما في المناطق القطبية الباردة قد يتأخر البلوغ حتى سن 21 سنة.

قال الترمذي: قالت عائشة: إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة.

"سنن الترمذي" (409/2).

وقال الإمام الشافعي:"رأيت باليمن بنات تسع يحضن كثيرا".

"سير أعلام النبلاء" (10/ 91).

وروى البيهقي (1588) عَنِ الشَّافِعِيِّ قَالَ:" أَعْجَلُ مَنْ سَمِعْتُ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ يَحِضْنَ نِسَاءٌ بِتِهَامَةَ يَحِضْنَ لِتِسْعِ سِنِينَ".

وقَالَ الشَّافِعِيُّ أيضا:" رَأَيْتُ بِصَنْعَاءَ جَدَّةً بِنْتَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً، حَاضَتْ ابْنَةَ تِسْعٍ وَوَلَدَتْ ابْنَةَ عَشْرٍ، وَحَاضَتِ الْبِنْتُ ابْنَةَ تِسْعٍ وَوَلَدَتْ ابْنَةَ عَشْرٍ".

"السنن الكبرى للبيهقي" (1/ 319).

فعلى هذا، فقد دخل الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها وهي بالغة أوقد قاربت البلوغ.

ولمزيد الفائدة راجع السؤال رقم (44990)

والواجب على من يتكلم في علم من العلوم أن يكون كلامه بعلم وإنصاف، بعيداً عن الجهل والتعصب واتباع الهوى.

وحسب امرئ من الشر أن يخترع قولا لم يقل به أحد من العلماء على مدار مئات السنين، وهذا دليل على خطأ هذا القول، فقد **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فكل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم فإنه يكون خطأ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام".**

"مجموع الفتاوى" (291/21).

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

انتهى الشاهد.

وهنا فصلت لجنة الفتوى في القصة أي أن محمدًا تزوج من عائشة وهي طفلة بالكاد تبلغ 6 سنوات ثم انتقلت اللّجنة من باب التأكيد على سن الزوجين الى باب التبرير بأسلوب ساذج لا يقبله عاقل.

نأتي الأن الى تفسير أحاديث عائشة التي تقول فيها أنها كانت تلعب بالدّمى قبل أن يخطف محمد طفولتها ويأخذها الى بيت الزوجية. جيث قالت أنه وبعد زوجها كانت تلعب مع صويحبتها بالدمى والفرس وعندما يدخل محمد كانت الفتيات يهربن ويتخفين كي لا ينظر إليهن بعين الشهوة وقد يخطر بباله نكاح إحداهن.

وهنا سوف نبحث في دراسة سيكولوجية في زواج محمدٍ من الطفلة عائشة وقد نشر الكاتب جريس سالم بقاعين بحثا مفصلاً في هذه القضية [2] وكان تركيزه حول النزوع الي المعاشرة الجنسية للاطفال، من هم دون سن البلوغ سواء كانوا من الإناث أو الذكور، هو شكل من اشكال الاضطرابات النفسية حسب عالم النفس النمساوي "ريتشارد فريهير فون كرافت"[3] الذي تعرّف علي هذا المرض النفسي وصاغ فيه مصطلح علمي كشفرة لهذا النوع من الإضطراب النفسي، وهو مركب من كلمتين اغريقيتين قديمتين تعنيان معاشرة أو صداقة الأطفال.

وسلوك محمد تجاه عائشة إبنة أبي بكر بن أبي قحافة الملقب بالصدّيق وتعلقه الشديد بها كان سلوكا غير مقبول وفق العرف. والمعروف أن عائشة لم تغادر سن الطفولة إلا عند وفاة محمد. فعند موته كانت قد بلغت بالكاد سن الثامنة عشرة حسب ما يؤكده الفقهاء. ولعل هذا يفسر لنا سر تعلقه الشبقي بهذه الطفلة وتفضيله لها على جميع نسائه وإمائه وأيضا على النساء الأحرار اللاتي إرتبط بهن تحت بند النساء اللاتي وهبن أنفسهن للرسول. وهذا سنتناوله في باب أخر من بحثنا.

نجد انعكاسا لسلوك الرسول محمد مع عائشة في النصوص القرآنية وتحديدا في الآيات التي يصف فيها الرسول بخيال واسع الجنة الموعودة. المنحصرة متعها في لذائذ حسية كالفواكه ولحوم الطير وأنهار من العسل والخمور وكل ما تشتهي

---

[2] جريس سالم بقاعين دراسة نشرها موقع الحوار المتمدن سنة 2011

[3] السيكلوجية الجنسية 1866 لعالم النفس النمساوي ريتشارد فريهير فون كرفت

الأنفس.ويشكل الإغراء الجنسي قمة المتع في تلك الجنة التي يعد بها إله محمد من يسلمون بنبوته.

وإلى جانب حور العين الكواعب الأتراب اللآتي تعود إليهن بكارتهن كلما فضت، نجد الولدان المخلدون حسب تسميتهم في سورتي الواقعة و الإنسان والغلمان وحسب تسميتهم في سورة الطور وتصفهم تلك الآيات وصفا جنسي لا تخطئه العين حيث أنهم من الجمال كاللؤلؤ المنثور واللؤلؤ المكنون ولا يتخطون العمر الذي هم فيه. ويضيف المفسرون كابن كثير أنهم يلبسون الحرير ومخرّصون أي أن آذانهم تزينها الأقرط ورغم أن هذه الأوصاف التي جاءت عن الولدان المخلدين تكفينا للتدليل على النزعة الجنسية غير السوية في القرآن إلا أنه من المفيد هنا أن نشير إلي ما قاله الكاتب المصري الإسلامي الراحل "محمد جلال كشك"[4] بأن غلمان الجنة كما يسميهم هم للإستمتاع الجنسي لمن عفّ وتطهّر في الدنيا. وتجدر الإشارة إلي أن السلطات المصرية كانت قد صادرت الكتاب وقت صدوره في النصف الأول من ثمانينات القرن الماضي إلا أن لجنة مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر أفتت بعدم تعارض حيثيات الكتاب مع الدين الإسلامي (لا نصًا ولا تأويلاً) وانتصر القضاء المصري للكاتب كشك بأن أصدر حكما في العام 1985 بالإفراج عن الكتاب لينزل إلى المكتبات المصرية.

حالة اليتم ونقص الحنان اللذان عانى منهما محمد أشد المعاناة جعلاه يرحب بعرض سيدة بني أسد خديجة بنت خويلد ذات الثراء العريض والحسب والنسب ليكون بعلها مع أنها تكبره بما يقارب العقدين وحسب دراسة الباحث جريس سالم فهو يرى أن محمدًا كان يرقد في أعماقه الحرمان من الأمومة . الذي كان يحتاج إلى إشباع. فوجد في عجوز بني أسد تعويضا عن حضن الأمومة الذي حرم منه.كما وجدها المعينة التي تضع ثروتها تحت تصرفه. ولما كانت هي كفيلته طوال خمس وعشرين سنة، هي مدة حياتهما الزوجية فإن ميوله الجنسي للصغيرات ظل مكبوتا ولم يظهر إلا بعد وفاتها. ورغم أنه تزوج من العجوز سودة بعد شهر واحد فقط من وفاة خديجة بحثا عن الأم البديلة إلا أن سلوك نزوته سرعان ما تفجرت إلي السطح عندما أخذ يتمثل في الطفلة عائشة التي كانت قد بلغت لتوها السادسة من

---

[4] جلال كشك في كتابه (خواطر مسلم في المسألة الجنسية)

عمرها عند وفاة خديجة وذلك خلال تردده اليومي إلى منزل والدها وصديقه أبي بكر بن أبي قحافة الملقب ب(الصدّيق). وما كان الأبوان يدريان أن محمدًا ينظر إلى طفلتهما الصغيرة الغريرة نظرة اشتهاء حين كان يقول لأم رومان والدة عائشة في كل زيارة له (إستوصي بعائشة خيرا وأحفظيني فيها). ووجدها ذات يوم تبكي وهي مستترة خلف الباب. فقال محمد لأم رومان (يا أم رومان ألم أوصك بعائشة تحفظيني فيها) فردت عليه قائلة بأن عائشة وشت بها عند أبيها فغضب عليها. فقال لها محمد: (وإن فعلت) أي ما كان عليك أن تضربيها وإن وشت بك، فوعدته أم رومان بأن لا تسوء عائشة بعد ذلك اليوم وبالطبع لم يخطر على بال أم رومان أن الرسول الذي بلغ لتوه الخمسين لديه رغبة في نكاح طفلتها ذات الست سنوات.

أبو بكر يستنكر:

بعد شهر واحد من زواجه من العجوز سودة وبعد شهرين فقط من وفاة خديجة يفصح محمد عما في دواخله تجاه الطفلة الغريرة عائشة ويطلب يدها من والدها أبي بكر.

وحدث مالم يكن في الحسبان، فأبو بكر بن أبي قحافة الذي كان تابعا لمحمد ومنصاعا له وواقعا بالكامل تحت كارزميته وسلطانه ولم يعص له أمرا ولم يقل له قط كلمة لا وكان أول من صدق جميع أحاديثه وأساطير الأولين التي أتي بها حتي لقبه بـ (الصدّيق) يتجرأ لأول مرة ويستنكر في بادئ الأمر طلب محمد،حيث قال له كما ورد في الطبقات الكبرى: [5](أيتزوج الرجل ابنة أخيه) وهو يعني أنه في مقام عمها. ولكن محمدًا ضغط على تابعه وكان يعرف من أين يأتيه وقال له:(إنك أخي في ديني) وهنا إستسلم أبو بكر ووافق وقال له إنه كان قد أعطي وعدا لمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بأن يحجز الطفلة عائشة لإبن جبير الذي كان صبيا في حينه وأنه سيعمل علي إيجاد مخرج من هذا الوعد وعليه أن ينتظر حتي يستلها منهم.

أكد الرسول محمد في أحد أحاديثه أن آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان. لم يقل لتابعه أبي بكر إن تنصله من وعده لوالد الصبي جبير عمل من أعمال النفاق وعليه أن يكف عن ذلك. فعلى العكس، انتظر حتى

---

[5]الطبقات الكبرى لابن سعد الباب العاشر في النساء الصفحة60

ذهب أبو بكر إلى والد الصبي جبير ووجد مخرجا من وعده ليفتح الطريق له ليخطب عائشة ذات الست سنوات ويدخل عليها وهي في سن التاسعة.

كان اقتلاع الرّسول محمدًا للطفلة عائشة من الصبي الموعود جبير هو بدآية سلسلة من عملية الإستيلاء على الجميلات واقتلاعهن من أيدي آخرين. فكان اقتلاع زينب بنت جحش من زوجها زيد بن حارثة إبنه بالتبني بعد أن رأى مفاتنها ذات يوم وهي مضجعة والباب موراب حيث ذهب ليتحدث مع زيد في الأمر. وكان اقتلاع السبيّة صفية بنت حيي من دحية الكلبي واقتلاع السبية الفزارية من سلمة دون إعتبار لتوسله له.

وبناءًا على هذه المرويات يمكننا القول أنّ الرسول قد اقتحم براءة الطفلة عائشة وضاجعها دون إرادتها وهي في التاسعة من عمرها، لاتدري ولا تعي شيئا عن الحياة الزوجية وتفاصيلها. فقد كانت غارقة في عالمها الطفولي بما فيه من ألعاب شتى. ومن الحقائق الصادمة الصاعقة أن تلك الطفلة لم تكن تعلم يوم زواجها من ذلك الشيخ الخمسيني الذي كان قد بلغ حينه الواحدة والخمسين. وحسب ابن سعد[6] وبالرجوع للفتوى التي تناولناها في أول البحث فإن عائشة كانت تلعب في أرجوحة يوم عرسها مع نديداتها. فنادتها أمها وهيأتها كعروس. وقالت عائشة في نفسها فيما بعد في كلام رواته **(أخبرنا محمد ابن عمر حدثني أبو حمزة ميمون مولى عروة بن الزبير عن عروة عن عائشة) قالت: (تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني ألعب مع الجواري فما دريت أن رسول الله تزوجني حتى أخذتني أمي فحبستني في البيت عن الخروج فوقع في نفسي أني تزوجت فما سألتها حتى كانت أمي هي التي أخبرتني).**

تصوروا إلى هذا الحد طفلة لا تدري أنها تزوجت إلا بعد أن حبستها أمها، والسؤال هنا: هل غادرت عائشة طفولتها بعد زواجها؟ طبعا لا. فالزواج لا يجعل من الطفلة امرأة ناضجة. لقد عاشت عائشة مع محمد تسع سنوات فقط، وكانت كلها استمرارا لطفولتها حتى أنها كانت تلعب ألعاب الأطفال وهي زوجة. فقد روت عائشة: **(كنت ألعب بالبنات ويجئن صواحباتي فيلعبن معي فإذا رأين رسول الله انقمعن منه**

[6]المرجع السابق الباب العاشر في النساء الصفحة 59

فكان رسول الله يدخلهن فيلعبن معي) أي كانت تلعب بالدّمي أوالعرائس وهي زوجة. وكانت تجري وتركض وهي زوجة مثل البنات في سنها من الأطفال وكان محمد يضطر إلى أن يجاريها فيركض معها ويسابقها.

ويواصل الباحث نقده لزواج محمد من الطفلة فيضيف أنه من المثير للسخرية أن بعض شيوخ الإسلام الذين يريدون نفي التزمّت عن الإسلام يتخذون من هذه القصص المخجلة دليلا على أن الإسلام لا يحرم اللعب واللهو البريئ ويقولون أن محمد كان يلعب مع عائشة ويسابقها. وماذا كان على الرسول أن يفعل مع طفلة صغيرة بعد أن اقتحام عالمها البريء بأفعال البالغين.

التعلق بالطفلة عائشة:

كانت الطفلة عائشة شقراء جميلة ولكن كان هناك بين نساء محمد وإمائه الكثار من هن أجمل من عائشة بكثير حتى أشعلن غيرتها الشديدة وفي ذلك قصص كثيرة. حيث كانت صفية بنت حيي وزينب بنت جحش وأم سلمة.

ويروى أن عائشة قالت لمحمد ذات يوم غاب فيه طويلا (ألا تشبع منها) وكان محمد قال لها أنه كان مع أم سلمة. لقد كانت عائشة مميزة على كل نسائه وإمائه. فميوله الجنسي هو الذي أملى عليه هذا التّعلق الشديد بالطفلة عائشة حتي أنه طلب الإذن من نسائه لتقوم هي دون غيرها بتمريضه ومات ورأسه في حجرها. وكانت الوحيدة من بين نسائه التي تستحم معه في إناء واحد ويباشرها وهي حائض ويقبلها وهو صائم ويمص لسانها كما روت ذلك عائشة بنفسها. وكانت لعائشة ليلتان ولسائر نسائه ليلة واحدة بعد أن تنازلت العجوز سودة عن ليلتها لعائشة إرضاءً لنزوة محمد وثمنا لبقائها معه. وكان يطوف على جميع نسائه بعد صلاة الظهر ويختم بعائشة. وصرح بأنها أحب النساء إليه وقال بأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد علي سائر الطعام . وطبقا لما جاء في (صحيح البخاري)[7] قالت عائشة أن محمد كان يصلي بينما هي مضجعة أمامه على فراشها بينه وبين القبلة.وهي الوحيدة التي قال عنها أن جبريل يأتيه في صورتها أي في صورة عائشة .وإلى جانب ذلك كان جبريل يأتي إلى محمد حسب زعمه وهو في فراشه بجوار عائشة. والأدهي أنه

[7] صحيح البخاري رقم الحديث 599 براوية ابي داود عن شقيق

رفع مقامها فوق مقام كفيلته خديجة حيث إدعي أن الله هو من زوجه إياها إذ قال لأصحابه أن الله أرسل إليه جبريل وهو يحمل عائشة في قطعة من حرير وقال له (هذه زوجتك في الدنياوالآخرة). وقال لأصحابه أنه لم يعد يخشي الموت بعد أن علم أن عائشة ستكون زوجته في الجنة. وبلغ به التعلق بالطفلة عائشة التي ظلت طفلة حتي يوم وفاته أنه أبطل الوضوء من أجلها حيث لا يوجد ماء، وحسب ما ورد بالروآية أنهم بينما كانوا عائدين من غزوة الأبواء فقدت عائشة قلادتها في مكان ليس فيه ماء فأخذوا يبحثون عنها حتى حان موعد الصلاة فقام محمد ومنعهم من السير إلى مكان قريب فيه ماء وأمرهم بأن يواصلوا البحث عن القلادة وزعم لهم أن جبريل جاءه لتوه وقال له أجيز لكم الصلاة بدون وضوء حيث لا يوجد ماء وصلى القوم بدون وضوء من أجل قلادة عائشة...

عن عائشة: أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فصلوا فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آية التيمم فقال أسيد بن حضير لعائشة جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله ذلك لك وللمسلمين فيه خيرا. رواه البخاري[8] - واللفظ له - ومسلم[9].

وفي روآية صريحة عند الطبراني وأبي عوانة أنهم صلوا من غير وضوء.

عن عائشة قالت:"بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيد بن حضير وأناسا معه في طلب قلادة أضلتها عائشة فحضرت الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا إليه ذلك فنزلت آية التيمم زاد النفيلي فقال أسيدابن حضير جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله للمسلمين ولك فيه فرجا". رواه أبو عوانة [10]والطبراني[11].

وكم أتعب محمد ربه وجبريل .في الحادثة الشهيرة المعروفة في التاريخ الاسلامي بـ(حادثة الإفك) وهي حادثة تأخر عائشة ومعها صفوان بن معطل السلمي عن ركب

---

[8] صحيح البخاري رقم الحديث 329

[9]صحيح مسلم رقم الحديث 367

[10]مستخرج ابو عوانة الاسفراييني رقم الحديث 873

[11]الطبراني المعجم الكبير ج23 الصفحة 49 حديث رقم 131

محمد في طريق العودة من أحدى الغزوات حيث ملأت الشائعات التي تنال من شرفها كل أرجاء يثرب. اغتم محمد لهذه الشائعات والأقاويل ولم يدر ما يفعل، وطفق لا يكلم عائشة شهرا كاملا ولم يتجاوز ما كان يقوله لها كلما دخل بيته قط كلمتين هما (كيف تيكم؟). وعندما ضاقت به يثرب بما رحبت، اضطر أن يقول لها بعد شهر من المقاطعة (يا عائشة بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه).بل واضطر أن يجمع علي ابن أبي طالب وأسامة بن زيد ليستشيرهما فيما يفعل فقال له أسامة أنه لا يعرف سوى الخير عن عائشة وأهلها بينما نصحه علي بن أبي طالب أن يطلقها وقال له أن النساء كثيرات وكان ذلك سبب حقد عائشة على علي وبدآية العداء بينهما ووقوفها بعد ذلك في صف معاوية في الفتنة الكبرى. لم يعمل محمد بنصيحة علي رغم أنه كان يراه من أرجح الناس عقلا. واخيرا قرر أن يحسم الأمر بآيات من عنده لمصلحة الطفلة الزوجة عائشة. وهاجمت الآيات الذين تولوا نشر الشائعة والذين تولوا تضخيمها حسب الآية وأقرت أنهم كاذبون مالم يأتوا بأربعة شهود. و على إثر ذلك تم قمع كل من تداول الأقاويل عن تلك الحادثة بجلدهم. وكان على رأسهم الشاعر حسان بن ثابت الملقب بـ (شاعر الرسول). وهكذا فإن حادثة بكل تلك الأبعاد الخطيرة والتي هزت محمد هزا عنيفا وحرمته هدوء البال شهرا كاملاً لم تستطع أن تبعده عن الطفلة عائشة.

المدقق في حياة عائشة مع الرسول محمد يكتشف أن هذه الطفلة قد أدركت بحدسها الطفولي حقيقة اللعبة المحمدية بعد أن رأت كيف أن النبي المزعوم يقول لها أنه يتحدث مع جبريل وهو معها في فراش واحد ويباشرها وهي حائض ويقبلها ويمص لسانها وهو صائم. ويتكئ على صدرها ويقرأ قرآنه وهي حائض ويستيقظ من نومه ويصلي دون وضوء بزعم أن عينيه تنامان وقلبه لا ينام ! وقد أسهبت عائشة في وصف تفاصيل حياتها الجنسية مع محمد، والتي تمتلئ بها كتب التراث، وفيها ما يتناقض مع التعاليم التي كان يدعو إليها وكأنها أرادت فضح حقيقة من اقتحم عالم طفولتها البريئة ودمرها ورحل عن الدّنيا حين بلغت بالكاد ثمانية عشرة سنة بداية سن النضوج الحقيقي. وبعد أن منع وحرّم زواج زوجاته من بعده، بل وقام بسجنهن سجنًا أبديا بآية (وقرن في بيوتكن).

جاء في (الطبقات الكبرى)[12] أن عائشة كانت تبكي بكاء شديدا حتي تبتل ملابسها حين تسمع من يقرأ آية (وقرن في بيوتكن). كانت عائشة كثيرة الشجار مع محمد. وكانت تتجرأ عليه وترفع صوتها فوق صوته وغمزت بقرآنه واتهمته بعدم قول الحقيقة وشككت في نبوته. ومع كل ذلك كان محمد يسترضيها ويرضخ لما تريد.

ذهب أبو بكر مرة إلى بيت محمد وسمع عائشة ترفع صوتها على محمد وعندما أذن له بالدخول اندفع نحوها ليضربها وهو يقول (يا بنت أم رومان أترفعين صوتك على رسول الله صلي الله عليه وسلم) وحال محمد بينه وبينها. وفي شجار نشب بينهما قال محمد لعائشة فلنحكّم بيننا عمر أو أباك. فقالت (لا ارضى بعمر لأنه غليظ وأرضى بأبي). فاستدعاه محمد وبينما هو يروي لأبي بكر ما حدث قاطعته عائشة قائلة له (اتَّقِ اللَّهَ، وَلا تَقُلْ إلا حَقًّا) وهذا اتهام صريح بالكذب وهنا استشاط أبو بكر غضب وصفعها على وجهها حتى أدمى أأأ

ظااظانفها وهو يقول (أنت لا أم لك يا إبنة أم رومان، تقولين الحق وأبوك ولا يقوله رسول الله صلي الله عليه وسلم)و وجد جريدة بالبيت وأخذ يضربها بها حتي ولت هاربة ووقفت خلف محمد .فاقسم محمد على أبي بكر أن يعود إلى بيته قائلا له (فإنا لم ندعك لهذا) نص الحديث[13]: أَخْبَرَنَا أَبُواللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ نَصْرٍ الْفَرَائِضِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخُشُوعِيُّ، سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، ثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيُّ، ثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلامٌ، فَقَالَ لَهَا: (مَنْ تَرْضَيْنَ بَيْنِي وَبَيْنَكِ؟ أَتَرْضَيْنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ؟) قَالَتْ: لا أَرْضَاهُ، عُمَرُ غَلِيظٌ. فَقَالَ: (أَتَرْضَيْنَ بِأَبِيكِ بَيْنِي وَبَيْنِكِ؟) قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ، فَقَالَ: (وَإِنَّ هَذِهِ مِنْ أَمْرِهَا كَذَا، وَمِنْ أَمْرِهَا كَذَا).

---

[12] الطبقات الكبري لابن سعد الجزء الثامن الصفحة 81 حديث رقم 9695

[13] السنن الكبرى للبيهقي ج1 ص 118

قَالَتْ: قُلْتُ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلا تَقُلْ إِلا حَقًّا.
قَالَتْ: فَرَفَعَ أَبُوبَكْرٍ يَدَهُ، فَرَثَمَ بِهِ أَنْفَهَا، وَقَالَ: أَنْتِ لا أُمَّ لَكِ، يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ تَقُولِينَ الْحَقَّ وَأَبُوكِ، وَلَا يَقُولُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! قَالَتْ: فَابْتَدَرَتْ مِنْخَرَاهَا كَأَنَّهَا عَزْلاءِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (الْبَيْتَ).

وَجَعَلَ يَضْرِبُهَا بِهَا، فَقَامَتْ هَارِبَةً مِنْهُ، فَلَزِقَتْ بِظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: حَتَّى قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ، لَمَّا خَرَجْتَ، فَإِنَّا لَمْ نَدْعُكَ لِهَذَا).

فَلَمَّا خَرَجَ قَامَتْ فَتَنَحَّتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهَا: (ادْنُ مِنِّي).
فَأَبَتْ أَنْ تَفْعَلَ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهَا: (لَقَدْ كُنْتِ قَبْلَ هَذَا شَدِيدَةَ اللُّزُوقِ بِظَهْرِي)."

وفي صحيح ما رواه أحمد في مسنده[14] عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ:" جَاءَ أَبُوبَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا، أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أَبُوبَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لَهَا يَتَرَضَّاهَا: (أَلَا تَرَيْنَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَكِ)، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُوبَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا، قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُوبَكْرٍ: " يَارَسُولَ اللهِ أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا، كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا". صححه محققو المسند، وكذا صححه الألباني في "الصحيح"[15].

في حجة الوداع عندما أمر محمد بتحويل متاع صفية إلى جمل عائشة ومتاع عائشة إلى جمل صفية كي يمضي الركب.قالت له عائشة (ألا تزعم أنك رسولا لله فهلا عدلت).وسمعها أبو بكر ولطمها على وجهها. وغمزت عائشة بقرآن محمد في حادثة المرأة التي أهدت نفسها إليه.وكانت أم شريك الدوسية وهي من قبيلة الأزد قد أهدت نفسها لمحمد.فقالت له عائشة (لا خير في امرأة تهدي نفسها لرجل) ولما كان محمد

[14] مسند الإمام أحمد حديث رقم (18394)

[15] صحيح الألباني حديث رقم (2901)

يريدها فقد قنن قبولها بآية جاء بها على الفور وهي الآية التي يقول فيها (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) وأعطى نفسه فيها رخصة واسعة بأخذ ما يشاء من النساء وترك ما يشاء.فقالت له عائشة (أرى ربك يسارعإلى هواك).وسنتناول هذا الموضوع بتفصيل أكثر في دراسة الآية 50 من سورة الأحزاب.فالواضح أن عائشة قد عرفت (البئر وغطاءه) كما يقول المثل ولذا لا نستغرب ونحن نقرأ في (صحيح البخاري)[16]عن عائشة قالت (كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَىْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَرِجْلاَىَ فِي قِبْلَتِهِ، فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي، فَقَبَضْتُ رِجْلَىَّ، فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا. قَالَتْ وَالْبُيُوتُ يَوْمَئِذٍلَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحُ.) أي كانت تبسط رجليها مفتوحتين أمامه في فراشها وهو يصلي. هل هذا كلام منطقي من سيدة كانت تأخذ دعوة محمد مأخذ الجد. لا يوجد أي تفسير آخر لإسهابها في تفاصيل حياتها الجنسية مع محمد غير رغبتها في تعرية حقيقته. واذا قال قائل أنها كانت تعلّم الناس دينهم. فأي معني تعليمي في قولها إن محمد كان يقبلها ويمص لسانها وهو صائم ويباشرها وهي حائض وهذه تفاصيل مخجلة ثأرت بها لنفسها ممن دمر عالم طفولتها البريئة ولم تتورع من أن تشكك في نبوته وتقول له في وجهه (أليس تزعم أنك رسول الله).

إن ما فعلته الطفلة عائشة بالإسلام لم يفعله كبار أعداء محمد في تلك الفترة وتظل رواياتها والأحاديث التي نقلها من عاصر عائشة أهم مصدر يصور وينقل لنا صورة تقريبية لحياة محمد الرسول في منزله. عائشة وبعد وفاة محمد كان لها طموح سياسي خرجت في الحرب ضد علي وكانت تحرض على العصيان، وبعد مقتل علي تصورت عائشة أن الطريق أصبحت ممهدة أمامها لخلافة محمد لكن معاوية وأتباعه كانوا أذكى وقاموا باغتيالها وهذا موضوع لا يتناوله فقهاءالمسلمين وقد يكتفون بالقول **"تلك أمةٌ قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم"** إن الباحث في سيرة عائشة قد يتفهم عداء طائفة كبرى من المسلمين لتلك الطفلة المؤودة لكن الذنب ليس ذنب عائشة إنما الذنب هو ذنب من اغتصب طفولتها.

تبريرات واهية:

[16]صحيح البخاري الجزء الأول باب الصلاة على الفراش

إنّ العقل الإسلامي عقل تبريري يعجز عن مواجهة الحقائق والتعامل معها بصدق وموضوعية. وعندما يعجز عن المواجهة يلجأ إما للتزوير أو لتبريرات فجة واهية للهروب من المعضلة. فمن محاولات التزوير الفاضح مع تعاظم الإزدراء لزواج شيخ خمسيني بطفلة غريرة لم تتجاوز الست سنوات هي ظهور بعض الكتابات التي يزعم أصحابها أن عائشة كانت في سن السابعة عشرة حين تزوجها محمد . وتقف كتب التراث الإسلامي سدا منيعا أمام تلك المحاولات الفجة وتفضح أصحابها. والأكثر فجاجة في تبرير ذلك الزواج المخالف للأعراف و المنافي للطبيعة السليمة هي تلك المقولة التي ترددها الغالبية في عجز واضح عن تفسير سلوك نبيهم وهي (أن حكمة إلاهية وراء ذلك الزواج) أي حكمة يمكن أن تكون وراء الزواج من طفلة؟ ولماذا هي حكمة غامضة ليس لها تفسير؟ وما معني الحكمة وما فائدتها إذا كانت غامضة وليس لها معنى تعليمي في حياة أتباع محمد؟

ومن التبريرات السطحية أيضا والتي لا يسندها عقل ولا منطق هو قول البعض أن البنات في ذلك الزمان كن ينضجن بسرعة. ماهو الدليل علي ذلك؟ هل كانت الظروف المعيشية والغذائية آن ذاك أفضل من يومنا هذا؟ بالطبع لا. ولتقريب المثال. هل البنت في عالم اليوم تنضج أسرع جسمانيا في البلاد المتقدمة الثرية أم في البلاد الفقيرة؟ بالطبع تنضج أسرع في البلاد الثرية. ورغم ذلك تعتبر أي بنت تحت سن الثامنة عشرة طفلة والزواج منها جريمة يعاقب عليها القانون. حتى لو إفترضنا جدلاً وهو مجرد إفتراض أن البنت كانت تنضج بسرعة في ذلك الزمان فإن حصر الأمر في التكوين الجسدي غاية في السطحية لأن الأمر مرهون في المقام الأول بالتكوين النفسي للطفل. فالطفل يظل طفلا حتى إذا تم تزويجه مبكرا. والدليل أن عائشة ظلت على طفولتها بعد اعتسافها حيث كانت تلعب بالعرائس مع نديداتها وكانت تجري وتتسابق ويضطر محمد إلى مسايرتها وإرضائها باللعب والتسابق معها.

إن زواج الرسول محمد من طفلة غريرة في السادسة من عمرها كما تروي كتب التراث لا يمكن تبريرها وهي جريمة تزداد بشاعة كلما تقدمت الحضارة البشرية وكلما تراكم الوعي، الزواج من القاصرات يعتبر سنة محمدية يعمل بها حتى يومنا هذا في الكثير من البلدان الإسلامية ويذهب ضحيتها مئات الفتيات سنوياً.

ذات يوم قالت الطفلة عائشة لمحمد قبل ألف وأربعمائة سنة (أرى ربك يسارع إلى هواك). أما اصحاب العقول التبريرية لا يستطيعون الإرتقاء إلى مثل قولتها تلك ولا يقدرون علي شئ غير تبرير ما لا يقبله العقل.

2- قصة طلاق حفصة من الرسول

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب إحدى زوجات النبي محمد، وإبنة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وشقيقة الصحابي عبد الله بن عمر. أسلمت حفصة في مكة، ثم هاجرت مع زوجها الأول خنيس بن حذافة السهمي إلى المدينة المنورة، ثم تزوجها النبي محمد بعد وفاة زوجها الأول إثر جروح أصابته في غزوة أحد.

وتقول الروآية أنه لما تُوفي خنيس زوج حفصة، عرض عمر على كل من عثمان ابن عفان وأبي بكر أن يتزوج أحدهما من حفصة، فأبيا مع أن أبا بكر كانت له رغبة بها لكنه فضل أن ينتظر ويعرف رأي محمد فهو يعرف صاحبه جيدا. ولم يلبث أيام حتى خطبها النبي محمد لنفسه، فقبل عمر.

روى البخاري بإسنادِه إلى سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث (أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس ابن حذافة السهمي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي بالمدينة فقال عمر بن الخطاب: **"أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري فلبث ليالي، ثم لقيني فقال: بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي. ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئا؟ قال عمر: قلت نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها،**

فلم أكن لأفش سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولوتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها)"[17].

كان ذلك الزواج في شعبان 3هـ على صداق قدره 400 درهم، وذلك بعد زواج النبي محمد من عائشة، وهي الرابعة في ترتيب زوجاته بعد خديجة وسودة وعائشة. وكان عمر حفصة نحو20 عامًا.

كان لحفصة وعائشة الكثير من المغامرات الزوجية مع الرسول محمد والأرجح أنه فيهما نزلت آية التخيير حيث خيّر محمد زوجته بين البقاء معه أو يسرحن إلى أهلهم.

وسبب التخيير: هو سؤالهن التوسع في النفقة. وهناك ثلاث أحداث في القرآن نزلت في علاقة ترتبط بصفة مباشرة بحفصة، الأولى آية التخيير كما أشرنا.

وقد اشتكت نساء الرسول يومًا من ضيق النفقة وتقدمت عائشة وحفصة للحديث معه في الموضوع، وتكلمن معه في ذلك في وقت كان أبو بكر وعمر قد دخلا على النبي محمد. فهمّ كل منهما بضرب وتأنيب إبنته لولا أن نهاهما الرسول عن ذلك. فنزل الوحي بتخيير نساء النبي، قائلا: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا(28)سورة الأحزاب.والذي عليه جمهور المفسرين أن زوجاته اللائي خيرن في الآية: 9. [18]**

قال ابن كثير: "هذا أمر من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة."

قال عكرمة: وكان تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وسودة، وأم سلمة، وكانت تحته صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي

---

[17] صحيح البخاري كتاب النكاح 4830

[18] المقريزي كتاب امتاع الأسماع المسألة 18 صفحة 65

النضرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، رضي الله عنهن وأرضاهن.[19]

وانظر: تفسير ابن عطية [20]،محاسن التأويل ،و التفسير المنير .

وخالف في ذلك أبو بكر بن العربي [21]**فقال: إن المخيَّرات أربع فقط.**

قال :" كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - أزواج كثيرة بيناها في شرح الصحيحين، والحاضر الآن أنه كان له سبع عشرة زوجة، عقد على خمس، وبنى باثنتي عشرة، ومات عن تسع، وذلك مذكور في كتاب النبي.

المخير منهن أربع:

- الأولى: سودة بنت زمعة، تجتمع مع رسول الله.
- الثانية: عائشة بنت أبي بكر، تجتمع مع النبي.
- الثالثة: حفصة بنت عمر بن الخطاب،تجتمع مع رسول الله.
- الرابعة: أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.22

أما الموضع الثاني الذي تحدث فيه القرآن عن حفصة فكان كما ذكر الشوكاني[23] أن النبي محمد قد أصاب جاريته مارية القبطية أم ولده إبراهيم في غرفة زوجته حفصة وعلى فراشها، فغضبت حفصة وقالت **«يا رسول الله لقد جئتَ إليَّ بشيء ما جئتَه إلى أحد من أزواجك، في يومي وفي داري وعلى فراشي» فقال: «ألا تَرْضَيْنَ أَنْ أُحَرِّمَهَا فَلا أَقْرَبُهَا أَبَدًا؟» فقالت حفصة: «بلى» فحرَّمها النبي على نفسه، وقال لها: «لاَ تَذْكُرِي ذَلِكَ لأَحَدٍ». فذكرته لعائشة، فكان ذلك سببًا لتطليق النبي محمد لها.**

---

[19] المرجع السابق

[20] تفسير ابن عطية (381/4) محاسن التأويل للقاسمي (65/8) التفسير المنير للزحيلي(21/ 290)

أبو بكر العربي في كتابه في شرح الصحيحين [21]

[23]تفسير الشوكاني (فتح القدير) ج2 ص847

وفي هذه الواقعة نزلت بدايات سورة التحريم[24]:

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3)".

ونحن هنا أمام قصة خطيرة جدا تتحدث عن رسول قد بلغ الكمال البشري ومنزه عن الخطأ ولا ينطق عن هوى حتى أن الكثيرين يعتبرون حديث الرسول "وحي".

وتقول القصة أن حفصة ذهبت إلى زيارة أبيها وكانت تنتظر ليلتها مع رسول الله، فعندما دخل محمد البيت ولم يجدها بعث إلى جاريته مارية القبطية فوطئها في بيت حفصة وعلى فراشها وعند عودة حفصة وجدتهما في وضعية الجماع في حجرتها. إرتبك الرسول محمد من الموقف ونهض مسرعا يحاول التهدئة من روع حفصة التي باشرته بالصراخ بسبب الغيرة وكانت ستتسبب له بفضيحة. وقال لها أقسم لك أن مارية حرام علي منذ اللحظة ولن أقربها فلا تخبري أحدا بذلك. لكن حفصة لم تكتم الخبر ولم يذهب غضبها وعندما سألتها عائشة عن السبب أخبرتها بالقصة وعائشة الطفلة لم تكن تكتم أسرار بيت النبوة ونكآية في حفصة التي كانت تغار منها نشرت الخبر حتى بلغ الرسول فغضب لذلك غضبا شديدا وطلق حفصة ابنة عمر وأمرها بالعودة إلى بيت أبيها. والقصة وردت عن أكثر من طريق وهذا ما يثبت صحتها.

ففي الحديث عن أنس: أن رسول الله كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة، وحفصة حتى حرمها على نفسه، فأنزل الله عز وجل: **(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى آخر الآية.**[25]

ورد في صحيح الألباني:[26]حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله:

---

[24] سورة التحريم الآية 1-3

[25] النسائي ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني كتاب الطلاق صفحة 25

[26] صحيح الألباني أخرجه ابن جرير في تفسيره (5 / 399)

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) قال: إنه وَجَدَت امرأة من نساء رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم مع جاريته في بيتها، فقالت: يا رسول الله أنى كان هذا الأمر، وكنت أهونهنّ عليك؟ فقال لها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم:" اسكُتِي لا تَذْكُرِي هَذَا لأحدٍ، هِيَ عَلَيَّ حَرَامٌ إنْ قَرِبْتُهَا بَعْدَ هَذَا أَبَدًا"، فقالت: يا رسول الله وكيف تحرّم عليك ما أحلّ الله لك حين تقول: هي عليّ حرام أبدًا؟ فقال: والله لا آتيها أبدًا فقال الله:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) الآية، قد غفرت هذا لك، وقولك والله قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوالْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله:**(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)** كانت لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فتاة، فغشيها، فبصُرت به حفصة، وكان اليومُ يوم عائشة، وكانتا متظاهرتين، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: **"اكْتُمي عَلَيَّ وَلا تَذْكُرِي لِعَائِشَةَ مَا رَأَيْتِ"**، فذكرت حفصة لعائشة، فغضبت عائشة، فلم تزل بنبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى حلف أن لا يقربها أبدًا، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يكفر يمينه، ويأتي جاريته.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عامر، في قول الله **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)** في جارية أتاها، فأطلعت عليه حفصة، فقال: هي عليّ حرام، فاكتمي ذلك، ولا تخبري به أحدًا فذكرت ذلك.

حدثنا سعيد بن يحيى، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: "قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: من المرأتان؟ قال: عائشة، وحفصة. وكان بدء الحديث في شأن أمّ إبراهيم القبطية، أصابها النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في بيت حفصة في يومها، فوجدته حفصة، فقالت: يا نبيّ الله لقد جئت إليّ شيئًا ما جئتَ إلى أحد من أزواجك بمثله في يومي وفي دوري، وعلى فراشى، قال: **"ألا تَرْضينَ أَنْ أُحَرِّمَهَا فَلا أَقْرَبَهَا؟ " قالت: بلى، فحرّمها،** وقال: **"لا تَذْكُرِي ذَلِكَ لأحَدٍ"**، فذكرته لعائشة، فأظهره الله عزّ وجلّ عليه، فأنزل الله **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ)**... الآيات كلها، فبلغنا أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كفر يمينه، وأصاب جاريته".

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي من طريقه عن هشيم، عن عبيدة، عن إبراهيم، وعن جويبر، عن الضحاك: أن حفصة أم المؤمنين زارت أباها ذات يوم، وكان يومها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرها في المنزل أرسل إلى أمته مارية القبطية، فأصاب منها في بيت حفصة، فجاءت حفصة على تلك الحال، فقالت: يا رسول الله أتفعل هذا في بيتي في يومي؟ قال: فإنها حرام علي، لا تخبري بذلك أحدا، فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها بذلك، فأنزل الله تعالى في كتابه: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى قوله (وصالح المؤمنين) فأمر أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته.

قال الحافظ[27]: وبمجموع هذه الطرق يتبين أن للقصة أصلا، أحسب، لا كما زعم القاضي عياض أن هذه القصة لم تأت من طريق صحيح، وغفل - رحمه الله - عن طريق النسائي التي سلفت فكفى بها صحة، والله الموفق.

لم يستمر طلاق محمد لحفصة مدة طويلة فسرعان ما رجعها بأمر من الله حيث جاءه جبريل وقال له إن الله يأمرك أن ترجع حفصة. هنا الله يتدخل لحل أزمة محمد مع زوجاته في صورة هزلية لا ترقى إلى مسرحية مضحكة.

ويبدوا أن محمد كان يخشى أن يفقد عمر ذراعه اليمنى بسبب طلاقه إبنته فأسرع إلى إرجاع حفصة كي يضمن إستمرار العلاقة بينهما ورد في الحديث[28]:

حدثنا محمد بن المظفر، حدّثنا جعفر بن أحمد بن يحيى الخولاني، حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، حدّثنا عمي عبد الله بن وهب، حدثني عمر بن صالح، عن موسى ابن علي، عن موسى بن رباح، عن أبيه، عن عقبة بن عامر، قيل: لما طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر فبلغ ذلك عمر فوضع التراب على رأسه وجعل يقول: ما يعبأ الله بعمر بعد هذا، قال: فنزل جبريل من الغد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر.

وروى الطبراني بإسناده إلى قيس بن يزيد (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة تطليقة. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل فتجلببت فقال النبي صلى

---

[27] التلخيص الحبير للحافظ ابن حجر كتاب الطلاق ص435 ج3 حديث رقم 1592

[28] سير النبلاء صفحة رقم 230

الله عليه وسلم: آتاني جبريل عليه السلام فقال: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وأنها زوجتك في الجنة).[29]

أما الموضع الثالث في القرآن والذي تلعب فيه حفصة دورا هاماً هو حينما اعتزل محمد نساءه شهرا وأقسم ألا يدخل على نسائه من شدّة مَوْجدَتِهِ عليهنّ، حتى عاتبه الله في القرآن ونزلت هذه الآية في عائشة وحفصة لأنهما البادئتان بالمظاهرة ورد في النص القرآني[30]:

"إن تتوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (5) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (7)" فما كان منهن وآيات الله تتلى على مسامعهن إلا أن قلنَ : «**سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير**».

وحسب الأحاديث والروايات فإن عائشة وحفصة تآمرتا على الرسول واتفقتا على أن تقولا له أن ريح فمه سيء بسبب شرابا تناوله عن إحدى زوجاته فأقسم الرسول أن لا يشربه عندها مرة أخرى.

وقد أخرج البخاري ومسلم[31] من حديث حجاج، عن ابن جريج، قال: زعم عطاء، أنه سمع عبيد بن عمير، يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلًا، فتواصيت أنا وحفصة: أن أينما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له» فنزلت: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) (التحريم: 1) إلى (إن تتوبا إلى الله) (التحريم: 4) لعائشة وحفصة: (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) (التحريم: 3) لقوله: «بل شربت عسلا».

---

[29] عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام ناصربن علي عائض حسين الشيخ صفحة رقم 441

[30] سورة التحريم الآية 3-7

[31] صحيح البخاري الحديث 5268 كتاب الطلاق باب لم تحرم ما أحل الله لك

وقد وردت روايتان ضعيفتان في تسمية صاحبة القصة، جاء في فتح الباري[32]: وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة، عن ابن عباس، أن شرب العسل كان عند سودة، وأن عائشة وحفصة هما اللتان تواطأتا عليه وفق ما في روآية عبيد بن عمير، ثم قال: والراجح أيضا أن صاحبة العسل زينب، لا سودة، لأن طريق عبيد بن عمير أثبت من طريق ابن أبي مليكة بكثير، وإن اختلفا في صاحبة العسل، ثم قال: ووقع في تفسير السدي أن شرب العسل كان عند أم سلمة. أخرجه الطبري، وغيره، وهو مرجوح لإرساله وشذوذه.

ولم نقف على روآية فيها أن شرب العسل كان عند صفية بنت حيي والأرجح أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش جاء في شرح صحيح مسلم[33]: قولها: (فقال: بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش) وفي الروآية التي بعدها أن شرب العسل كان عند حفصة، قال القاضي: ذكر مسلم في حديث حجاج عن ابن جريج أن التي شرب عندها العسل زينب، وأن المتظاهرتين عليه عائشة وحفصة، وكذلك ثبت في حديث عمر بن الخطاب، وابن عباس أن المتظاهرتين عائشة وحفصة، وذكر مسلم أيضًا من روآية أبي أسامة، عن هشام، أن حفصة هي التي شرب العسل عندها، وأن عائشة، وسودة، وصفية من اللواتي تظاهرن عليه، وقال: والأول أصح، قال النسائي: إسناد حديث حجاج صحيح جيد غآية، وقال الأصيلي: حديث حجاج أصح، وهو أولى بظاهر كتاب الله تعالى، وأكمل فائدة، يريد قوله تعالى: "وإن تظاهرا عليه" فهما اثنتان لا ثلاث، وأنهما عائشة وحفصة، كما قال فيه، وكما اعترف به عمر- رضي الله عنه - وقد انقلبت الأسماء على الراوي في الروآية الأخرى. و مال إلى هذا الترجيح القرطبي في المفهم.

ومن خلال ما تقدم من أحاديث وروايات تتحدث عن علاقة محمد بزوجته حفصة كنموذج للحياة في بيت النبوة نتبين أن حياة الرسول محمد كانت مزدحمة بالمشاكل الزوجية والأزامات العائلية ما يجعل الله يتدخل لإيجاد حلول تخرج محمد من مشاكله. نحن وبناءً على ما نقلناه من روايات وتفاسير لآيات قرآنية نتبيّن أن حياة

---

32 فتح الباري لابن حجر العسقلاني كتاب الطلاق باب8 ج12 ص 454

33 شرح صحيح مسلم للإمام النووي كتاب الطلاق ، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق،حديث رقم1474

الرسول محمد الإنسان كانت سيئة للغاية أولاً بسبب كثرة زيجاته وعدم قدرته على إعالة عائلته المكونة من 9 زوجات بخلاف بناته والجواري ولإعالتهم لا يكفيه بيت مال المسلمين ولا غنائم الغزوات التي كانت تقتصر على الهجوم على بعض القبائل ويضطر لتقاسم الغنائم مع أصحابه الذين لا مورد رزق لهم غير الغزو، ثانيا بسبب المشاكل بين نسائه المتنافسات واللاواتي تتملكهن الغيرة ويتنافسن فيما بينهن. وبعد تحليل هذه الروايات نتوجه للعقلاء من المفكرين المسلمين أما آن الوقت لمراجعة التراث الإسلامي؟

3- قصة زواج الرسول من ابنة الجون أميمة بنت شراحل

لعل قصة إبنة الجون من أكثر القصص التي صدمتني في دراستي للسيرة المحمدية وأكثر ما يثير الإستغراب هو تغاضي الفلاسفة والباحثين والأكادميين المسلمين عن نقد أصل الروآية الذي يصر الفقهاء على أنها روآية صحيحة فهل للمسلمين عقول يفكرون بها وتقبل بمثل هذه الروايات؟

تقول القصة أن الرسول محمد سمع عن جمال أميمة بنت شراحيل الشهيرة بكنية الجونية فأمر بها وجيء بها إليه والظاهر أنها كانت أسيرة أو سبية وأنها كانت سيدةٌ في قومها دخل محمد على الجونية في حجرتها وأقترب منها وقال لها هبيني نفسك، فاستعاذت بالله منه ومن شره وقالت مستهزئة "هل تهب الملكة نفسها للسواقة". في مشهدٍ يظهر فيه محمد الرسول بمظهر غير لائق أصر رواة الحديث على تكريسه وحفظه وسوف نذكر الروآية كما وردت في الصحيح ثم نذكر التبرارات الساذجة التي أتى بها الفقهاء للخروج من المأزق الذي وقعوا فيه.

روى البخاري[34]عن الإمام الأوزاعي قَالَ: سَأَلْتُ الزُّهْرِي أي أَزْوَاجِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم اسْتَعَاذَتْ مِنْهُ؟

[34] صحيح البخاري حديث رقم (5254)

قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها:(أَنَّ ابْنَةَ الْجَوْنِ لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَدَنَا مِنْهَا قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. فَقَالَ لَهَا: لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الْحَقِى بِأَهْلِكِ).

وروى البخاري أيضا[35]عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رضى الله عنه قَالَ:

(خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ لَهُ الشَّوْطُ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ، فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: اجْلِسُوا هَا هُنَا. وَدَخَلَ وَقَدْ أُتِيَ بِالْجَوْنِيَّةِ، فَأُنْزِلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلٍ فِي بَيْتٍ أُمَيْمَةُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَاحِيلَ، وَمَعَهَا دَايَتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: هَبِي نَفْسَكِ لِي.

قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ. قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ. فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. فَقَالَ: قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ. ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا)

وروى البخاري أيضا[36]عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ وَأَبِي أُسَيْدٍ قَالاَ:(تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أُمَيْمَةَ بِنْتَ شَرَاحِيلَ، فَلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَكَأَنَّهَا كَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ أَنْ يُجَهِّزَهَا وَيَكْسُوَهَا ثَوْبَيْنِ رَازِقِيَّيْنِ) ثياب من كتان بيض طوال.

وروى البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضى الله عنه قَالَ[37]:

(ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ السَّاعِدِيَّ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَافَقَدِمَتْ فَنَزَلَتْ فِي أُجُمِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى جَاءَهَا، فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَإِذَا امْرَأَةٌ مُنَكِّسَةٌ رَأْسَهَا، فَلَمَّا كَلَّمَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. فَقَالَ: قَدْ أَعَذْتُكِ مِنِّي. فَقَالُوا لَهَا: أَتَدْرِينَ مَنْ هَذَا؟ قَالَتْ: لاَ. قَالُوا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَاءَ لِيَخْطُبَكِ. قَالَتْ: كُنْتُ أَنَا أَشْقَى مِنْ ذَلِكَ. فَأَقْبَلَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ حَتَّى جَلَسَ فِي

---

[35]المرجع السابق حديث رقم (5255)

[36] المرجع السلبق حديث رقم (5256)

[37] المرجع السابق حديث رقم (5637)

سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ هُووَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: اسْقِنَا يَا سَهْلُ. فَخَرَجْتُ لَهُمْ بِهَذَا الْقَدَحِ فَأَسْقَيْتُهُمْ فِيهِ، فَأَخْرَجَ لَنَا سَهْلٌ ذَلِكَ الْقَدَحَ فَشَرِبْنَا مِنْهُ. قَالَ: ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَهَبَهُ لَهُ) ورواه مسلم أيضا [38]، الأجم: الحصون.

اختلف الفقهاء في اسم هذه المرأة على أقوال سبعة، ولكن الراجح منها عند أكثرهم هو: "أميمة بنت النعمان بن شراحيل" كما تصرح روآية حديث أبي أسيد.

نأتي الأن إلى التبرارات الساذجة التي أتى بها الفقهاء للخروج من المأزق الذي وقعوا فيه بسبب نقلهم لهذه الروآية:

ورد بموقع الإسلام سؤال وجواب[39].

لماذا استعاذت المرأة الجونية من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

يمكن توجيه ذلك ببعض الأجوبة الآتية: (سوف ننقد كل جواب على حدى)

قد يقال إنها لم تكن تَعرِفُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، بدليل الروآية الأخيرة من الروايات المذكورة أعلاه، وفيها: (**فَقَالُوا لَهَا: أَتَدْرِينَ مَنْ هَذَا؟ قَالَتْ: لاَ. قَالُوا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَاءَ لِيَخْطُبَكِ. قَالَتْ: كُنْتُ أَنَا أَشْقَى مِنْ ذَلِكَ).**

وهذه قصة أبعد ما يكون عن الواقع فالجونية كانت تعرف أن من دخل عليها هو الرسول محمد وكانت تنظر إليه وعندما أحضروها أسيرة أخبروها أن من طلبها هو الرسول فكيف لها أن لا تعرف من تقدم لنكاحها؟

سياق القصة من مجموع طرقها يأبى هذا الاحتمال.

فكيف لرسول أن يطلقها وهو يعلم أنها لم تعرفه ألم ينزل عليه الوحي ليخبره بذلك؟

ورد في أواخر الأشربة من طريق أبي حازم، عن سهل بن سعد– فذكر الروآية الأخيرة، ثم قال:

فإن كانت القصة واحدة فلا يكون قوله في حديث الباب: (ألحقها بأهلها)، ولا قوله في حديث عائشة: (الحقي بأهلك) تطليقا، ويتعين أنها لم تعرفه.

---

[38] صحيح مسلم حديث رقم 2007

[39] بموقع الإسلام سؤال وجواب فتوى رقم 118282 تاريخ النشر: 30-09-2008

وإن كانت القصة متعددة –ولا مانع من ذلك– فلعل هذه المرأة هي الكلابية التي وقع فيها الاضطراب". فتح الباري"[40]

نأتي الأن للتبرير الثاني والذي يثير الشفقة حيث يدّعي الفقهاء أن إحدى زوجات النبي والمقصود عائشة أو حفصة دخلت على الجونية وأخبرتها أن الرسول محمد يحب أن يستعاذ بالله منه فإن دخل عليك فإستعيذي بالله منه.

حيث يذكر بعض أهل العلم أن سبب استعاذتها من النبي ما حدثها به بعض أزواجه، حيث أوهموها أن الرسول يحب هذه الكلمة، فقالتها رغبة في التقرب إليه، وهي لا تدري أن الرسول محمد سيعيذها من نفسه بالفراق إن سمعها منه.

جاء ذلك من طرق ثلاثة:

الطريق الأولى: يرويها ابن سعد[41]، والحاكم في"المستدرك"[42]، من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو ضعيف في الحديث.

والطريق الثانية: يرويها ابن سعد في الطبقات[43] بسنده عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال: (الجونية استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لها: هو أحظى لك عنده. ولم تستعذ منه امرأة غيرها، وإنما خدعت لما رؤي من جمالها وهيئتها، ولقد ذكر لرسول الله من حملها على ما قالت لرسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهن صواحب يوسف).

الطريق الثالثة: رواها ابن سعد أيضا في "الطبقات" قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: (تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت النعمان، وكانت من أجمل أهل زمانها وأشبهم، قال فلما جعل رسول الله يتزوج الغرائب قالت عائشة: قد وضع يده في الغرائب يوشكن أن يصرفن وجهه عنا. وكان خطبها حين وفدت كندة عليه إلى أبيها، فلما رآها نساء النبي صلى الله عليه وسلم حسدنها، فقلن لها: إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله منه إذا دخل عليك. فلما دخل وألقى الستر مد يده إليها، فقالت: أعوذ بالله منك فقال: أمن عائذ الله! الحقي بأهلك).

---

[40] فتح الباري ج 9ص 358

[41] الطبقات الكبرى ج 8ص 143-148

[42] الحاكم في المستدرك ج 4 ص 34

[43] الطبقات الكبرى ج8 ص144

ورد في الأثر،أخبرنا هشام بن محمد، حدثني ابن الغسيل، عن حمزة بن أبي أسيد الساعدي، عن أبيه-وكان بدريا– قال: (تزوج رسول الله أسماء بنت النعمان الجونية، فأرسلني فجئت بها، فقالت حفصة لعائشة أوعائشة لحفصة: اخضبيها أنت وأنا أمشطها، ففعلن، ثم قالت لها إحداهما: "إن النبي، صلى الله عليه وسلم يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول أعوذ بالله منك. فلما دخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر مد يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك.فقال بكمه على وجهه فاستتر به وقال: عذت معاذا، ثلاث مرات. قال أبو أسيد ثم خرج علي فقال: يا أبا أسيد ألحقها بأهلها ومتعها برازقيتين، فكانت تقول: دعوني الشقية)[44].

وهذه الطرق قد يعضد بعضها بعضا ويستشهد بمجموعها على أن لذلك أصلا.

والسبب الأقرب والذي لا يحتمل تبرير لإستعاذة الجونية من الرسول محمد هو احتقارها له وتكبّرها.

حيث ذكر بعض أهل الفقهاء أن سبب استعاذتها هو تكبرها، حيث كانت جميلة وفي بيت من بيوت ملوك العرب، وكانت ترغب عن الزواج بمن ليس بِمَلِك، وهذا يؤيده ما جاء في الرواية المذكورة أعلاه، وفيها: **(فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: هبِي نَفْسَكِ لِي. قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ. قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ. فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. فَقَالَ: قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ. ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: يَا أَبَا أَسَيْدٍ اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا).**

يقول الحافظ :"(السُّوقة) قيل لهم ذلك لأن الملك يسوقهم فيساقون إليه، ويصرفهم على مراده، وأما أهل السوق فالواحد منهم سوقي. قال ابن المنير: هذا من بقية ما كان فيها من الجاهلية، والسوقة عندهم من ليس بملك كائنا من كان، فكأنها استبعدت أن يتزوج الملكة من ليس بملك، وكان صلى الله عليه وسلم قد خير أن يكون ملكا نبيا، فاختار أن يكون عبدا نبيا، تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لربه، ولم يؤاخذها النبي صلى الله عليه وسلم بكلامها، معذرة لها لقرب عهدها بجاهليتها" فتح الباري[45].

---

[44] المصدر السابق

[45] فتح الباري ج9 ص358

إن ما قامت به الجونية برفضها أن تهب نفسها للرسول محمد وسخريتها منه يعد عملا بطوليا في ذاك الوقت، ولعل محمد وجد نفسه في موقفا لم يقع به من قبل فالكل كان يخشاه ويخشى غضبه وأمام قوة الجونية وثقتها بنفسها وكبريائها استسلم الرسول و هنا يتبجح بعض الفقهاء بالقول أن ترك محمد للجونية يعد أحد مظاهر رفقه بها وعدم فرضه لنفسه بالقوة ورحمته وكرمه اللامتناهي، فأين هذا الكرم عندما تزوج الطفلة عائشة؟ هل استشارها عندما وطئها وهي في التاسعة من عمرها.

4-زواج الرسول من صفية بنت حيي

لا أدري لماذا لم تهتم السينما العربية بتسليط الضوء على سيرة زوجات الرسول وهن أمهات المؤمنين وفي المقابل نجد تركيزا مفرطا على أعداء محمد نساءً ورجالا كهند بنت عتبة وعبد العزى وشهرته "أبو لهب".

من الواضح أنّ صنّاع السينما لم يجدوا في سيرة زوجات الرسول ما يمكن نقله فاكتفوا بقصة الراعي الأمي الفقير الذي تزوجته السيدة الغنية خديجة.

لقد كان زواج الرسول محمد من صفية بنت حيي بن أخطب كان مشهدا قاسيا جدا تمر به امرأة. وبنو النضير هي قبيلة يهودية كانت تسكن غرب شبه الجزيرة العربية حتى القرن السابع الميلادي في المدينة المنورة (يثرب)، قام الرسول محمد بطردهم من أرضهم بعد أن قام بغزوهم وسبى نسائهم وصارت أرزاقهم له غنيمة وبعد هذه الحادثة أعلن محمد قيام دولته الإسلامية على أرض يثرب.

وقد ورد ذكر هذه الحادثة في سورة الحشر:

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوالعَزِيزُ الْحَكِيمُ(1) هُوالَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ ما ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعتَبِرُواْ يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ(2)وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ(3)ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ(4) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوتَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيخْزِيَ الفَاسِقِينَ(5))[46].

غزوة بني النضير حدثت في السنة الرابعة الهجرية في ربيع الأول في منازل بني النضير جنوب المدينة المنورة بين ميليشيات المسلمين في المدينة ويهود بني النضير الذين بلغ عددهم 1500 وقتل أقدم المسلمين على إرتكاب مجزرة ترتقي للمحرقة في حق يهود المدينة.

ويدعي الفقهاء أن المسلمين قتلوا اليهود و طردوهم بسبب محاولتهم تسميم النبي وهذه قصة لا سند تاريخي لها.

أما الأصح فهو ما ورد في صحيح البخاري[47]: قال عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أقركم ما أقركم الله به. حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال" بينما نحن في المسجد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال انطلقوا إلى يهود فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال أسلموا تسلموا واعلموا أن الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله.

وهذه الرواية تؤكد الرغبة المبيّتة لطرد اليهود من ديارهم والإستلاء على أملاكهم دون الحاجة إلى الإدعاء بأنهم خانوا العهد.

وفعلا استطاع الرسول التخلص من القبائل الثلاثة في المدينة (يثرب) في خمس سنوات فقط.رغم أنهم سكنوا يثرب لعدة قرون كما يحدثنا التاريخ.

وتأتي الرواية لتقول بأن جبريل والملائكة كانوا يقاتلون مع المسلمين في غزوة الخندق وقبل أن يضع محمد سلاحه دخل عليه جبريل وقال له لا تضع سلاحك أخرج إليهم قال أين فأشار إلى بني قريظة. هكذا تصور كتب التراث الإسلامي الله وجبريل ورسوله كجماعة تهوى الغزوات والقتال.

---

[46] سورة الحشر الآية1-5

[47] صحيح البخاري كتاب الجزية باب اخراج اليهود من جزيرة العرب حديث رقم 2996

ورد في تاريخ الطبري :[48]

"فَلَمَّا كَانَتِ الظُّهْرُ أَتَى جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ، مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، عَلَى بَغْلَةٍ عَلَيْهَا رِحَالَةٌ، عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ، فَقَالَ: أَقَدْ وَضَعْتَ السِّلاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ جِبْرِيلُ: مَا وَضَعَتِ الْمَلائِكَةُ السِّلاحَ، وَمَا رَجَعَتِ الآنَ إِلا عَنْ طَلَبِ الْقَوْمِ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ يَا مُحَمَّدُ، بِالسَّيْرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. وَأَنَا عَامِدٌ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُنَادِيًا، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ: إِنَّ مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلا يُصَلِّيَنَّ الْعَصْرَ إِلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِرَايَتِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَابْتَدَرَهَا النَّاسُ، فَسَارَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، عَلَيْهِ السَّلامُ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْحُصُونِ سَمِعَ مِنْهَا مَقَالَةً قَبِيحَةً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْهُمْ، فَرَجَعَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالطَّرِيقِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا عَلَيْكَ، أَلا تَدْنُوَنَّ مِنْ هَؤُلاءِ الأَخَابِثِ؟ قَالَ: لِمَ؟ أَظُنُّكَ سَمِعْتَ لِي مِنْهُمْ أَذًى؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: لَوقَدْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا. فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ حُصُونِهِمْ، قَالَ: يَا إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ، هَلْ أَخْزَاكُمُ اللَّهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ؟ قَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا كُنْتَ جَهُولا. وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أَصْحَابِهِ بِالصُّورَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. فَقَالَ: هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيُّ، عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ عَلَيْهَا رِحَالُهُ، عَلَيْهَا قَطِيفَةُ دِيبَاجٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ جِبْرِيلُ، بُعِثَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلْزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ، وَيَقْذِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ. فَلَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَنِي قُرَيْظَةَ، نَزَلَ عَلَى بِئْرٍ مِنْ آبَارِهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، يُقَالُ لَهَا: بِئْرُ أَنَّا، فَلاحَقَ بِهِ النَّاسُ، فَأَتَاهُ رِجَالٌ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ، وَلَمْ يُصَلُّوا الْعَصْرَ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"، لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْهُ بُدٌّ مِنْ حَرْبِهِمْ، وَأَبَوْا أَنْ يُصَلُّوا لِقَوْلِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى يَأْتُوا بَنِي قُرَيْظَةَ، فَصَلَّوُا الْعَصْرَ بِهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ الآخِرَةِ، فَمَا عَابَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، وَلا عَنَّفَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْحَدِيثُ عَنْ

---

[48] تاريخ الطبري باب غزوة بني قريضة رقم الحديث 657

مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ" (حديث مرفوع).

كما ورد في صحيح البخاري:[49]حدثنا زكرياء بن يحيى حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان ابن العرقة وهوحبان بن قيس من بني معيص بن عامر بن لؤي رماه في الأكحل فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل عليه السلام وهوينفض رأسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعته اخرج إليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم فأين فأشار إلى بني قريظة فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكمه فرد الحكم إلى سعد قال فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم.

ماذا كان يفعل جبريل والملائكة وسيوفهم لم توضع بعد معركة الخندق التي لم يحدث فيها قتال اصلا، من كانت الملائكة تقاتل يومها؟

وفي لفظ أخر من السيرة الحلبية[50]"غفر الله لك، أوقد وضعتم السلاح قبل أن تضعه الملائكة؟ فقال رسول الله: نعم، قال: فوالله ما وضعناه وان الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم،: بمن معي من الملائكة، فمزلزل بهم الحصون،فقال رسول الله: إن في أصحابي جهدا فلو نظرتهم أياما، فقال جبريل: إنهض إليهم، فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا، ولأدخلن فرسي هذا عليهم في حصونهم ثم لأضعضعنها".

قام محمد بتوجيه شتائم مهينة ليهود بني قريظة كما ذكر في السيرة الحلبية حيث قال لهم" أجيبوا يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وفي بعض الروايات "يا احفاد القردة والخنازير" ورد بالسيرة الحلبية التالي:

---

[49]صحيح البخاري كتاب المغازي باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم

[50] علي برهان الجين الحلبي السيرة الحلبية

فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم: قال يا إخوان القردة هل أخزاكم الله، وأنزل بكم نقمته؟ قال: وفي روآية نادى بأعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال: أجيبوا يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت:هل أخزاكم الله، وأنزل بكم نقمته؟ أتشتموني، فجعلوا يحلفون ويقولون ما قلنا هذا ويقولون: يا أبا القاسم ما كنت جهولا، وفي لفظ: ما كنت فاحشا.[51]

وفي روآية: تقدم الرسول إلى يهود أسيد بن حضير رضي الله عنه، فقال لهم: يا أعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا، إنما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر.

لقد غزا محمد وأصحابه بني قريضة لأسباب مادية فقد كان محمد وجيشه في حاجة إلى أراضي وأملاك اليهود لبناء دولته الإسلامية.

في غزوة بني قريضة إرتكب المسلمين أبشع الجرائم في حق الإنسانية وتم نحر سيد القبيلة حيي بن أخطب والد صفية وزعيم بني النضير وكان حيي قد دخل مع بني قريظة في حصنهم بعد الجلاء، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب ابن أسد بما كان عاهده عليه.

أُتي بحيي بن أخطب، وعليه حلة له فقّاحية قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يُسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فلما نظر إلى محمد، قال: أما والله ما لمت نفسي في عدواتك، ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر ملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فتم ذبحه.

بعد نحر رجال بني قريظة تم سبي نسائهم وكانت صفية بنت حيي أول السبايا وقد قتل والدها وزوجها في تلك الواقعة، لم يسمع الرسول محمد جمالها في البدآية وكانت من نصيب أحد أصحابه ورد في الفوائد السموآية الحديث التالي وقد ثبت في الصحيحين:

---

[51] السيرة الحلبية غزوة بني قريظة ج2 الصفحة 660

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الطَّيَالِسِيُّ، ثنا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ: " أَنَّ صَفِيَّةَ وَقَعَتْ فِي سَهْمِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، فَاشْتَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعَةِ أَرْؤُسٍ"[52].

وفي روآية أخرى في الصحيحين أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر ودخلها عنوة وجمع السبي، فجاءه دحية: فقال يا رسول الله أعطني جارية من السبي. فقال: اذهب فخذ جارية. فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيد قريظة والنضير ما تصلح إلا لك. قال: ادعوه بها. قال: فجاء بها فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال: خذ جارية من السبي غيرها. قال: وأعتقها وتزوجها.[53] قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: كأنه ظهر له من ذلك عدم رضا الناس باختصاص دحية بمثلها، فخاف الفتنة عليهم فكره ذلك.

وفي شرح النووي عن صحيح مسلم: رأى في إبقائها لدحية مفسدة لتميزه بمثلها على باقي الجيش، ولما فيه من انتهاكها مع مرتبتها وكونها بنت سيدهم، ولما يخاف من استعلائها على دحية بسبب مرتبتها، وربما ترتب على ذلك شقاق أو غيره، فكان أخذه صلى الله عليه وسلم إياها لنفسه قاطعا لكل هذه المفاسد المتخوفة.

ودون البحث في هذه التبررات- التي لا تغني عن جوع لنتأمل القصة جيدا هل يعقل أن يقتل الرسول محمد زوج صفية وأباها وقبيلتها ويتزوجها في ذات الليلة ثم يأتي الفقهاء ويقولون بأن الله كرّمها بزواجها من محمد وأن الرسول أحسن إليها بنكاحها؟

أي تكريم هذا؟ لا يمكن لعاقل أن يتخيّل ما شعرت به صفية يوم دخل عليها قاتل أباها وعشيرتها. نترك للعقلاء المجال للتفكير في سيرة محمد كما تحدثت عنها كتب التراث.

---

[52] الفوائد السماوآية و رواه مسلم في الصحيح في النكاح حديث رقم 2566

[53] راجع صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر و صحيح مسلم باب زواج النبي من صفية

5-قصة زواج الرسول من بنت الضحاك

وفي سياق حديثنا عن النساء حول الرسول نستذكر قصة طلاق الرسول محمد من

فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية وقد اختلف الفقهاء في فقال قائل هي فاطمة بنت الضَّحَّاك بن سفيان الكلابي، وقال قائل: عَمْرَة بنت يَزِيد بن عُبيد بن رُوَاس بن كِلاب بن ربيعة بن عامر.

أورد الرواة روايات متضاربة عن سبب مفارقة الرسول لابنة الضحاك لكن أقرب روآية أن النبي تزوّج من بنت الضحاك وعندما أراد أن يدخل بها لاحظ وجود ابيضاض في جبينها فشك أنه برص فاشمئز منها وطلّقها وتزوجت بعده إبن عم لها قبل أن يحرم محمد زواج النساء اللاواتي دخل بهن من غيره.

قال ابن منده[54]: إنه طلقها ولم يدخل بها، وإنها تزوجت - قبل أن يحرّم الله عز وجل نساءه - ابن عم لها من قومها، فولدت فيهم. وقيل: إنها هي التي رأى بها بياضًا فطلقها.

روى أبو نعيم هذا من حديث سعيد بن أبي عَرُوبة، وروي عن الزهري: أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم طلق العالية بنت ظبيان، فتزوجها ابن عم لها، وذلك قبل أن يُحَرِّم الله على الناس نكاحهنّ[55].

وعن ابن عمر قال: كان في نساء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سبا بنت سفيان بن عوف بن كعب ابن أبي بكر بن كلاب. قال: وقال ابن عمر: إنّ النبيّ، صلى الله عليه وسلم، بعث أبا أسيد الساعدي يخطب عليه امرأة من بني عامر يقال لها عَمْرَة بنت يزيد بن عُبَيْد بن رُوَاس بن كلاب فتزوّجها فبلغه أنّ بها بياضًا فطلّقها.[56]

وقد ورد في البدآية والنهآية[57]قال الزهري: تزوج رسول الله امرأة من بني عمرو بن كلاب فأنبئ أن بها بياضا فطلقها، ولم يدخل بها.

---

[54]ابن منده، الاستعاب في معرفة الاصحاب ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ج 7ص 186

[55] اخرجه ابو النعيم من طريق الليث عن عقيل عن الزهري في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة

[56]عمدة القاريء في شرح صحيح البخاري كتاب الطلاق حديث رقم 5255 صفحة 233

[57]البدآية والنهآية الجزء الخامس باب زوجاته و أولاده ج5 ص 3

وفي الطبقات الكبرى[58] أورد التالي أخبرنا محمد بن عمر، حدّثنا محمّد بن عبد الله، عن الزُّهْرِي قال: الكلابيّة المعروفة بابنة البرصاء.سمّاها أبو عبيدة، وذكرها فيمن تزوَّجها النّبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وبالرجوع إلى الرويات التي وإن إختلفت في الإجماع حول اسم الكلابية بنت الضحاك إلا أنها لم تختلف في علّة الطلاق وهي إصابتها بالبرص فهل يقبل من نبي أن يطلق زوجته لأنها برصت؟ الإنسانية تفرض عليك أن تساند المريض وتكون له معين لا أن تتركه وتتخلى عنه فمابالك بزوجتك فهل ما قام به الرسول تصرف إنساني؟

ربما يعود تصرف محمد غير الإنساني مع زوجته إلى الفكرة الشائعة في العصور القديمة أن البرص لعنة من الآلهة وكانت العرب تتقزز من كل من به برص ،والرسول محمد بدلا من أن يحارب هذه الأفكار السيئة المنتشرة عند العرب في تلك الفترة كان يعمل بها بل وكرّسها في قومه.

إن قصة بنت الضحاك المرأة المهانة التي طلقها زوجها ليلة زواجها لسبب بسيط تعطينا صورة أوضح حول الشخصية الرسول محمد وعلاقته بالنساء وهنا تنتفي كل الحجج التي يحاول بها كهنة الإسلام تبرير أخطاء النبي الواردة في كتب التراث المقدسة أكثر من الإله نفسه.

---

[58] الطبقات الكبرى ج8 ص 359

الصحابي الذي قتل أباه

وأنا أبحث في كتب التراث أتسأل أحيانا كثيرة هل يعي المسلمون ما تحويه كتبهم من روايات وتفاسير تقشعر منها الأبدان؟

هل يقبل عقل المسلم أن صحابيا مبشّرا بالجنة يرتكب جريمة قتل في حق أبيه؟

سنتحدث هنا عن أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح الذي قتل اباه في غزوة بدر.

هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي، صحابي وقائد مسلم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، لقَّبَهُ النّبيُّ محمدٌ بأمين الأمة حيث قال:«إن لكل أمّة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة: أبو عبيدة ابن الجراح».

وقالِ له أبو بكر الصديق يوم سقيفة بني ساعدة:«قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح»[59].

ومن خلال هذا نتبين الفضل العظيم لأبو عبيدة على الإسلام ما جعل محمد يثني عليه ويرشحه أبو بكر للخلافة.

و في أبو عبيدة ابن الجراح نزلت آية الولاء والبراء وهي قوله:

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْكَانُوا آبَاءهُمْ أَوأَبْنَاءهُمْ أَوإِخْوَانَهُمْ أَوعَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22) [60].

قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك

---

[59] تاريخ الطبري باب تاريخ الامم و الملوك ص 235

[60] سورة المجادلة الآية22

الستة، رضي الله عنهم:" ولوكان أبو عبيدة حيا لاستخلفته".وتأتي ثقة عمر ومحمد وأبو بكر في شخصية أبو عبيدة من أنه قتل أباه فداءً لمحمد ومن يجرء على مثل هذه الجريمة البشعة.

وقال سعيد بن عبد العزيز في تفسير هذه الآية أيضا، قيل في قوله: (ولو كانوا آباءهم) نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر (أو أبناءهم) في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، (أو إخوانهم) في مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد ابن عمير يومئذ (أوعشيرتهم) في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة يومئذ، والله أعلم.

ويقول سعيد قلت: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم- المسلمين في أسارى بدر ورد ذكر الروآية بالرحيق المختوم:

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة استشار أصحابه في الأسارى، فقال أبو بكر:

يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهداهم الله، فيكونوا لنا عضدا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان- قريب لعمر- فأضرب عنقه، وتمكن علي من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم.

فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر- وهما يبكيان- فقلت يا رسول الله أخبرني ما يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«للذي عرض عليّ أصحابك: من أخذهم الفداء، فقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة ، شجرة قريبة.

وأنزل الله تعالى: ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ، تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ الأنفال68.[61]

هنا نجد أن الرسول محمد شعر بالندم بعد أن أطلق الأسرى مقابل المال. وكان عددهم أربعة آلاف أسير. وحسب الآية فإن الله عاتب محمد لإطلاقه الأسرى دون أن يستشيره أو ينتظر الوحي. يعني أن الله أراد أن يقوم محمد وأصحابه بتعذيب الأسرى وذبحهم.

الآية 22 من سورة المجادلة التي ذكرناها سابقاً من أخطر النصوص الواردة بالقرآن والتي تتخذ منها التنظيمات المتطرفة قاعدة لقتال العالم، هذه الآية تحدد علاقة المسلمين بغير المسلمين بشكل صريح وجلي دون لبس ولا غموض، حيث إنها تحرم على المسلمين أن يتخذوا أولياء لهم من غير المسلمين سواء آكانوا يهودا ونصارى كما ورد بالقرآن :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[62].

يحرم القرآن على المسلمين أن يتخذوا أولياء أو بطانة من دون المؤمنين يقول :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)[63].

ويحرم على المسلمين اتخاذ الكافرين بمختلف مشاربهم أولياء من دون المؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً)[64].

ويحرم على المسلمين اتخاذ أولياء ممن يسخر بالدين الإسلامي سواء كانوا محسوبين على الإسلامين أو غير محسوبين :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ

---

[61] سعيد بن عبد العزيزي كتاب مختارات من علوم.القرآن لتركي ين الحسن الدهماني الباب الثاني

[62] سورة المائدة الآية 51

[63] سورة ال عمران الآية 118

[64]سورة النساء الآية 144

هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[65].

ويحرم على المسلمين أن يتخذوا من أعداء الإسلام أولياء أونصرا:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)[66].

ويحرم على المسلمين اتخاذ الآباء والأجداد والأقرباء أولياء إذا استحبوا الكفر على الإيمان :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[67].

ومن هذا المنطلق قتل أبو عبيدة ابن الجراح أباه:

روى الطبراني والحاكم والبيهقي أن أبا عبيدة قتل أباه الجراح يوم بدر، جعل يتصدى له، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله، فنزل قول الله تعالى: لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوكَانُوا آبَاءَهُمْ أَوأَبْنَاءَهُمْ أَوإِخْوَانَهُمْ أَوعَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[68].

وتذكر كتب الحديث أن أبا عبيدة كان رجلا غليظ.شديدا لا يفقه شيئا إنما يهوى القتال لذلك كان محمد يرأسه على رأس الجيش وقد قاد أكثر من سارية للقتال : سرية ذات السلاسل، سرية الخَبَط، وسارية تحمل اسم أبو عبيدة: حيث بعث النبي محمد أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة 6هـ و سبب السرية هو أن أبو عبيدة قد بلغه أن بعض القبائل يريدون أن يُغيروا على

---

[65]سورة المائدة الآية 57

[66]سورة الممتحنة الآية 23

[67] سورة التوبة الآية23

[68]سورة المجادلة الآية22

سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه وبين المدينة سبعة أميال، فصلوا المغرب، ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الفجر، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم ففروا هربا في الجبال، وأسروا رجلا واحدا، وأخذوا نعما من نعمهم ورثة، أي ثيابا خَلِقةً من متاعهم، وقدموا بذلك إلى المدينة، فخمسه النبي محمد، وأسلم الرجل، فتركه.

كان لأبي عبيدة بن الجراح تأثيرٌ في يوم سقيفة بني ساعدة، وقصة يوم سقيفة بني ساعدة كما رواها البخاري : قالت عائشة:

«إن رسول الله مات وأبو بكر بالسُّنح، فقام عمر يقول: «والله ما مات رسول الله وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم»، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله فقبَّله، قال: «بأبي أنت وأمي، طبتَ حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً»، ثم خرج... واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: «منا أمير ومنكم أمير»، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر،ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء»، فقال حباب بن المنذر: «لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير»، فقال أبو بكر: «لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم (يعني قريش) أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح»، فقال عمر: «بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ».[69]

وفي قصة يوم السقيفة شاهدان لهما مدلولات على شخصية أبي عبيدة بن الجراح: الأول: ذهاب أبي عبيدة بصحبة أبو بكر وعمر إلى سقيفة بني ساعدة عندما علم بخبر اجتماع الأنصار لتأمير أحدهم. الثاني: قول أبو بكر «بايعوا عمر أوأبا عبيدة»، وهذا يدل على أنه كان أهلا للخلافة، في منزلة أبو بكر وعمر، مع العلم أن أبا عبيدة لم يكن من أعيان قريش، ولكنه حصل على الكفاءة بخدمته الجليلة في الإسلام، وبتفرّده وتفوّقه في مناقب القيادة، حتى وصفه النبي محمد بأنه «أمين هذه الأمة». وقد أخرج مسلم عن أبي مليكة قال: سألتُ عائشة: «مَن كان رسول الله مستخلفاً

---

[69] البخاري في كتاب فضائل الصحابة حديث رقم 3467

لو استخلفه؟»، قالت: «أبو بكر»، فقيل لها: «ثم مَن بعد أبو بكر؟»، قالت: «عمر»، ثم قيل لها: «مَن بعد عمر؟»، قالت: «أبو عبيدة بن الجراح» ثم انتهت إلى هذا. ورُوي أن عمر بن الخطاب قال: «لوكان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته، فإن سألني ربي عنه قلت: استخلفت أمين الله وأمين رسوله».

ومن هنا نتبين أن أبا عبيدة عامر بن الجراح كان الذراع القوية التي يعتمد علىها محمد في عزواته وكان يأمنه على قيادة الجيش وكان يثني عليه وعلى طاعته لأوامره وهذا ما جعله يبلغ مرحلة قتل أباه لأجل محمد. فالظاهر أن أبا عبيدة كان يعاني من عارض نفسي صنع هوة بينه وبين والده وقد وجد في محمد وأصحابه البديل العاطفي بعد فقدانه للحنان الأبوي ، ومن هنا كانت طاعته عمياء لمحمد وأصحابه، بهذه الطريق يصنع الإنتحاريين اليوم. فالمتطرف إنسان يعاني من إضطرابات نفسية أدت به الى حالة من الجمود العقائدي والإنغلاق العقلي وبالتالي يكون فريسة سهلة يستغلها أصحاب الفكر المتشدد.

إن الذي ينظر بعين النقد لقصة أبو عبيدة عامر بن الجراح سيرى في سيرته إساءة كبيرة للرسول محمد وأصحابه،وربما وجود مثل هذه الروايات في كتب الأثر سوف يساهم في هجر الإسلام كما سيساهم في تكريس و بث الحماس في العقيدة الجهادية.

حول بعض أعداء الرسول

1-قصة أول مرتد في الإسلام

من أخطر الأحداث التي شكلت تهديدا كبيرا للإسلام في بدايته هي قصة إرتداد عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي يتحاشى معظم من كتبوا عن تاريخ الإسلام ذكر اسمه لأنّه يمثل حالة لا تمنح فرصا كبيرة للتّأويل، زيادة على كونه من الصّحابة ومن المبشّرين بالجنّة أي أنّه منح تأشيرة محمّديّة لدخول الجنّة. فأيّ تشكيك في حكايته يمثّل تشكيكا في الإسلام نفسه.

لكن من هو عبد الله بن أبي سرح؟

هو عبد الله بن سعد بن أبى السرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالكابن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش، العامري القرشي.أسلم عبد الله بن أبي السرح أول مرة قبل صلح الحديبية وهاجر إلى المدينة المنورة وكان حسن الإسلام وموضع ثقة النبي، وأناله النبي مهمة كتابة الوحي مع عدد من الصحابة الكتّاب.

ارتدّ عبد الله بن أبي سرح عن الإسلام.

ورد في الروآية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِى سَرْحٍ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَزَلَّهُ الشَّيْطَانُ فَلَحِقَ بِالْكُفَّارِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُقْتَلَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَاسْتَجَارَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَأَجَارَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. رواه النسائي[70] وأبو داود[71] وحسَّنه الألباني في "صحيح النسائي"[72].

وتقول تفصيل القصة أن ابن أبي السرح كان يكتب الوحي عن الرسول محمد وذات مرة أخطأ في الكتابة حيث أملى عليه محمد (سميعًا عليمًا) كتب هو: (عليمًا حكيمًا)

---

[70] النسائي حديث رقم (4069)

[71] أبوداود حديث رقم (4358)

[72] صحيح الجامع للألباني

وقرأها على الرسول ولم ينتبه هو أيضا للخطأ فشكّ عبدالله بن أبي السرح في الأمر وبدأ يتسأل لماذا لم ينتبه الرسول للخطأ ألم ينبهه ربه لذلك؟ و بدأ يختبر محمد ويقوم ببعض التغييرات في الآيات ويعيد قرأتها والرسول لا ينتبه حتى كانت القطرة التي أفاضت الكأس فعندما نزلت سورة "المؤمنون" دعاه محمد ليكتبها. فأملاها عليه حتى بلغ آية الخلق"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ "[73] فلما انتهى إلى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان فقال: فتبارك الله أحسن الخالقين. فقال محمد: وهكذا أنزلت عليّ. فشكّ عبد الله حينئذ وقال" لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال. وإرتد عن الإسلام ولحق بالكفار في مكة وبدأ يحارب الدعوة المحمدية ويتهمه بالكذب وكان محمد قد أهدر دمه ووعد من يقتله بالفوز بالجنة.

وقيل هو الذي نزلت في شأنه الآية :"ومن أظلم ممن إفترى على الله كذبا أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله" [74]. نلاحظ في هذه الآية أنّها تتّهم عبد الله بن أبي سرح بالإفتراء على الله وإدّعاء النبوّة، أي الكفر بمحمّد وبربّه. وفي "أسباب النّزول" لنّيسابور نقرأ تفسير هذه الآية كما يلي: "قوله تعالى «ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله» نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلّم بالإسلام، فدعاه رسول الله ذات يوم يكتب له شيئا، فلمّا نزلت الآية التي في المؤمنين «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة» أملاها عليه، فلمّا إنتهى إلى قوله «ثمّ أنشأناه خلقا آخر»، عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان، فقال: «تبارك الله أحسن الخالقين»، فقال رسول الله: هكذا أنزلت عليّ، فشكّ عبد الله حينئذ، وقال: لئن كان محمّد صادقا لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال، وذلك قوله «ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله» وإرتدّ عن الإسلام. وهذا قول إبن عبّاس في روآية الكلبي".[75]

---

[73] سورة المؤمنون 12-14

[74] سورة الانعام الآية 93

[75] أسباب النّزول لأبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي النّيسابوري

وفي روآية أخرى نجدها في "تفسير الطّبري" نقرأ: "حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضّل قال: حدثنا أسباط، عن السّدّي: «ومن أظلم ممّن افترى على الله كذبًا أو قال أوحي إليّ ولم يوحَ إليه شيء» إلى قوله: تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُون. قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أسلم، وكان يكتب للنّبي صلّى الله عليه وسلّم، فكان إذا أملى عليه: «سميعًا عليمًا»، كتب هو: «عليمًا حكيمًا»، وإذا قال: «عليمًا حكيمًا» كتب: «سميعًا عليمًا»، فشكّ وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحي إليّ، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله! قال محمد: «سميعًا عليمًا» فقلت أنا: «عليمًا حكيمًا» فلحق بالمشركين، ووشى بعمّار وجبير عند ابن الحضرمي، أولبني عبد الدار. فأخذوهم فعُذِّبوا حتى كفروا، وجُدِعت أذن عمّار يومئذ. فانطلق عمّار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما لقي، والذي أعطاهم من الكفر، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولاه، فأنزل الله في شأن ابن أبي سرح وعمّار وأصحابه: من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئنّ بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا (النّحل،106)، فالذي أكره: عمّار وأصحابه والذي شرح بالكفر صدرًا، فهو ابن أبي سرح. وقال آخرون: بل القائل: «أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء»، مسيلمة الكذاب"[76].

استمر عبد الله بن أبي السراح على كفره بدعوة محمد حتى كان يوم دخول المسلمين إلى مكة وإحتلالها ما يعرف "بفتح مكة" وكان محمد أمر أصحابه بجز رقاب أعدائه الذي لم يعطهم الأمان كما يدعي الفقهاء وكان رأس عبد الله ابن أبي السراح من بين الرؤوس المطلوبة ففي يوم فتح مكة حدثت مجزرة في حق أعداء محمد الذين تم ذبحهم ومنهم الشعراء والراقصات وهذا الموضوع سيتم تفصيله في باب أخر من الكتاب.

هرب عبدالله بن أبي السرح واستنجد بأخيه من الرضاعة عثمان بن عفان صاحب محمد وأخذ يتوسل إليه وقال له أعود عن كفري وأتبع محمد المهم أن لا يقتلني، فذهب عثمان إلى محمد يتوسط عنده كي لا يقتل أخاه وجاء عبدالله بن ابي السراح ساجدا عند أقدام محمد يطلب منه الصفح فلم يلتفت إليه محمد ولم يجبه سكت كثيرا ثم قال نعم ودون أن ينظر إليه وبعد خروج عثمان وعبدالله نظر محمد

[76] تفسير الطبري ج5 ص 269

لأصحابه وقال لماذا لم يقم احدٌ منكم ويقطع رأسه ألم تلاحظوا عدم صفحي عنه فقال أحدهم لماذا لم تغمز إلينا كي نفهمك وفي روآية أخر أنه نظر لأحد الرجال وقال (هلا وفيت بنذرك في قتله) "الصارم المسلول[77]".

وهذه روآية مؤكدة ورد بالأثر في سنن أبي داوود:

حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال حدثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا أسباط بن نصر قال زعم السدي عن مصعب بن سعد عن سعد قال لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وسماهم وابن أبي سرح فذكر الحديث قال وأما ابن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك قال إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين قال أبو داود كان عبد الله أخا عثمان من الرضاعة وكان الوليد ابن عقبة أخا عثمان لأمه وضربه عثمان الحد إذ شرب الخمر.[78]

(خائنة الأعين): قال الخطابي: معنى خائنة الأعين أن يضمر بقلبه غير ما يظهره للناس، فإذا كف بلسانه وأومأ بعينه إلى خلاف ذلك وكان ظهور تلك الخيانة من قبل عينه فسميت خائنة الأعين.

وفي أسد الغابة: ففر عبد الله بن سعد إلى عثمان بن عفان فغيبه عثمان حتى أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اطمأن أهل مكة فاستأمنه له فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال نعم (ثم أقبل): النبي صلى الله عليه وسلم (فقال): وفي أسد الغابة: فلما انصرف عثمان قال رسول الله صلى الله عليه

---

[77] الصارم المسلول ابن تيمية ص 408-409

[78] سنن أبي داوود كتاب الجهاد باب قتل الأسير ج3 ص 60

وسلم لمن حوله ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه (رجل رشيد): قال الخطابي: معنى الرشيد هاهنا الفطنة لصواب الحكم في قتله.[79]

جاء في "المغازي" قوله:" وخرج هاربا من المدينة إلى مكة مرتدا، فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح، فلما كان يومئذ جاء ابن أبي سرح إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان أخاه من الرضاعة، فقال: يا أخي، إني والله اخترتك فاحتبِسني هاهنا، واذهب إلى محمد فكلِّمه في،فإن محمدا إن رآني ضرب الذي فيه عيناي، إن جرمي أعظم الجرم، وقد جئت تائبا".[80]

قال النووي: ثم أسلم ذلك اليوم عبد الله بن سعد بن أبى سرح، وحَسن إسلامه، ولم يظهر منه بعده ما يُنكر، وهو أحد العقلاء والكرماء من قريش، ثم ولاه عثمان مصر سنة خمس وعشرين، ففتح الله على يديه إفريقية، وكان فتحًا عظيمًا بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقالٍ ذهبًا، وشهد معه هذا الفتح عبد الله بن عمر، وعبد الله ابن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن سعد هذا فارس بني عامر بن لؤى، وغزا بعدَ إفريقية الأساودَ من أرض النوبة، سنة إحدى وثلاثين، وغزا غزوة الصواري في البحر إلى الروم.

وحين قُتل عثمان بن عفان اعتزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح الفتنة، فأقام بعسقلان، وقيل: بالرملة، وكان دعا بأن يختم عمره بالصلاة، فسلّم من صلاة الصبح التسليمة الأولى، ثم همّ بالتسليمة الثانية عن يساره، فتوفي سنة ست وثلاثين.[81]

أما المتأمل في قصة عبدالله بن أبي السراح يعي جيدا أن الرجل كان ذكيا وشديد الفطنة وطعنه في قرآن محمد كان عن بينة بالدليل والحجة وما كانت عودته للإسلام إلا خوفا من الذبح وإلتزم الصمت بعد ذلك بسبب خضوع كل القبائل لقوة الرسول محمد وأصحابه وأدركه أن لا فائدة من معاداة محمد والتسليم بالأمر الواقع. ولعل الرسول محمد رغب عن رقبته إسكاتا للمشككين فعودته للإسلام

---

[79] أسد الغابة في معرفة الصحابة ابن الأثير ج 3 ص 173

[80] المغازي للواقدي ج 2 ص 855

[81] تهذيب الأسماء واللغات للنووي ج1 ص 270

تعني توبته عن تكذيب محمد وبالتالي إسكات أصوات المعارضين بينما قتله قد يزيد من صدق إدعائه بكذب الرسول.

قصة عبدالله بن أبي السرح قصة لم نأتي بها من الخيال إنما هي واقعة مؤكدة بالأحاديث الصحيحة وآيات صريحة.

وهنا يكون للعاقل أن ينظر بعين الناقد في قصة أول مرتد عن دين محمد.

2-قصة النضر بن الحارث

النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف العبدري القُرشي وكنيته أبو فائد، سيد من أسياد قبيلة قريش ووجهائها، وأحد أعتى وأشرس أعداء محمد ودين الإسلام خلال الوقت المُبكر من تاريخه. هو أيضا كبير مثقفي ومفكري قريش في ذاك الوقت.

كان للنضر بثقافته ومعرفته بالحضارات السابقة القدح المعلى في إفشال الدعوة المحمدية في مرحلتها المكية ولهذا لم يتردد محمد في قتله عند الأسر.

في تلك الفترة من كان يقرأ ويكتب يُعتبر عالم، فالأمية حتى الألفية الجديدة مُنتشرة في بلاد العرب.فكيف برجل يقرأ ويكتب ويدرس ويعرف كل الأساطير مثل النضر؟

ورد في الأثر أن النضر بن الحارث قد تعلم في بلاد العجم والحيرة ضرب وعزف العود فلما قدم مكة علّم أهلها العزف فاتخذوا القينات، وكانت قريش لا تعرف من الغناء إلا النَّصْب (وهو ضرب من غناء العرب أرق من الحُداء) حتى قدم النضرابن الحارث فكان هو أول من ضرب على العود بألحان الفرس، وكان إذا سمع أن أحدا يُريد دخول الإسلام والإيمان بالنبي محمد يذهب إليه وينطلق به إلى قينته فيقول:«أطعميه واسقيه وغنيه، هذا خيرٌ مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تُقاتل بين يديه.» أي أن الغناء والموسيقى أفضل من العبادات وما

يأمر به الإسلام، فنزلت آية قرآنية فيه وهيّ: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوالْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ".[82]

أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال نزلت في رجل من قريش إشترى جارية مغنية.

وأخرج جويبر عن ابن عباس قال نزلت في النضر بن الحارث اشترى قينة وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول أطعميه وإسقيه وغنيه هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه.

النضر بن الحارث كان مثقف عصره في قريش طاف بلاد الروم والفرس ونجران وتعلم علومها وعرف أساطيرها وقصصها وتاريخها.

وكان الرسول مُحمد ينشر دعوته ونبوته و يعِد من ينصره بجنات عدن فيها حور عين وغلمان مخلدون وأنهار من الخمور والعسل. بالمقابل توعد الرسول من يعارض دعوته بأسلوب فيه كثير الترهيب والتخويف والترويع حيث يبشر كل من ينكر دعوته بإله سادي شوّاء يشوي المنكرين ويعيد جلودهم ليشويهم من جديد إلى أبد الأبدين.

كان الرسول محمد يأتي بقصص وأساطير قد ورد ذكرها في اليهودية وعند الروم والفرس.القصص وصلت إليه مشوشة لذا زاد في بعضها وأعاد تركيب بعضها وغيّر في بعضها ولهذا نجد الكثير من الأساطير التي تحدث عنها محمد مختلفة عن الروايات الأصلية الواردة في التوراة والإنجيل أو لديها مصدر أخرى.

تتحدث الكثر من الدراسات أن الفشل الكامل الذي انتهى إليه محمد في مكة يعود إلى النضر بن الحارث الشاب المثقف وقتها.

استمرت الدعوة في مكة قبل الهجرة 13 عاما وخلال 13 عاما كان أتباع محمد لا يتعدون الـ100 تابع،أكثرهم من الفقراء والمساكين، لماذا؟ لأنه فشل بالإقناع بالحجة والمنطق.

النضر أول من قال لقريش أن كلام محمد أساطير الأولين.

---

[82]سورة لقمان الآية 6

فكتب محمد آية: (إِذَاتُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ).[83]

هذه الآية تخاطب النضر بن حارث بشكل مباشر، كتبها محمد بعد أن قال النضر أن كلام محمد مجموعة من أساطير الأوليين.

يقول ابن عاشور: إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(13).[84]

وجملة: (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) صفة لمعتد أوحال منه. والآيات هنا القرآن و أجزاؤه لأنها التي تُتْلَى وتُقرأ.

والأساطير: جمع أسطورة وهي القصة، والأكثر أن يراد القصة المخترعة التي لم تقع.

والمراد بالأولين الأمم السابقة لأن الأول يطلق على السابق على وجه التشبيه بأنه أول بالنسبة إلى ثان بعده وإن كان هو قد سبقته أجيال، وقد كان المشركون يصفون القرآن بذلك لمَا سمعوا فيه من القصص التي سيقت إليهم مساق الموعظة والاعتبار، فحسبوها من الخرافات. وممن كانوا يقولون ذلك النضر بن الحارث وكان قد ترجم قصة رستم وقصة إسفنديار[85] من الفارسية الى العربية فكان يحدث بها في مكة ويقول: أنا أحسن حديثاً من محمد فإنما يحدثكم بأساطير الأولين.

قال الكلبي: المراد بالمعتدي الأثيم: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: النضر بن الحرث، وقيل: عام لكل من اتصف بالأوصاف المذكورة.

النضر بن الحارث كان يقول للمكيين اذا كانت تلك القصص التي يرويها محمد معيارً للنبوة فانه ايضاً يستطيع أن يدعي النبوة مثلما يفعل لانه يستطيع أن يروي أفضل منها بحكم ثقافته الواسعة. النضر بن الحارث كان يقول أنه يستطيع أن ينظم الشعر و السجع بما هو أحسن من آيات محمد.

قال ابن إسحاق:

وكان النضر قد قدم الحيرة وتعلّم بها أحاديث ملوك الفرس، فكان إذا جلس رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكّر فيه باللَّه وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم

---

[83] سورة المطففين الآية13

[84] الطاهر بن عاشور كتاب موجز البلاغة

[85] قصة رستم وقصة إسفنديار قصة فارسية تتحدث عن أنبياء يبشرون بالماجوسية

من الأمم من نقمة اللّه عزوجل، خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا واللّه يا معشر قريش أحسن حديثا منه، فهلم إليّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه. ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثا مني؟ وما أحاديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما كتبتها.[86]

قال ابن هشام[87]: وهو الذي قال فيما بلغني: سأنزل مثل ما أنزل اللّه.

قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس يقول فيما بلغني: إنه أنزل فيه ثماني آيات من القرآن: قوله تعالى: (إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ)وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن[88].

سنتعرف لاحقا لماذا اعدمه النبي على الفور عندما وقع في قبضته في غزوة بدر دون بقية الأسرى الذين أطلق سراحهم مقابل فدية.

المؤسف أن جميع ما كتبه أو قاله النضر في معارضة قرآن محمد شعر أو نثر قد اندثر كما اندثرت أشعار الهجاء التي قيلت في الرسول من مختلف الشعراء في ذاك الوقت.

ومن هنا أسس الإسلام أسطورة القائد الخالد الذي تبناها الزعماء العرب من حينها بحرق كل ما يكتب ضد القائد. حرق كتب المفكرين هوآية إسلامية مازالت مستمرة لليوم، لكن بوجود الأنترنت أصبحت المراقبة أمر مستحيل.

القصة تبدأ عندما أراد النضر إمتحان محمد أمام الناس جميعا وطلبه في مناظرة ليكشف زيف نبوته، فوقع الرسول في الفخ الذي رسمه النضر.

النضر بن الحارث ومعه عقبة بن أبي معيط جهزوا ثلاثة أسئلة للرسول محمد لإثبات نبوته وعلى الرسول الإجابة على هذه الأسئلة بكل بساطة.

السؤال الاول :عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجب (أهل الكهف).

---

[86] المغازب لابن اسحاق 85هـ-151هـ

[87] السيرة النبوية لابن هشام

[88] سورة القلم الآية15

السؤال الثاني:عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه (ذي القرنين).

والثالث: (عن الروح ما هي؟).

طلب مُحمد من المكيين أن يمهلوه لليوم التالي حتى يأتيهم بالأجوبة على هذه الأسئلة.

تقول بعد الرويات النقدية أن الرسول ذهب يسأل ورقة بن نوفل.
جاء اليوم التالي وذهب دون أن يفي الرسول بوعده. واليوم الثالث ولم يأتي محمد.
وأخذت الأيام تمضي والرسول عاجزعن الإجابة.

بعد خمسة عشريوما وبعد بحث طويل، عاد الرسول ومعه الأجوبة.

سألوه عن سبب التأخيرفقال الرسول أنه تأخرعلى الإجابة لسببين:

الأول: أنه لم يقل (ان شاء الله) حين وعد المكيين بالرد في اليوم التالي، وجاء هذا التبرير في شكل آية في سورة الكهف (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا الا ان شاء الله).[89]

الحجة الثانية: حديث له رواه ابوهريرة[90] يقول فيه أن جبريل أخبره بأن سبب إنقطاعه في تلك الأيام لوجود كلب أو جرو للحسن والحسين في بيته وأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب، لهذا لم يأتي الوحي طوال تلك الفترة.

تخيل هذه هي الأعذار التي أخرت الرسول...

الإجابات جاءت بعد قرابة الأسبوعين في شكل أيات :

السؤال الأول: أهل الكهف ما هو عددهم؟ الجواب:

(سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ)[91].

---

[89] سورة الكهف الآية 23

[90] رواه مسلم حديث رقم 1687

تخيل أن الله لايعرف كم عدد أهل الكهف و يراوغ في الإجابة. ستلاحظ في الآية الإرتباك مع أن الإجابة بسيطة عدد معين وكفى. ربما ثلاثة أو خمسة أو سبعة...!

وهذا يعني أن الرسول محمد بعد خمسة عشر يوما لم يأت بالإجابة الحاسمة وإن من أعانه على الإجابة قد زوده بمعلومات مشوشة كليا. والغريب في الآية أن الله يقول لمحمد في نفس الآية (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ).إذا كان هو أعلم بعدتهم فلماذا لايخبره بعددهم مباشرة؟

المُشكلة أن قصة أصحاب الكهف قصة خيالية، ألفها رجل دين مسيحي في القرن السادس الميلادي كقصة تعليمية للموعظة وانتشرت في أجزاء واسعة من أوربا ومن هناك جاءت إلى العرب مع التجار.من خلال هذا الجواب نتبيّن فشل الرسول في السؤال الأول.

السؤال الثاني: عن الرجل الطواف (ذي القرنين في القرآن)كانت الإجابة تُشبه سابقتها:

كان الرد في أيات قرآنية :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوعَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86)[92]

لم يذكر الرسول اسم هذا الرجل الطواف، بل تهرب بقصة أخرى وجعل الصحابة وكاتبي السيرة ومفسري القرآن إلى اليوم يتخبطون في تفسير الآية. لأنه لا يوجد مكان تغرب فيه الشمس وتشرق منه.كما أنه لم يذكر أي اسم، تهرب محمد من الجواب على السؤال بطريقة مباشرة، وإلى اليوم يحاول المفسرين تصحيح أخطائه لأنه لا يوجد مكان تغرب فيه الشمس.

وهنا أيضا نتبيّن فشل الرسول في الإجابة.

---

[91]سورة الكهف الآية 22

[92] سورة الكهف الآية 86

السؤال الثالث: ماهي الروح؟ الجواب كعادته آية لم تقدم أي جواب لسؤال بسيط وواضح:

رد في آية:وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا[93].

نعم الروح من أمر الله، لكن الله لم يخبر الرسول ماهي الروح إذا ؟

تخيل أن تسأل عالم فلك : ماهو الكسوف؟ فيجيبك تواصلت مع الله ويقول : الكسوف من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا.

مع أن مصطلح الروح لا أساس له علميا، خرافة من قبل الأديان تناقلتها الأجيال ومازالت مستمرة رغم التطور العلمي.

الرسول و بعد خمسة عشر يوما من الغياب خلافا لوعده لم يأتي بأجوبة واضحة وعجز أن يعطي الرقم الحقيقي لفتية أهل الكهف وفشل في أن يحدد شخصية ذي القرنين وماهية الروح.

وبسبب هذه الواقعة وجد محمد صعوبات كبيرة في اقناع أهل مكة بنبوته ،ولم يجد أي مكان لنشر دينه الجديد بعد هذه الخسارة المدوية أمام النضر وغيره من نوابغ قريش.

قال ابو إسحاق: فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

فقالت لهما أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبي، وإن لم يفعل، فهو رجل متقوّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

---

[93] سورة الإسراء الآية 85

فأقبل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمروبن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار اليهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فرَوْا فيه رأيكم.
فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ قال: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبركم بما سألتم عنه غدا، ولم يستثن، فانصرفوا عنه.
فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحُدث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكْث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة : ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية،والرجل الطواف، والروح.[94]

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبست عني يا جبريل حتى سُؤت ظنا، فقال له جبريل: (وما نتنزَّل إلا بأمر ربك، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك، وما كان ربك نسيا). فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله، لما أنكروه عليه من ذلك، فقال: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، إنك رسول مني: أي تحقيق لما سألوه عنه من نبوتك. (ولم يجعل له عوجا قيما) أي معتدلا، لا اختلاف فيه. (لينذر بأسا شديدا من لدنه): أي عاجل عقوبته في الدنيا. وعذابا أليما في الآخرة: أي من عند ربك الذي بعث رسولا. (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا، ماكثين فيه أبدا) :أي دار الخلد. (لا يموتون فيها) الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم، وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال. (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) يعني قريشا في قولهم: إنا نعبد الملائكة، وهي بنات

---

[94] نهاية الأرب في فنون الأدب ج 16 ص 155 الرواية لأبو اسحاق

الله. (ما لهم به من علم ولا لآبائهم) الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم. (كبرت كلمة تخرج من أفواههم): أي لقولهم: إن الملائكة بنات الله. (إن يقولون إلا كذبا، فلعلك باخع نفسك) يا محمد (على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا): أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجومنهم: أي لا تفعل. إلى أخر التفسير...[95]

كان كُره الرسول محمد للنضر يفوق التصور وكان يترقب اللحظة التي يضرب فيها رقبته، فهذا الرجل يعد العدوا الأول للإسلام وكما ورد في التفاسير فقد نزلت الكثير من الآيات في قصص تخصه.

فحدثت معركة بدر والتي نشبت نتيجة قطع محمد الطريق على قافلة أبي سفيان القادمة من الشام وسوف ندرس الحادثة في باب أخر.

إنتهت معركة بدر بإنتصار محمد وجيشه ووقع النضر بن الحارث في الأسر ضمن سبعين من المكيين.

أمر محمد بإطلاق سراح الأسرى مقابل فدية مالية واستثني النضر وعقبة بن أبي معيط من هذه المقايضة وأمر بقتلهما لأسباب معروفة بعد دراسة باب العداء بينه وبينهم.

وكان النضر قال بعد أسره للأسير الذي بجانبه:(محمد والله لقاتلي فانه نظر اليّ بعينين فيهما الموت).

روى الواقدي : ثم مضى النبي حتى إذا كان بالأثيل، وعُرض عليه الأسرى، فنظر إلى النضر بن الحارث فأبدّه البصر، فقال لرجل إلى جنبه: محمد والله قاتلي، لقد نظر إليّ بعينين فيهما الموت! فقال الذي إلى جنبه: والله ما هذا منك إلا رعب. فقال النضر لمصعب بن عمير: يا مصعب، أنت أقرب من ههنا بي رحماً، كلم صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابي، هو والله قاتلي إن لم تفعل. قال مصعب: إنك كنت تقول في كتاب الله كذا وكذا، (وتقول في نبيه كذا وكذا) قال: يا مصعب، فليجعلني كأحد أصحابي، إن قُتلوا قتلت، وإن منّ عليهم منّ عليّ. قال مصعب: إنك كنت تعذب أصحابه. قال: أما والله لو أسرتك قريش ما قتلت أبداً وأنا حي. قال مصعب: والله إني لأراك صادقاً، ولكن لست مثلك، قطع الإسلام و العهود، فقال المقداد: أسيري،

---

[95] ابن اسحاق في السيرة النبوية

قال النبي -صلى الله عليه وسلم : "اضرب عنقه، اللهم أغن المقداد من فضلك" فقتله علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ضرباً بالسيف.[96]

وفي رواية أنه لما أقبل إليه عاصم بن ثابت ليقتله قال: يا معشر قريش، علام أقتل من بين من ههنا؟ قال: لعداوتك لله ولرسوله، فأمر به فضربت عنقه. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "بئس الرجل كنت والله ما علمت، كافراً بالله وبرسوله وبكتابه مؤذياً لنبيه، فأحمد الله الذي هو قتلك، وأقر عيني منك". الواقدي[97].

ثم خرج عليه الصلاة والسلام حتى إذا كان بعرق الظبية، أمر بقتل عقبة بن أبي معيط، وكان الذي أسره عبد الله بن سلمة، أحد بني العجلان، فقال عقبة حين أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال: "النار"، وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخوبني عمرو بن عوف.ورد في السيرة النبوية وأخرجه ابن جريروالبيهقي في السنن الكبرى[98]، وأخرجه أبو داود[99].

وورد في الأثر كما يذكر محمد حسين هيكل [100] أن المقداد ابن عمرو قال للرسول محمد عندما أمر علي بقتل النضر (إن النضر أسيري) لأنه هو الذي كان أسره محاولاً انقاذه من القتل.

أسكته محمد بقوله (إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول).

وذكر في الأثر: وكان المقداد قد أسر في هذه المعركة النضر بين الحارث بن علقمة بن كلدة وكان أشد قريش تكذيبا للنبي وإذاء اصحابه وكان خطيباً لقومه وقبل أن يقتل جرى حديثا بين النصر وبين مصعب بن عمير حيث كان له صلة رحم به.

وكان المقداد قد سمع الحوار الذي جرى بين النضر بن الحارث ومصعب بن عمير وكان ينتظر فرصة تسمح للصفح والعفو عنه لعله يرتجي خيراً منه لأن من أفضل الأعمال للمقداد كانت أن يبدل العدو صديقاً والفاجر براً والجاهل عالما. فجعل

---

[96]مغازي الواقدي ج 1ص 106-107

المرجع السابق ج 1ص [97]114

[98] ورد في السيرة النبوية ج 2ص 236 وأخرجه ابن جرير ج 2ص 38، والبيهقي في السنن الكبرى ج 6ص 323

[99] أخرجه أبوداود ص303، حديث رقم 2686، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم 2336

[100]حسين هيكل في كتابه "حياة محمد" دار المعارف

الإعتذار طريقاً بين الذنب والعقوبة من غير عجلة فعندما أمر النبي علي أن يضرب عنقه صاح المقداد بأعلى صوته: يا رسول الله أسير؟

قال الرسول: "اللهم اغني المقداد من فضلك "ثم ضرب علي عنقه.

وقد رثته اخته رثاء بليغا قال الواقدي: وروي أن النبي لما وصل اليه شعرها رق له. وقال لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلته.

اليوم الذي قُتل فيه النضر هو بدآية انتصار السيف والإستبداد والجهل على العقل والمعرفة والثقافة. لا تعقيب أخر على ماورد في الأثر عن رجلٍ قتله علمه وذكائه.

3-قصة مقتل العصماء

عصماء بنت مروان، أول شهيدة رأي في التاريخ الإسلامي.

عَصماء بنت مروان كانت فردا من عشيرة الأُمويّين المتواجدة في المدينة عند البعثة وكانت شاعرة عربية عرفت ببراعتها في نظم الشعر. كانت بنت مروان مشهورة بسخريتها من أهل المدينة المنورة لطاعتهم محمد الذي يعتبر غريبا عن مدينتهم.

العصماء كانت شاعرة تهجوا محمد في أشعارها وترد على قرآنه وتحرض قبيلتها على رفض الإنصياع لدعوته.أمر محمد بقتلها، فقتلها الصحابة وهي ترضع طفلها دون شفقة. وعندما بلغ محمد خبر مقتلها "قال لا يتناطح فيها كبشان" ذلك أن علي أراد أن يكون هو قاتلها.

تتجلى قصة بنت مروان في أعمال ابن إسحاق وابن سعد الذين ضمَّنا روايات تتحدث عن قصتها،وفقا لتقاريرهما، فقد نظرت عائلتها إلى محمد وأتباعه كدُخلاء على يثرب. بعد انتصار المسلمين على القريشيين في غزوة بدر في مكة عام 624، قُتل عدد من معارضى محمد. وقد قامت بتأليف قصائدَ شعرية، والتى قامت فيها علنا بتشويه سمعة رجال القبائل الذين انقلبوا للإسلام،وتحالفوا مع محمد، كما سخرت في قصائدها من أهل المدينة أيضا لمُوالاتهم قائدا ليس من نوعهم.ويذكر ابن إسحاق أن بنت مروان أبدت سخطا بعد مقتل أبو أفاق المدنىّ بعد تحريضه على التمرد ضد محمد. وكان نصُّ القصيدة كالتالى: "أتتوقعون الخير من محمد بعد مقتل

زعمائكم؟"، وكانت تتسأل: "هل هناك أي رجل ذى فخرٍ يستطيع مفاجأة محمد، ويقتله، ويقضى على آمال من يتوقعون البتة منه؟".

على مسمعٍ من القصيدة، دعا محمد إلى قتلها قائلاً:"من سيخلصني من ابنة مروان؟"، فأجابه عمير بن أبى الخاطمي، والذى كان من نفس قبيلة عصماء "بنو خطمة"، بأنه سوف يقتلها. قام عُمير بالتسلل في الظلام إلى بيتها حيث كانت نائمة بجانب أبنائها الخمسة، وإبنها الرضيع في حُضنها. قام ابن عمير برفع الطفل من على صدرها، وقام بقتلها.

و روای القضاعي والخطيب وابن عساكر وابن عمر الحربي [101]. كلهم من طريق محمد بن الحجاج اللَّخمي أبو إبراهيم الواسطي عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ قال:

هجت امرأة من بني خطمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهجاء لها، قال: فبلغ ذلك النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاشتد عليه ذلك، وقال: (من لي بها)، فقال رجل من قومها: أنا يا رسول الله! وكانت تمّارة، تبيع التمر، قال: فأتاها، فقال لها: عندك تمر، فقالت:نعم، فأرته تمراً، فقال أردتُ أجود من هذا، قال: فدخلت لتريه، قال: فدخل خلفها ونظر يميناً وشمالاً، فلم ير إلا خِواناً، فعلا به رأسها حتى دمغها به: ثم أتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله قد كفيتُكَها.فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنه لا ينتطح فيها عنزان) وهذه المرأة هي عصماء بنت مروان.الحديث ذكره الألباني وقال "موضوع"[102].

روای الواقدي[103]ومن طريقه القضاعي[104]: حَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِيهِ: (أَنّ عَصْمَاءَ بِنْتَ مَرْوَانَ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بْنِ زَيْدٍ كَانَتْ تَحْتَ يَزِيدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حِصْنٍ الْخَطْمِيّ وَكَانَتْ تُؤْذِي النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَعِيبُ الإسلام وَتُحَرّضُ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قال عمير بن عدي بن خرشة بن أمية الخطمي حين بلغه

100 القضاعي في "مسند الشهاب" (856) والخطيب في "التاريخ" (99/13) وابن عساكر في "تاريخه" (224/51) وابن عمر الحربي في "فوائده"(50)

102 الألباني في "الضعيفة" (6013)

103 الواقدي في "المغازي" (ص173)

104 القضاعي مسند الشهاب (858)

قولها وتحريضها: اللهم، إن لك علي نذراً لئن رددت رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة لأقتلنها ورسول الله صلى الله عليه وسلّم يومئذٍ ببدر فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلّم من بدر جاءها عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل علها في بيتها، وحولها نفرٌ من ولدها نيامٌ، منهم من ترضعه في صدرها فجسها بيده، فوجد الصبي ترضعه فنحاه عنها، ثم وضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهراها، ثم خرج حتى صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلّم بالمدينة. فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلّم نظر إلى عمير فقال: أقتلت بنت مروان؟ قال: نعم بأبي أنت يا رسول الله. وخشي عمير أن يكون قد خالف النبي صلى الله عليه وسلّم بقتلها فقال: هل علي في ذلك شيء يا رسول الله؟ قال: لا ينتطح فيها عنزان، قال عمير: فالتفت النبي صلى الله عليه وسلّم إلى من حوله فقال: إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجلٍ نصر الله ورسوله بالغيب، فانظروا إلى هذا الأعمى الذي تشدد في طاعة الله. فقال: لا تقل الأعمى، ولكنه البصير فلما رجع عمير من عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم وجد بنيها في جماعةٍ يدفنونها، فأقبلوا إليه حين رأوه مقبلاً من المدينة، فقالوا: يا عمير، أنت قتلتها؟ فقال: نعم، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، فو الذي نفسي بيده، لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم. فيومئذٍ ظهر الإسلام في بني خطمة، وكان منهم رجال يستخفون بالإسلام خوفاً من قومهم، فقال حسان بن ثابت يمدح عمير بن عدي، أنشدنا عبد الله بن الحارث:

بني وائلٍ وبني واقف... وخطمة دون بني الخزرج

متى ما دعت أختكم ويحها... بعولتها والمنايا تجي

فهزت فتًى ماجداً عرقه... كريم المداخل والمخرج

فضرجها من نجيع الدماء... قبيل الصباح ولم يحرج

فأوردك الله برد الجنا... ن جذلان في نعمة المولج

وورد في الأثر ،حدثني عبد الله بن الحارث، عن أبيه، قال: كان قتل عصماء لخمس ليالٍ بقين من رمضان، مرجع النبي صلى الله عليه وسلّم من بدر، على رأس تسعة عشر شهراً..

ورد في تقرير ابن إسحاق[105] حيث قام بجمع اصدارات شفهية عن محمد و التي في الأساس نجى بعضها من خلال كتابات ابن هشام و الطبري. "رحلة عمير بن عدي لقتل عصماء".

كانت بنت مروان بن أمية بن زيد عبرت عن سخطها، بعد مقتل ابن أفاق. قالِ عبدالله بن الحارث بن الفضيل من أبيه أنها كانت متزوجةً لرجل من قبيلة بنى خطمة، يُدعى يزيد ابن زايد، والذى كان يلوم الإسلام والمسلمين. وقد قالت عصماء:

"أنا أحتقر ابن مالك والنابت وعوف وابن الخزرجىّ. أنتم تطيعون غريباً، ليس واحداً منكم، ليس من قبيلتى مراد ولا مذحج. هل تتوقعون الخير منه، بعد مقتل زعمائكم، كرجل منتظر لحساء مطبوخ؟ هل هناك أى رجل ذى فخر يستطيع مفاجأة محمد، ويقتله، ويقضى على آمال من يتوقعون البتة منه؟". أجابها حسّان بن ثابت قائلاً: "بنو وائل وبنو وقيف وخطمة أدنى منزلةً من بنى الخزرج".

عندما سمع الرسول ما قالت، قال: "من سيخلصنى من ابنة مروان؟". فقام عمير بن عدى الخاطمى، والذى كان معه حينها، بالذهاب إلى منزلها، وقتلها. ذهب عمير بعدها في الصباح إلى الرسول، وأخبره بما فعل، فقال له الرسول: "لقد ساعدت الله ورسوله يا عميرا". وعندما سأل عما إذا كان عليه تحمل العواقب أجابه الرسول قائلاً: "إنه لا ينتطحُ فيه عنزان."، وبذلك ذهب عمير عائداً إلى قومه.مقتل العصماء تسبب في فوضى في قوم بنى خطمة، ذهب ابن عمير إليهم بعد لقائه مع النبى، قال: "لقد قتلت بنت مروان يا بنى خطمة. اردعونى إذا استطعتم، لا تجعلونى أنتظر".

كان يوم مقتل العصماء هو اليوم الأول الذى يصبح فيه الإسلام أقوى على بنى خطمة، فقبل ذلك كان المسلمون ساترين لهذه الحقيقة. وكان أول من قبل الإسلام منهم عمير بن عديّ، والذى كان يُلقب بالقارىء، وعبدالله بن أوس، وخزيمة بن ثابت. واعتنق رجال قبيلة بنى خطمة الإسلام بعد أن ارتأوا أن الإسلام أصبح أقوى منهم، بعد مقتل بنت مروان بيوم.

ورد في تقرير ابن سعد عن قصة قتل العصماء بنت مروان [106]" وقد أُعطى رُتبة "الموضوع"، بواسطة علماء الحديث، متضمنين الألباني والجوزىّ.

---

[105] ابن إسحاق السيرة النبوية لني هذبها ابن هشام

سرِيَّة عميربن عدى: قام عميربن عدى بن خاراشاح الخاطمى بساريته ضد عصماء بنت مروان من بنى أمية بن زيد، في الخمس الأواخر من رمضان، في بدآية الشهر التاسع عشر من هجرة رسول الله. كانت عصماء زوجة يزيد بن زيد بن حصن الخاطمى. وقد اعتادت أن تسُب الإسلام، وتغضبَ النبىّ، وتحث الناس ضده. وقد قامت بتأليف الآيات. قدم عمير بن عدى إلى بيتها ليلاً. وقد كان ينام أطفالها بجوارها، بينما كان يرضع أحدهم منها. قام عميربالبحث عنها بيديه لأنه كان أعمى، وقام بابعاد ابنها عنها. وقد قام بطعنها في صدرها بسيفه، حتى اخترق السيف ظهرها. ثم قام بعدها بعرض صلاة الصبح على النبىِّ في المدينة. قال له رسول الله: "هل ذبحت ابنة مروان؟". فأجاب: "نعم، هل هناك شىءٌ آخر لفعله؟". فأجابه النبى قائلاً: "لا، إنه لا ينتطح فيها عنزان"، وكانت هذه هى أول كلمة سُمعت من رسول الله. ولقب رسول الله عميربالبصير.

إن ما ورد في ذكر قصة مقتل عصماء بنت مروان أفعالٌ لا تليق بنبي، فكيف تبتلع عقول المسلمين مثل هذه المرويات عن النبي محمد ؟

4-قصة مسلم بن حبيب

الأنبياء كلهم كذبة لكن تم تصنفهم حسب ما يلي:

هنالك نبي صادق وهنالك نبي كاذب.
الفرق بينهما هو أن أحدهما هزم الآخرعسكريا.

ندرس الموضوع من خلال ما ورد في الأثرعن قصة مسلم بن حبيب الحنفي رحمن اليمامة الملقب بـ "مسيلمة الكذاب".

بحسب المصادر الإسلامية كان مسلم بن حبيب يدعو لعبادة الإله الواحد في قومه قبل ومع عصرمحمد أي أنه سبقه ومن ثم عاصره أي أنه ولد قبل محمد وأطلق نبوءته وقرآنه قِبل نبوءة وقرآن محمد ثم وعندما أشدت دعوة محمد وبدأ يتوسع قال مسلم بن حبيب أنه ومحمد كموسى وهارون.

---

[106] الطبقات الكبرى باب مقتل العصماء بنت مروان ج2 ص 28

كان مسلم بن حبيب صاحب منصب وسلطة وكان مسيطرا على مساحة واسعة من شرق الجزيرة العربية في منطقة اليمامة (الإحساء حاليا). أي أنه كان مسيطراً على أراضي وممتلكات أوسع من تلك التي كان يسيطر عليها أتباع الرسول محمد وكذلك بالنسبة لعدد الأتباع الذين تجاوزت أعدادهم 80 ألفا حتى البعثة.

جاء في سبب نزول قوله: "قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى".[107]. قال ابن عباس[108]: تهجد رسول الله ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم فقال القريشيون: كان محمد يدعو إلها واحدا فهو الأن يدعو إلهين اثنين: الله والرحمن، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة (أي مسلم بن حبيب).

وذكر المفسرون في تفسير الآية 60 من سورة الفرقان: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) "أن مسيلمة كان يدعى الرحمن. فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم، "اسجدوا للرحمن" قالوا: أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة بالسجود له"الطبري "[109].

أوأنهم قالوا: "ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة. يعنون مسيلمة الكذاب"[110].

ويذكر أن مسيلمة كان يعرف بـ"الرحمن" قبل ولادة "عبد الله" والد الرسول محمد. وكان أسن من الرسول بعشرات السنين. ومن الجائز أن يكون قد دعا إلى عبادة "الرحمن"، وهي عبادة كانت شائعة معروفة آن ذاك، في اليمامة وفي غير اليمامة، فعرف بين قومه بـ"رحمن اليمامة"، وذلك قبل دعوة محمد، فسمع أهل مكة بدعوته.

وورد في روآية أن عمرو بن هشام سمع الرسول يدعو في الحجر ويقول: "يا الله يا رحمن". فقال: كان محمد ينهانا عن عبادة الآلهة، وهو يدعو إلهين. فنزلت هذه الآية: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِادْعُوا الرَّحْمَنَ)[111].

---

[107] سورة الإسراء الآية 110

[108] أسباب نزول القرآن للنيسبوري ص 154 حديث 593

[109]"تفسير الطبري "19/ 19" روح المعاني "19/ 36

[110]تفسير القرطبي "13/ 64"

وفي هذا الخبر إن صح، دلالة على أن أهل مكة كانوا قد سمعوا بعبادة "الرحمن" وأنهم سمعوا أن قومًا من الجاهليين دعوا إلى عبادته، وأن "أبا جهل" كان قد سمع قولهم، ولهذا أخذ على محمد قوله: يا الله يا رحمن.

مسيلمة تصغير وتأنيث للإسم "مسلم" كان يدعو إلى عبادة الإله الواحد "الرحمن".وكان يُلقب بـ رحمن اليمامة، أطلق عليه المسلمون لقب مسيلمة الكذاب للتقليل من شأنه.

مسلم بن حبيب كان يدّعي أن الوحي ينزل عليه وكتابه اسمه "القرآن". الأيات الواردة في بعض الكتب الكذبة و المنسوبة لإبن حبيب هي مجرد هرطقة من أعداءه.كتبوا أشياء سخيفة لتسفيه مسيلمة:

ورد في كتاب الإعجاز[112] آيات تنسب لمسلم حبيب يتحدث فيها عن النساء: إن الله خلق النساء أفواجا، وجعل الرجال لهن أزواجا، فنولج فيهن قَعسا إيلاجا، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجا، فينتجن لنا سِخالا نِتاجا.

ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، ما بين صفاق وحَشا.

وورد في صيد الخاطر[113]:إنكن معشر النساء خلقتن أفواجًا، وجعلتن لنا أزواجًا، نولجه فيكن إيلاجًا.

وذكر في تاريخ ابن كثير[114]:لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى.

و أورد الثعالبي[115]:سبح اسم رَبك الْأَعلَى، الذي يسر على الحبلى، فَأخرج مِنهَا نسمَة تسْعى، من بَين أحشاء ومعى، فَمنهم من يموت ويدس في الثرى، وَمِنهم من يعِيش وَيبقى إِلَى أجل ومنتهى، وَالله يعلم السر وأخفى، وَلَا تخفى عَلَيهِ الآخِرَة وَالأولَى.

---

111 تفسير القرطبي "9/ 318"

112 إعجاز القرآن لأبوبكر البلقاني

113 صيد الخاطر لإبن الجوزي

114 ابن كثير كتاب البدآية و النهآية

115 ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي

وفي ذات الكتاب أيضا نجد آيات من سورة الشمس وتنسب لمسلم بن حبيب: وَالشَّمْس وَضُحَاهَا في ضوئها ومنجلاها، وَاللَّيْل إِذا عَداهَا يطْلبهَا ليغشاها فأدركها حَتَّى أَتَاهَا وأطفأ نورها فمحاها.

اذكروا نعْمَة الله عَلَيْكُم واشكروها إِذ جعل لكم الشَّمس سِرَاجًا والغيث ثجاجا، وَجعل لكم كباشا ونعاجا وَفِضة وزجاجا وذهبا وديباجا، وَمن نعْمَته عَلَيْكُم أَن أخرج لكم من الأَرْض رمانا وَعِنَبًا وريحانا وحنطة وزوانا.

وفي ذكر الطبري، والرافعي[116]نجد ما قبل أنه من سورة الخابزات:والمُبذرات زرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والعاجنات عجنًا، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا، إهالة وسمنا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والباغي فناوئوه.

وفي تاريخ الطبري[117]أيضا ذكرت سورة الضفدعة:يَا ضِفْدَعُ ابنة ضفدع، نِقِّي مَا تَنِقِّينَ، أَعْلَاكِ فِي المَاءِ وَأَسْفَلُكِ فِي الطِّينِ، لَا الشَّارِبَ تَمْنَعِينَ، وَلَا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ.

و ورد في منهاج السنة، بغية المرتاد[118]: يَا ضِفْدَعُ بِنْتُ ضِفْدَعِينَ، نِقِّي كَمْ تَنِقِّينَ، لَا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ، وَلَا الشَّارِبَ تَمْنَعِينَ، رَأْسُكِ فِي الْمَاءِ وَذَنَبُكِ فِي الطِّينِ.

وورد أيضا في منهاج السنة سورة الفيل: الْفِيلُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفِيلُ، لَهُ زَلُّومٌ طَوِيلٌ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِ رَبِّنَا الْجَلِيلِ.

الْفِيلُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفِيلُ، لَهُ ذَنَبٌ وَبِيلٌ، وَخُرْطُومٌ طَوِيلٌ.

ولعل تعدد المصادر وإختلاف النصوص وحرص المتحدثين على استخدام أسلوب ساخر ركيك في الوصف وجعله قريب من بعض الآيات القرآنية بغآية جعل القارئ يسخر من مسلم بن حبيب وما نسب إليه من سخافات ويزداد انبهاره بلغة القرآن وللعاقل أن يدرك أن العرب قبل وبعد الدعوة المحمدية برعوا في الشعر والبلاغة والناظر في ما نسب إلى مسلم بن حبيب يفهم أن من كتبوا تلك النصوص كانت

[116]تاريخ الطبري و كتاب الإعجاز للرافعي

[117] تاريخ الطبري

[118]كتاب منهاج السنة بغية المرتاد لإبن تيمية

غايتهم تصغير مسلم بن حبيب وجعل الإتيان بمثل قرآن محمد أمر معجز مع أن العرب كتبوا ما هو أعظم من القَرآن لغةً وأساليب وبلاغة.

جميع الآية المنسوبة لمسلم بن حبيب رويت بصور متعددة و مختلفة، على سبيل المثال سورة الضفدعة الواردة على أكثر من عشر روايات مع أنها أشهر وأعرف سورة أو آيات نسبت إليه، فما بالك بالآيات الأخرى، ثم إننا نجد الرواة يناقضون أنفسهم كثيرا فيما نسبوه إليه، وبعضه مما لا يعقل صدوره من مسيلمة، مثل شعره الذي قاله لسجاح، حين أراد الدخول بها. وهل يعقل أن يقول إنسان يدعي النبوة كلام فاحش لحبيبته أمام الناس، ليدوّن ويسجل عليه.

مسلم بن حبيب كان شخص مثقف درس في القدس وتعلم اللاتينية ويعرف الكثير عن الأديان وأساطير الأولين.عرف بين أتباعه بإسم "رسول الله" كان أتباعه أكثر من أتباع الرسول محمد وبقي له أتباع حتى بعد موته، لكن المسلمون قتلوهم وهجروهم.

وذكر السيوطي: أخرج ابن المنذر عن مجاهد، أن قريشا اجتمعت فقالوا: يا محمد، قد رغبت عن ديننا ودين آبائك، فما هذا الدين الذي جئت به؟ قال: "هذا دين جئت به من الرحمن". فقالوا: إنا لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة. يعنون مسيلمة الكذاب، وهو أمين لا يخون، وفي لا يغدر، صدوق لا يكذب، وهو في حسب وثروة من قومه.[119]

مسيلمة وأتباعه لم يقتلوا أحدا ولم ينشروا الدين بالقوة ولم يجبروا أحدا على إعتناق دين مسيلمة.

حيث من المعروف أن الديانات تسمى بأسماء الأنبياء كذلك مسلم بن حبيب أتباعه يُطلق عليهم "المسلمون".

مسلم بن حبيب كان يمتلك مسجدا وله إمام ويملك مؤذن يدعى: عبد الله بن النواحة وبقيا أتباعه على دينه حتى بعد مقتله على يد المسلمين في غزوة اليمامة.

---

[119] الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي

ورد في بعض ملاحظات الطبري[120]:واتخذ "مسيلمة" مؤذناً يؤذن له في اتباعه اسمه "حجير". "وكان أول ما أمر أن يذكر مسيلمة في الاذان كلمة :توقف و اذكر الله.

محكم بن طفيل الحنفي كان قريب من مسيلمة و كان صاحب حربه ومدبر أمره، وكان أشرف منه في حنيفة. وذكر "الطبري"، أن الذي كان يؤذن له "عبد الله بن النوّاحة"، وكان الذي يقيم له حُجير بن عمير، ويشهد له.

ففي خبر ينسب إلى "ابن مُعَيْز" السعدي أنه مر على مسجد بني حنيفة، فسمعهم يذكرون "مسيلمة"، ويزعمون أنه نبي، فأتى "ابن مسعود" فأخبره، فبعث إليهم الشرط، فجاءوا بهم فاستتابوا فخلي عنهم، وقدم "ابن النواحة" فضرب عنقه. و رد في الفائق ، و في الإصابة[121].

ويدل تعلق "بني حنيفة" وغيرهم من عرب اليمامة بمسيلمة، واستماتتهم في الدفاع عنه، وتذكرهم له حتى بعد هلاكه، على أنه كان شخصية مؤثرة قوية، سحرت أتباعها، حتى انقادوا له هذا الانقياد. وقد نص "ابن حجر" على قتل "ابن مسعود" لابن النواحة، إلا أنه لم يذكر أن ذلك كان بسبب اعتقاده بنبوة "مسيلمة"، وإنما ذكر أنه "كان قد أسلم ثم إرتد فاستتابه عبد الله بن مسعود، فلم يتب فقتله على كفره وردّته".

أتباع مسلم بن حبيب كانوا أكثر من أتباع محمد الفرق أن أتباع محمد إستخدموا السيف وأتباع مسلم لم يستخدموا إلا الدعوى. وبلغ الأمر بمحمد أن هدد بقطع رقاب أتباع مسلم بن حبيب بيديه، ورد في سنن أبي داود[122]: حدثنا محمد بن عمرو الرازي حدثنا سلمة يعني ابن الفضل عن محمد بن إسحق قال كان مسيلمة كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد حدثني محمد بن إسحق عن شيخ من أشجع يقال له سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي عن أبيه نعيم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلمة

---

[120] تاريخ الطبري (تاريخ الامم و الملوك)

[121] الفائق في غريب الحديث للزمخشري "1/ 603"، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر "3/ 143" "رقم 6651".

[122] سنن أبي داود كتاب الجهاد باب في الرسل

ما تقولان أنتما، قالا نقول كما قال قال أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما وفي لفظ أخر لقتلتكما.

بالعودة الى الآيات المنسوبة إلى مسلم بن حبيب لا يعقل أن يكون أتباعه يؤمنون بالهراء الذي نسب إليه.

التراث يذكر لنا بأن هناك صحابة لمحمد سمعوا قرآن مسيلمة فآمنوا به كنبي وتركوا دين محمد. وهذا مقياس آخر لنجاح قرآن مسيلمة بالتأثير على عقول العرب بزمن محمد.

بنو حنيفة جميعا كانوا من أتابع مسلم بن حبيب. وعند قتال أنصار مسلم بن حبيب يذكر في الأثر أن خالد بن الوليد كان يضع أتباع مسيلمة تحت السيف، ولكنهم يفضلون الموت وهم مؤمنين بمسيلمة كنبي ورسول على ترك دينه.

مسلم بن حبيب الحنفي هو صاحب فكرة الإسلام والوحي الجبريلي والقرآن قبل محمد، حتى أن قريش كانت تقول لمحمد أنه ينقل ما تعلمه من رحمن اليمامة.

ورد في السيرة النبوية[123] أن قريشاً قالوا للرسول: "انا قد بلغنا انك إنما يعلمك رجل باليمامة، يقال له الرحمن ولن نؤمن به أبدا". فنزل فيهم قوله: "كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك، وهم يكفرون بالرحمن، قل هو ربي لا إلهَ إلا هو عليه توكلت واليه متاب".الراوي ابن اسحاق.

يذكر في الأثر أن مسلم بن حبيب كان يقول: لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم يعتدون.الفريق المنتصر في المعركة زور التاريخ لصالحه وسفه الفريق المهزوم. دائما المنتصر يزور التاريخ ويكتبه بما يناسب مخططاته.
والذي نستنتجه من قصة مسلم بن حبيب الوادة في التراث الإسلامي أن محمد لم يكن النبي الوحيد في ذلك العصر ولم يأتِ بجديد، فرحمن اليمامة كان قبل ولادة محمد يدعو لعبادة الإله الواحد وله آلاف الأتباع، هذا ما بلغنا من روايات عن طريق المسلمين ولا ندري ما خفي عنّا من أخبار حول تلك الحقبة.

[123] السيرة النبوية لإبن هشام ج1-4-ج1- ص 311

الباب الثاني

دراسات نقدية في سير الصحابة

والفتنة الكبرى

في سير أعلام الصحابة

1-سيرة عمر

عمر بن الخطاب، المُلقب بالفاروق، هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد، وأحد أشهر الشخصيات والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذا. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، تولّى الخلافة الإسلامية بعد وفاة أبي بكر الصديق.

عمر بن الخطاب أحد أبرز الشخصيات المؤثرة في بدايات الإسلام، كان له نفوذ كبير وحتى تأثير على محمد وقرارته بل حتى قرآنه. الإسلام لم يكن إنتاجا محمديا خالصا بل ثمرة تعاون بين الرسول وصحابته ثم أصبح إنتاجا قريشيا بإمتياز.

أخرج ابن مردويه[124] عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن، وأخرج ابن عساكر عن علي قال: إن في القرآن لرأيا من رأي عمر. وأخرج عن ابن عمر مرفوعا: ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر.

وأخرج الشيخان[125]عن عمر قال: وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى. وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت كذلك.

والمُلاحظ هنا أن عمر كان له تأثير كبير على محمد بل كان يعز إليه بالأحكام التي يرى أن ينزل فيها قرآنا، ولم يكن الرسول يرد له رأيا أو رغبة.و كان الرسول قد تمنى أن ينضم إليه عمر.

---

[124] ابن مردويه و ابن عساكر كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي

[125]صحيح البخاري حديث رقم 402 .صحيح مسلم حديث رقم 2399

ورد في الترمذي[126]:"اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر قال فأصبح فغدا عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم".

وفي الترمذي بإسناد صحيح: "اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب، قال: وكان أحبهما إليه عمر".

وفي ابن ماجه بإسناد حسن [127]:"اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب".

تذكر كتب التراث أن عمر لقّب بالفاروق لتفريقه بين الحق والباطل وشدة عدله، وللبحث في عدل عمر نعود لأمهات الكتب وننظر في بعض ما ورد فيها من أحداث تأكد ظلم عمر وجوره:

ورد فى الطبقات أن "عمر بن الخطاب أمير المؤمنين كان يطوف فى المدينة فإذا رأى أمة محجبة ضربها بدرته الشهيرة حتى يسقط الحجاب عن رأسها ويقول:فيم الإماء يتشبهن بالحرائر"، وقال أنس "مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يالكاع أتتشبهين بالحرائر ألقى القناع"، وروى أبو حفص أن "عمر كان لايدع أمة تقنع فى خلافته"[128].

وذكر في كتاب المغنى عن ابن قدامة[129]"أن عمر رضى الله عنه ضرب أمة لآل أنس رآها متقنعة وقال إكشفى رأسك ولاتتشبهى بالحرائر" وفى سنن البيهقى[130] يروى عن أنس بن مالك "إماء عمر كن يخدمننا كاشفات عن شعورهن".

ويُثير دهشتي قول أنس بن مالك:"إماء عمر كن يخدمننا كاشفات عن شعورهن" إذ يردد البعض أن عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس وهو يرتدي المُرقعات ولا أعرف كيف يكون للرجل إماء بينما يرتدي هو المرقعات.

والظاهر أن عمر حين أوعز لمحمد بآية الحجاب وأصر عليها لم يكن الدافع كما يبدو للوهلة الأولى هو الإحتشام وإلا لما ضرب الأمة التي رآها تضع الحجاب حتي أسقط

---

[126] صحيح الترمذي حديث رقم 2907

[127] اخرجه ابن ماجه كتاب شرح سنن ابن ماجه الراجحي ص15

[128] الطبقات الكبرى لا بن سعد الجزء السابع ص 127

[129] المغنى الجزء الأول ص 351 عن ابن قدامة

سنن البيهقى الجزء الثانى ص 227 [130]

حجابها مستنكرا تشبها بالحرائر وإنما كان غرضه هو التأسيس لطبقية يعززها المظهر الخارجي الذي يميز بين الأسياد والعبيد.

ومن مظاهر عدم عدل عمر أيضا ما يُسمي بالعهدة العمرية[131] أو شروط عمر لإذلال الشعوب التي إحتلها العرب المسلمون أو فتحوها بالورود كما يُردد المغيّبون أوالمزيفُون للحقائق بينما هم احتلوا أراضي الشعوب بحد السيف .

وردت العهدة في كتب التاريخ بأكثر من صيغة ونص، وتتراوح من نصوص قصيرة ومقتضبه كنص اليعقوبي ونص ابن البطريق وابن الجوري، أو مفصلة كنص ابن عساكر ونص الطبري ومجير الدين العليمي المقدسيِ ونص بطريركية الروم الأرثوذكس، قد ذكر ابن القيم الشروط العمرية في كتابه أحكام أهل الذمة، وعزاها لعدد من المصادر، وجاء في مسند أحمد، فقد روى ابنه عبد الله في زوائده على المسند، بعض الشروط على أهل الذمة قال: حدثنا غير واحدٍ من أهل العلم قالوا:

عن عبد الرحمن بن غنم: كتبتُ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام، وشرَط عليهم فيه:

أن لا يُحدِثوا في مدينتهم ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلآية ولا صومعة راهب،ولا يجدِّدوا ما خُرِّب، ولا يمنعوا كنائسهم من أن ينزلها أحدٌ من المسلمين ثلاث ليالٍ يطعمونهم، ولا يؤووا جاسوساً، ولا يكتموا غشاً للمسلمين، ولا يعلّموا أولادهم القرآن، ولا يُظهِروا شِركاً، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إن أرادوا، وأن يوقّروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس، ولا يتشبّهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم، ولا يتكنّوا بكناهم، ولا يركبوا سرجاً، ولا يتقلّدوا سيفاً، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجُزُّوا مقادم رؤوسهم، وأن يلزموا زيَّهم حيثما كانوا، وأن يشدّوا الزنانير على أوساطهم، ولا يُظهِروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في شيءٍ من طرق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولايضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين، ولا يخرجوا شعانين،ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم، ولا يَظهِروا النيران معهم،ولا يشتروا من

[131] مسند الإمام أحمد، رواه ابنه عبد الله في زوائده على المسند، باب بعض الشروط على أهل الذمة

الرقيق ما جَرَتْ عليه سهام المسلمين ،فإن خالفوا شيئاً مما شرطوه فلا ذمّة لهم،وقد حلّ للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق.

فأنفذ عبد الرحمن بن غنم ذلك، وأقر من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط تحت التهديد والوعيد العمري.

وهل هناك ظلم يسلط على شعب أو أقلية ما في أي منطقة بالعالم أكثر من الظلم والعنصرية الورادة بالعهدة العمرية؟ أين يرون العدل أولئك الذين يصدّعونا رؤوسنا بأسطورة الفاروق؟

إن تاريخ عمر بن الخطاب يزخر بالظلم، وهنا لا ننكر عدله الذي كان حكرا على العرب المسلمين أما بقية الشعوب التي احتلها جيشه فقد ذاقت منه الويل.

لقد كان عمر شديد القسوة وذو طبعٍ حاد ة تذكر بعض المصادر التي يقال أنها ضعيفة الإسناد أن عمر قتل ابنته الرضيعة قبل الإسلام. يقول الدكتور عبد السلام بن محسن آل عيسى :

"وأما عمر رضي الله عنه فقد ذكر عنه أنه وأد ابنة له في الجاهلية، ولم أجد من روى ذلك عن عمر فيما اطلعت عليه من المصادر، ولكني وجدت الأستاذ عباس محمود العقاد أشار إليها حيث قال [132]:

وخلاصتها: أنه رضي الله عنه كان جالساً مع بعض أصحابه، إذ ضحك قليلاً، ثم بكى، فسأله مَن حضر، فقال: كنا في الجاهلية نصنع صنماً من العجوة، فنعبده، ثم نأكله، وهذا سبب ضحكي، أما بكائي، فلأنه كانت لي ابنة، فأردت وأدها، فأخذتها معي، وحفرت لها حفرة، فصارت تنفض التراب عن لحيتي، فدفنتها حية. [133]

وعن قصة المظلوم صبيغ العراقي الذي كان باحثا في علم الكلام وتسأل عن بعض المتشابهات في القرآن والألفاظ الغير مفهومة فكان يقول:ما المرسلات عرفا، ما العاصفات عصفا. فلم سمع به عمر أعد العدة لتعذيبه وأرسل إليه فلم حضر أحذ يضربه حتى سالت الدماء من رأسه، تركه قليلاً ثم عاد يضربه حتى سالت الدماء

---

[132] محمود العقاد عبقرية عمر ص 221

[133] الدكتور عبد السلام بن محسن آل عيسى،دراسة نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية (1/111-112)

من كل جسده، وهكذا أخذ يضرب ويعاود الضرب دون رحمة لرجلاً لا ذنب له غير البحث.

أخرج الدارمي[134]، عن نافع: أن صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمروبن العاص إلى عمر بن الخطاب فلما أتاه أرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برئ ثم عادله، ثم تركه حتى برئ فدعا به يعود له، فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برأت فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالس أحد من المسلمين.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه[135]، عن أنس: أن عمر بن الخطاب جلد صبيغا الكوفي في مسألة عن حرف من القرآن حتى إطردت الدماء في ظهره.

وأخرج الهروي في ذم الكلام عن الامام الشافعي قال: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الابل ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام.

إن جزاء الباحث والعالم في الإسلام السجن أوالنفي أوالقتل وهذا ما فعله عمر مع صبيغ عذابه ثم أمر بنفيه مع أنه كان مسلما لكنه لم يخضع عقله للسخافات. كان رأي عمر أن الرجل إنما قصد الفتنة بسؤاله!

فآية فتنة كان سيحدثها السؤال؟

كان بإمكان عمر. أن يرد على الرجل بقول من القرآن "لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم" مثلا. ولو أن الإجابة لا هي كافية ولا شافية ولا تقنع من له عقل. إلا أنها أفضل من التعذيب والنفي.

عمر كان مشهور بالضرب والعصا لا تفارق يده حتى أنه كان يضرب الأمة التي تضع الحجاب ويأمرها بخلعه كي لا تتشبه بالحرائر:

---

[134] اخرجه الدارمي في سننه ج1 ص 54

[135] تاريخ ابن عساكر تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) 1-7 ج2

قَالَ ابن أبي شيبة[136] حدثنا وكيعُ بنُ الجراح، قَالَ:حدثنا شعبةُ، عن قتادةَ، عن أنس قَالَ: رأى عمر أمة لنا متقنعة فضربها وقال: لا تشبهي بالحرائر.وهذا إسنادٌ صحيح.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ المختار بْنِ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: دَخَلَتْ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمَةٌ قَدْ كَانَ يَعْرِفُهَا لِبَعْضِ الْمُهَاجِرِينَ، أَوالأَنْصَارِ، وَعَلَيْهَا جِلْبَابٌ مُتَقَنِّعَةٌ بِهِ، فَسَأَلَهَا، عَتَقْتِ؟ قَالَتْ: لَا، قَالَ فَمَا بَالُ الْجِلْبَابِ؟ ضَعِيهِ عَلَى رَأْسِك، إنَّمَا الْجِلْبَابُ عَلَى الْحَرَائِرِ مِنْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلَكَّأَتْ فَقَامَ إلَيْهَا بِذَلِكَ بِالدُّرَّةِ، فَضَرَبَ بِهَا رَأْسَهَا.

كان عمر رجلا ظالما وقد قتله ظلمه بناءً على ما ورد في سيرته.

قتل عمر علي يد أحد ضحايا ظلمه "أبو لؤلؤة الفيروزي". فارسي وجد نفسه فجأة أسيرا بين يدي العرب وأصبح عبدا للمغيرة بن شعبة وهو من أصحاب محمد. أساء المغيرة للفارسي أبي لؤلؤة. وأذله وظلمه وأهانه.

شكا الرجل المظلوم لـ "عمر بن الخطاب" – الخليفة – فإذا بالخليفة ينهر المظلوم ويزجره ويأمره بطاعة سيده.

ضاقت الدنيا في وجه أبو لؤلؤة الفيروزي. بعدما وجد الظلم يحيط به من كل جانب. حتي الخليفة الذي لجأ إليه هو أيضا ظالم! فلمن يذهب، ولمن يشكو، وممن ينتقم لنفسه؟ وجد أن الأحق بأن ينتقم من الخليفة الظالم الذي كان رمز اللقهر في تلك الفترة حيث احتل أرضه وقتل أهله وإستعبدهم، ونهبهم وسلبهم. وأسر كرامها ونساءها دون مبرر غير نشر الإسلام بالقوة. أبو لؤلؤة قتل الخليفة الظالم. الذي لم يشأ إنصاف مظلوم ولو بقليل من العدل. فكان جزاؤه القتل. و الى اليوم ما يزال القاتل أبو لؤلؤة الفارسي الأصل بطل قومي عند الإيرانيين. ويقال أن له ضريحا ومزارا مثل كل الأولياء الصالحين.

رَوَى اِبْن سَعْد بِإِسْنَادٍ صَحِيح [137] إِلَى الزُّهْرِيّ قَالَ "كَانَ عُمَر لَا يَأْذَن لِسَبْيٍ قَدْ اِحْتَلَمَ فِي دُخُول الْمَدِينَة، حَتَّى كَتَبَ الْمُغِيرَة بْن شُعْبَة وَهُوعَلَى الْكُوفَة يَذْكُر لَهُ غُلَامًا عِنْده صَانِعًا وَيَسْتَأْذِنهُ أَنْ يُدْخِلهُ الْمَدِينَة وَيَقُول: إِنَّ عِنْده أَعْمَالًا تَنْفَع النَّاس،إِنَّهُ حَدَّاد

---

[136] مصنف ابن أبي شيبة كتاب الصلوات في الأمة تصلي بغير خمار (41/2)

[137] الطبقات الكبرى ص 263-264 ج3

نَقَّاش نَجَّار، فَأَذِنَ لَهُ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ الْمُغِيرَة كُلّ شَهْر مِائَة، فَشَكَا إِلَى عُمَر شِدَّة الْخَرَاج، فَقَالَ لَهُ: مَا خَرَاجك بِكَثِيرٍ فِي جَنْب مَا تَعْمَل، فَانْصَرَفَ سَاخطا، فَلَبِثَ عُمَر لَيَالِي، فَمَرَّ بِهِ الْعَبْد فَقَالَ: أَلَمْ أُحَدَّث أَنَّك تَقُول لَوأَشَاء لَصَنَعْت رَحًى تَطْحَن بِالرِّيحِ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ عَابِسًا فَقَالَ: لَأَصْنَعَنَّ لَك رَحًى يَتَحَدَّث النَّاس بِهَا، فَأَقْبَلَ عُمَر عَلَى مَنْ مَعَهُ فَقَالَ: تَوَعَّدَنِي الْعَبْد. فَلَبِثَ لَيَالِي ثُمَّ اِشْتَمَلَ عَلَى خِنْجَر ذِي رَأْسَيْنِ نِصَابه وَسَطه فَكَمَنَ فِي زَاوِيَة مِنْ زَوَايَا الْمَسْجِد فِي الْغَلَس حَتَّى خَرَجَ عُمَر يُوقِظ النَّاس: الصَّلَاة الصَّلَاة، وَكَانَ عُمَر يَفْعَل ذَلِكَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ عُمَر وَثَبَ إِلَيْهِ فَطَعَنَهُ ثَلَاث طَعَنَات إِحْدَاهُنَّ تَحْت السُّرَّة قَدْ خَرَقَتْ الصِّفَاق وَهِيَ الَّتِي قَتَلَتْهُ".

فِي رِوَايَة أَبِي إِسْحَاق الْمَذْكُورَة"فَعَرَضَ لَهُ أَبُو لُؤْلُؤَة غُلَام الْمُغِيرَة بْن شُعْبَة، فَتَأَخَّرَ عُمَر غَيْر بَعِيد، ثُمَّ طَعَنَهُ ثَلَاث طَعَنَات، فَرَأَيْت عُمَر قَائِلًا بِيَدِهِ هَكَذَا يَقُول: دُونكُمْ الْكَلْب فَقَدْ قَتَلَنِي".

وفِي رِوَايَة جَرِير"فَتَقَدَّمَ فَمَا هُو إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَطَعَنَهُ أَبُولُؤْلُؤَة فَقَالَ عمر: قَتَلَنِي الْكَلْب".[138]

لم يعدل عمر بل ظلم كثرا من الناس أمما وشعوبا وكان جزاء ظلمه القتل، إن صفة العدل يشوبها الكثير من اللبس في الدول الإسلامية ولعل إلتصاقها باسم عمر هو ما زادها ضبابية فكيف لظالم و قاتل أن يوصف بالعدل؟

ربما علينا مراجعة المفاهيم وتسمية الأشياء بأسمائها حتى نلحق بركب الحضارة.

[138]فتح الباري بشرح صحيح البخاري للعسقلاني

2-سيرة خالد بن الوليد

هذا الإقتباس من رسالة لخالد بن الوليد إلى أحد قادة الروم " ولكننا معشر العرب قوم نشرب الدماء، وقد علمنا أنه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم فجئنا لذلك"[139].

هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي صحابي وقائد عسكري قبل إسلامه، لعب خالد بن الوليد دورًا حيويًا في انتصار قريش على قوات المسلمين في غزوة أحد، كما شارك ضمن صفوف الأحزاب في غزوة الخندق. مع ذلك، اعتنق خالد الدين الإسلامي بعد صلح الحديبية، لقّبه الرسول محمد بسيف الله المسلول.

إن المطالع للفكر والتاريخ الإسلامي سوف يتوقف أمام مناطق مظلمة وسوف يتعثر بحقائق تدفعه إلى ثلاث استنتاجات :

إما أن يدفن رأسه في الرمل ويتوقف عن البحث ويلجم عقله ويفقأ عينيه ويواصل الحياة دون استعمال للعقل وهكذا سيتحول شيئا فشيئا إلى نسخة مشوهة ومسخا لما قبل القرون الوسطى، وإما أنه سيترك الإسلام لما سيراه من هول جرائم بشعة ترقى لمستوى جرائم الحرب. وإما أنه سيقف موقفا وسطا، باستعمال العقل ويرفض كل ما يتنافى مع الأخلاق والمبادئ الإنسانية، وهكذا سيجد نفسه أمام تشييد دين جديد مبني على الإنسانية والحب وليس على الموروث و المنقول.

خالد بن الوليد كما تقدمه المراجع المشهورة عامة هو قائد متمرس وبارع من قادة جيوش المسلمين، ويقال أنه لم ينهزم في أكثر من مائة معركة قادها، وهوأحد قادة جيش قريش في غزوة أحد ضد المسلمين التي انتصر فيها أيضا، ولعب دورا بارزا في غزوات محمد، وكذا في حروب الردة في عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب، لكن عمر بن الخطاب سيعزله بشكل مفاجئ وهو في أوج انتصاراته، ويبقى هذا العزل من الأمور الغامضة التي سنعود لها لاحقا، لأنه شاع في الكتب أنه تم عزله.

تذكر كتب التراث أن الرسول محمد تبرأ من خالد بن الوليد حين أغار على بني جذيمة وقتل منهم الكثيرين مع العلم أنهم كانوا مسلمين والسبب وراء ذلك أنهم

[139] التاريخ الإسلامي ج3 الخلفاء الراشدون ص 145 محمود شاكر

قتلوا عمه الفاكه بن المغيره في زمن الجاهلية. وكان رد محمد على هذه الجريمة أن رفع يديه إلى السماء وقال "اللهم إني ابرأ إليك مما صنع خالد".

أخرج البخاري في "صحيحه" (4339)[140] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:" قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلاَ يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ.

وقد وردت الرواية في السيرة الحلبية سرية [141] خالد بن الوليد إلى بني جذيمة: لما انتهى خالد إلى القوم فتلقوه، فقال لهم: ما أنتم؟ أي أمسلمون أم كفار؟ قالوا: مسلمون، قد صلينا، وصدّقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحتنا وأذنا فيها. وفي لفظ: لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فقالوا: صبأنا صبأنا، قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إن بيننا وبين القوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح، قال: فضعوا السلاح فوضعوا، فقال: استأسروا، فأمر بعضهم فكتف بالتخفيف بعضا وفرقهم في أصحابه، فلما كان في السحر نادى منادي خالد رضي الله عنه: من كان معه أسير فليقتله، فقتل بنو سليم من كان معهم، وامتنع المهاجرون والأنصار ، وأرسلوا أسراهم، فلما بلغ النبي ما فعل خالد، قال لرجل من الأنصار: هل أنكر عليه أحد ما صنع؟ قال: نعم، رجل أصفر ربعة، ورجل طويل أحمر، فقال عمر: والله يا رسول الله أعرفهما، أما الأول فهو ابني فهذه صفته، وأما الثاني فهو سالم مولى أبي حذيفة، فعند ذلك قال النبي: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، أي قال ذلك مرتين، وبعث رسول الله علي بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم، قال له: يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، ودفع إليه مالا: أي إبلا وورقا، يدي به قتلاهم، ويعطيهم منه ما تلف عليهم من أموالهم، فودى قتلاهم، وأعطاهم عوض ما تلف عليهم حتى ميغلة الكلب" أي الإناء التي يشرب فيها" حتى إذا

---

[140] صحيح البخاري (4339)

[141] السيرة الحلبية/سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى بني جذيمة ج3 ص 209

لم يبق لهم دم ولا مال، قال: هل بقي لكم دم أومال؟ قالوا: لا، قال: أعطيكم ما بقي من المال احتياطا بدل ما لا تعلمون: أي مما تلف من أموالكم، ثم رجع إلى رسول الله فأخبره الخبر، فقال له الرسول: أصبت وأحسنت.

ورد في البدآية و النهآية[142] أنه وقع بين خالد بن الوليد و عبد الرحمن بن عوف خلاف بسبب تلك الواقعة ، فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام، فقال له: إنما أخذت بثأر أبيك، فقال له عبد الرحمن: كذبت، أنا قتلت قاتل أبي. وفي روآية: كيف تأخذ مسلمين بقتل رجل في الجاهلية؟ فقال خالد: ومن أخبركم أنهم أسلموا؟ فقال: أهل السرية كلهم أخبروا بأنك قد وجدتهم بنوا المساجد وأقروا بالإسلام، فقال: جاءني أمر رسول الله أني أغير، فقال له عبد الرحمن بن عوف: كذبت على رسول الله، وإنما أخذت بثأر عمك الفاكه، فقال رسول الله: مهلا يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لوكان لك أحد ذهبا فأنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل منهم ولا روحته.

الغدوة: السير في أول النهار إلى الزوال. والروحة: السير من الزوال إلى آخر النهار.

ورد بالسيرة الحلبية[143] : ولما عاب عبد الرحمن على خالد الفعل المذكور أعان عبد الرحمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وأن رسول الله أعرض عن خالد وقال: يا خالد ذر أصحابي. وفي روآية: «لا تسب أصحابي لوكان لك ذهبا فأنفقته قيراطا قيراطا في سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن».

الغريب في الروآية أن جريمة القتل العمد قد ثبتت في حق خالد بن الوليد مع ذلك محمد لم يأمر بالقصاص وإقامة الحد ضده مع أنه ظلم وقتل أرواحا مسلمة بغير حق؟

فهل هذا يعود لأن له مكانة عسكرية وفضل عسكري على محمد حيث أنه ساهم في انتصاره على أعدائه؟

إن هذه الجريمة التي إرتكبها خالد في حق بني جذيمة تحسب في سجله الدموي الذي يزخر بأبشع الإنتهاكات ضد الإنسان وهنا نذكر جريمة قتله لمالك بن نويرة وطبخ

---

[142] البدآية والنهآية ج 4 بعثه عليه السلام خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة ص 272

[143] السيرة الحلبية/سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى بني جذيمة ج3 ص 277

رأسه ونكاح زوجته مع العلم أنه مسلم وحسن إسلامه وقد نظر مالك قبل أن يقتل إلى زوجته وقال "قتلتني هذه" [144]أي أنه عرف أن خالد سيقتله لينكح زوجته.

روى سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: قدم أبو قتادة الأنصاري على أبي بكر فأخبره بقتل مالك بن نويرة وأصحابه، فجزع لذلك ثم ودى مالكا ورد السبي والمال.

وروي أن مالكا كان فارسا شجاعا مطاعا في قومه وفيه خيلاء، كان يقال له الجفول، قدم على النبي وأسلم فولاه صدقة قومه، ثم ارتد، فلما نازله خالد، قال: أنا آتي بالصلاة دون الزكاة، فقال: أما علمت أن الصلاة والزكاة معا لا تقبل واحدة دون الأخرى، فقال: قد كان صاحبك يقول ذلك، قال خالد: وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تحاورا طويلا فصمم على قتله، فكلمه أبو قتادة الأنصاري وابن عمر، فكره كلامهما، وقال لضرار بن الأزور: اضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته، وقال: هذه التي قتلتني، وكانت في غاية الجمال، قال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال: أنا على الإسلام، فقال: اضرب عنقه، فضرب عنقه وجعل رأسه أحد أثافي قدر طبخ فيها طعام، ثم تزوج خالد بالمرأة.[145]

في هذه الواقعة قال أبو زهير السعدي أبيات:

قضى خالد بغيا عليه لعرسه وكان له فيها هوى قبل ذلك.[146].

وفي هذه القصة ذكر العسقلاني[147]:

وكان سبب عزل عمر خالدا ما ذكره الزبير بن بكار، قال: كان خالد إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم، ولم يرفع إلى أبي بكر حسابا، وكان فيه تقدم على أبي بكر يفعل أشياء لا يراها أبو بكر، أقدم على قتل مالك بن نويرة، ونكح امرأته فكره ذلك أبو بكر، وعرض الدية على متمم بن نويرة، وأمر خالدابطلاقامرأة مالك، ولم ير أن يعزله، وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد.

تاريخ ابن شحنة بهامش الكامل 7 ص 165 ، أبو بكر بن أبي قحافة علي الخليلي ص433 [144]

الخلفاء الراشدةت من تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي ص [145]19

[146]الذهبي تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام تكملة حوادث سنة إحدى عشرة مقتل مالك بن نويرة التميمي الحنظلي اليربوعي ج2 ص24

[147]العسقلاني الإصابة في تمييز الصحابة 1-9 مع الفهارس ج2

وقد ذكر قصته مطولة سيف بن عمر[148] ومن طريقه الطبري، وفيها أن خالد بن الوليد لما أتى البطاح بث السرايا، فأتى بمالك ونفر من قومه فاختلفت السرية فكان أبوقتادة ممن شهد أنهم أذنوا وأقاموا الصلاة وصلوا، فحبسهم خالد في ليلة باردة، ثم أمر مناديا فنادى أدفئوا أساركم وهي في اللغة كنآية عن القتل فقتلوهم وتزوج خالد بعد ذلك امرأة مالك، فقال عمر لأبي بكر: أن في سيف خالد رهقا، فقال أبو بكر: تأول فأخطأ ولا أشيم سيفا سله الله على المشركين، وودى مالكا، وكان خالد يقول: إنما أمر بقتل مالك لأنه كان إذا ذكر النبي قال: ما أخال صاحبكم الا قال كذا وكذا، فقال له: أوما تعده لك صاحبا.

وقال الزبير بن بكار[149]، حدثني: محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب: أن مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس فلما قتل أمر خالد برأسه فنصب أثفية لقدر فنضج ما فيه قبل أن يخلص الناس إلى شؤون رأسه، ورثاه متمم أخوه بأشعار كثيرة، وإسم امرأة مالك أم تميم بنت المنهال، وروى ثابت بن قاسم في الدلائل أن خالد رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال، فقال مالك بعد ذلك لامرأته قتلتني يعني سأقتل من أجلك، وهذا قاله ظنا، فوافق أنه قتل،، هذه الرواية ذكرها ابن حجر العسقلاني [150].

ولم يكتفي خالد بقتل الرجل ونكاح زوجته بل طبخ رأسه في القدر كما ورد في تاريخ الطبري: كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِيُّ: عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ سَيْفٍ، عَنْ خُزَيْمَةَ، عَنْ عُثْمَانَ، عَنْ سُوَيْدٍ، قَالَ:" كَانَ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ شَعْرًا، وَإِنَّ أَهْلَ الْعَسْكَرِ أَثَفُّوا بِرُءُوسِهِمُ الْقُدُورَ، فَمَا مِنْهُمْ رَأْسٌ إلا وَصَلَتِ النَّارُ إِلَى بَشْرَتِهِ مَا خَلا مَالِكًا، فَإِنَّ الْقِدْرَ نَضَجَتْ وَمَا نَضَجَ رَأْسُهُ مِنْ كَثْرَةِ شَعْرِهِ، وَقَى الشَّعْرُ الْبَشْرَةَ حَرَّهَا أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ ذَلِكَ. وَأَنْشَدَهُ مُتَمِّمٌ وَذَكَرَ خَمْصَهُ، وَقَدْ كَانَ عُمَرُ رَآهُ مَقْدَمَهُ عَلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: أَكَذَاكَ يَا مُتَمِّمُ كَانَ؟ قَالَ: أَمَّا مما أَعْنِي فَنَعَمْ[151].

---

[148] سيف بن عمر في كتاب الردة والفتوح من طريق الطبري الإصابة ابن حجر ج 5 ص 560

[149] الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ص 248

[150] العسقلاني الإصابة في تمييز خالد بن الوليد ج 2 ص: (218)

[151] تاريخ الرسل الطبري ج3 ص 279

وتذكر كتب السيرة أن خالد كانت له عداوات كبيرة مع أصحاب محمد السابقين منهم، وفي هذا نذكر الخصام الذي دار بينه وبين عمّار بن ياسر حول رجل أراد خالد أن يسبيه وأمنه عمار لكن خالد رفض ذلك فشكاه عمار إلى الرسول محمد ووجّه إليه خالد كلاما قاسيا ونظرإلى الرسول وقال يارسول الله اتدع هذا العبد يشتمني! فوالله لولا أنت ماشتمني، فقال الرسول: "من عادى عمارا عاداه الله، ومن أبغض عمارا أبغضه الله".[152]

و رد في تفسير الطبري : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ الأَوْدِيُّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُفَضَّلٍ، ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ قَالَ: " فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَغَارَ خَالِدٌ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا غَيْرَ الرَّجُلِ، يَعْنِي: الَّذِي أَمَّنَهُ عَمَّارٌ، وَأَخَذه وأخذَ مَالَهُ، فَبَلَغَ عَمَّارًا الْخَبَرُ، فَأَتَى خَالِدًا فَقَالَ: خَلِّ عَنِ الرَّجُلِ فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ وَهُوفِي أَمَانٍ مِنِّي، قَالَ خَالِدٌ: وَفِيمَ أَنْتَ تُجِيرُ، فَاسْتَبَّا فَارْتَفَعَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَجَازَ أَمَانَ عَمَّارٍ، وَنَهَاهُ أَنْ يُجِيرَ الثَّانِيَةَ عَلَى أَمِيرٍ، فَاسْتَبَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْنِي: عَمَّارًا وَخَالِدًا، فَقَالَ خَالِدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَتْرُكُ هَذَا الْعَبْدَ الأَجْدَعَ يَشْتُمُنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَالِدُ لا تَسُبَّ عَمَّارًا، فَإِنَّهُ مَنْ سَبَّ عَمَّارًا سَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللَّهُ، وَمَنْ لَعَنَ عَمَّارًا لَعَنَهُ اللَّهُ، فَغَضِبَ عَمَّارٌ فَقَامَ فَتَبِعَهُ خَالِدٌ حَتَّى أَخَذَ بِثَوْبِهِ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، فَرَضِيَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ سورة النساء آية 59".[153]

وبالعودة إلى الصراع بين خالد وعمر نجد أن جذوره تمتد إلى مرحلة الصبا، حين بدت علامات القوة على خالد وإبن بنت عمه عمر، بدأ الصراع بينهما. اصطرع الصبيان فصرع خالد عمر وتغلب عليه وكسر ساقه حتى عرجت، كما أورد علي بن الحسن بن عساكر[154].

[152] ورد الحديث في مسند أحمد بن حنبل. تفسير ابن أبي حاتم.رقم الحديث5581.

[153] تفسير الطبري ،سورة الأنفال،حديث رقم 12138

[154] ابن عساكر مختصر تاريخ دمشق

وقد قال الأصمعي عن سلمة عن بلال عن مجالد عن الشعبي قال: اصطرع عمر وخالد وهما غلامان وكان خالد ابن خال عمر فكسر خالد ساق عمر، فعولجت وجبرت،وكان ذلك سبب العداوة بينهما[155].

صراع الصبية كان مقدمة لصراع ممتد بين رجلين أصبحا عمودين رئيسيين في الإسلام.

بعد وفاة النبي محمد، شن أبو بكر حربا ضد القبائل التي منعت الزكاة، وكان عمر ابن الخطاب، الرجل الثاني في الدول، معارضا لها، ورفض قتال كل من "قال لا إله إلا الله" حتى لو منعوا الزكاة.

لكن أبو بكر أصر رافعا شعار "والله لو منعوني عناقا، يقصد ماعزاً صغيراً، كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها". كما رود في صحيح البخاري. وإختار لتلك المهمة الفارس الأول خالد بن الوليد.

تحول اعتراض عمر على حروب الردة إلى اعتراض على أداء خالد بن الوليد في قيادتها، وتعامله مع القبائل "المرتدة". فحين وصلت حملة خالد إلى قبيلة "بني سليم"، قاتلهم حتى انتصر عليهم وأسر منهم وقتل عددا من الأسرى وأحرق بعضهم بالنار حتى الموت.

ذكر ابن كثير أن عمر استمر في التحريض على خالد، وقال بالنص: "لم يزل عمر بن الخطاب يحرض الصديق ويزمره على عزل خالد عن الأمرة حتى بعث الصديق إلى خالد بن الوليد فقدم عليه المدينة".

وصل خالد بن الوليد إلى المدينة، ودخل المسجد معتمراً عمامة غرز فيها أسهماً، متفاخراً بانتصاراته، فقام إليه عمر بن الخطاب ونزع الأسهم عن عمامته، وقال له: "قتلت مسلماً، ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك"[156]

---

[155] البدآية و النهآية ج7 ص 131

[156] البدآية والنهآية - ابن كثير- ج 2 ص 355

حين وصل الخبر إلى المدينة كان غضب عمر شديداً، وطالب الخليفة بأن يعزل خالد قائلاً: "إنَّ سيفه فيه رهق". ودافع أبو بكر عن خالد، وأصر على عدم عزله وقال: "لا أشيم (أغمد) سيفاً سلّه الله على الكفار"، وفق ابن كثير.

لم يرد عليه خالد أو يمنعه اعتقادا منه أن الخليفة أبو بكر على نفس موقف عمر.

إلا أنه عندما التقى الخليفة واعتذر إليه، عذره وسامحه، فخرج ابن الوليد وقابل عمر وقال له: "هلم إليّ يا ابن أم سلمة"، فأدرك عمر أن خالد نال رضا أبي بكر فلم يرد عليه، كما ذكر ابن الأثير[157]

لم تتوقف المشاحنات بين الرجلين. يذكر الطبري أن خالدا عقد صلحاً مع أحد قادة تمرد الردة في اليمامة (بلدة في نجد) ويُدعى مجاعة بن مرارة، ثم تزوج ابنته، وبلغ الخبر أبا بكر فكتب إليه يعنفه: "لعمري يابن أم خالد إنك لفارغ، تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومئتين من المسلمين لم يجفف بعد". فلما نظر خالد إلى رسالة أبي بكر قال: "هذا عمل الأعسر"، يقصد عمر بن الخطاب، وكان عمر أعسراً أي يكتب ويعمل بيده اليسرى.[158]

بعد إخضاع القبائل "المرتدة"، اتجهت أنظار أبي بكر إلى العراق، فتحوّل جيش خالد إليها وحقق انتصارات كبيرة على الفرس المسيطرين عليها، في معارك عدة منها ذات السلاسل، دومة الجندل، عين التمر، أليس، والولجة.

وقبل أن يفرض خالد سيطرته الكاملة على العراق وينتزعها من أيدي الفرس، أرسل إليه أبوبكر بالمسير إلى الشام لنجدة جيوش المسلمين التي تعاني الأمرّين في قتال الروم، فما كاد خالد يقرأ خطاب الخليفة حتى ظن أن عمرا وراء هذا الأمر، وقال:"هذا عمل عمر بن الخطاب، حسدني أن يكون فتح العراق على يدي"[159].

ولا تغيب سيرة العداوة بين خالد وعمر عن روايات المؤرخين حتى في أحلك الأوقات، فحين قتل عكرمة بن أبي جهل وولده عمرو في اليرموك، وهما أبناء عمومة خالد من بني مخزوم، قال: "زعم ابن حنتمة (يعني عمراً) أنّا لا نستشهد". كما يروي ابن الأثير.

---

[157] "الكامل في التاريخ" لعلي بن محمد الشيباني المعروف بـ"ابن الأثير"

[158] الطبري تاريخ الرسل و الملوك ج3 ص 280

[159] المرجع السابق

وبعد وفاة أبي بكر اثر معركة اليرموك تولى عمر الخلافة عندها أدرك خالد أن عمر سوف ينال منه.

ولم يمر كثير من الوقت حتى وقع الصدام شبه الحتمي بين الخليفة الجديد وخالد ابن الوليد.

ففي أيام خلافته الأولى، بلغ عمر أن خالدا. منح رجلاً يُدعى الأشعث بن قيس 10 آلاف درهم، فكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح، أحد كبار الصحابة وأحد القادة في الشام تحت إمرة خالد، يطلب إليه أن يستدعي خالدا، ويقيده بعمامته وينزع عنه قلنسوته "غطاء رأس"، ويستجوبه عن مصدر المال الذي منحه للأشعث، أمِن ماله أم من غارة أغارها على الروم دون علم الخليفة؟

وذكر عمر في رسالته أنه إن كان من ماله فقد "أسرف" خالد، وإن كانت من غارة قام بها على الروم في الشام دون علم الخليفة "فقد اعترف بخيانته"، وأمر أبي عبيدة أن يعزل خالد في الحالتين ويقاسمه ماله، كما يروي ابن عساكر[160].

وكانت مكانة أبي عبيدة في الإسلام كصحابي كبير لقّبه النبي بـ"أمين الأمة" تتيح له أن يقوم بذلك مع خالد.

وجاءت أقوال خالد في تلك "المحاكمة" أن المال الذي منحه للأشعث كان من ماله. وبالفعل عزله أبي عبيدة وقاسمه ماله حتى لم يبقَ إلا نعليه، فأعطاه خالد أحدهما، امتثالاً لأوامر الخليفة بحذافيرها.

لم يكن عزل رجل كخالد بعد المجد والشهرة اللذين حققهما في كل الأمصار الإسلامية ليمر مرور الكرام، ولكن عمر إحتاط لذلك، فسارع بمراسلة ولاته يعلمهم بأسباب عزل خالد: "إني لم أعزل خالداً عن سخطة أو جنآية ولكن الناس فتنوا به. فأحببت أن يعلموا أن الله هوالصانع (صانع الانتصارات) وأن لا يكونوا بعرض فتنة".

ورد في البدآية والنهآية[161]:

---

[160] ابن عساكر مختصر تاريخ دمشق ج 18 ص 269

[161] البدآية و النهآية لابن كثير ج7 ص 23

وقد أمّر عمر على الجيوش أبا عبيدة حين ولاه وعزل خالد بن الوليد. وذكر سلمة عن محمد بن إسحاق أن عمر إنما عزل خالدا لكلام بلغه عنه، ولما كان من أمر مالك بن نويرة، وما كان يعتمده في حربه. فلما ولي عمر كان أول ما تكلم به أن عزل خالدا، وقال: لا يلي لي عملاً أبداً. وكتب عمر إلى أبي عبيدة إن أكذب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه، وإن لم يكذب نفسه فهومعزول فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين.

فلما قال أبو عبيدة ذلك لخالد قال له خالد أمهلني حتى أستشير أختي، فذهب إلى أخته فاطمة وكانت تحت الحارث بن هشام فاستشارها في ذلك، فقالت له: إن عمر لا يحبك أبدا، وإنه سيعزلك وإن كذبت نفسك. فقال لها صدقت والله فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ إحدى نعليه وترك له الأخرى، وخالد يقول سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين.

ويبدو أن عمرا كان يحقد على خالد ويضمر له بغضا شديد وهذا نستشفه من بعض الروايات الواردة في الأثر حيث قال الأصمعي عن ابن عون عن محمد ابن سيرين قال: دخل خالد على عمر وعليه قميص حرير فقال عمر: ما هذا ياخالد؟ فقال: وما بأس يا أمير المؤمنين أليس قد لبسه عبد الرحمن بن عوف؟ فقال: وأنت مثل ابن عوف؟ ولك مثل ما لابن عوف؟ عزمت على من بالبيت إلا أخذ كل واحد منهم بطائفة مما يليه. قال: فمزقوه حتى لم يبق منه شئ.[162]

وورد في كنز العمال:

عن سليمان بن موسى قال: لما افتتح خالد بن الوليد الشام نزل آمد فأعد له من بها من الأعاجم الحمام و دلوكا عجن بالخمر، وكان لعمر عيوناً من جيوشه يكتبون إليه بالأخبار، فكتبوا إليه بذلك فكتب إليه عمر إن الله حرم الخمر على بطونكم وأشعاركم وأبشاركم.[163]

وفي ذات المصدر نجد الروآية التالية:

---

[162] المرجع السابق ج8 ص 112

[163] كنز العمال/ ج: 9 ص:523

عن عمر أنه بلغه أن خالد بن الوليد دخل الحمام فتدلك بعد النورة بخبز عصفر معجون بخمر، فكتب إليه عمر: إنه بلغني أنك تدلكت بخمر، فإن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنها، وحرم ظاهر الإثم وباطنه وقد حرم مس الخمر إلا أن الغسل حرام كما حرم شربها فلا تمسوها أجسادكم، فإنها نجس وإن فعلتم فلا تعودوا فكتب إليه خالد: إنا قد قتلناها فعادت غسولاً غير خمر فكتب إليه عمر أني لأظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فانتهى لذلك.

توجه خالد بعد عزله إلى مدينة قنسرين في الشام وخطب في أهلها مودعاً: "إنَّ أمير المؤمنين استعملني على الشام حتى إذا كانت بثنية وعسلاً عزلني وآثر بها غيري"، فنهض أحد الحاضرين واعترض حديث خالد: "اصبر أيها الأمير، فإنها الفتنة"، فرد عليه خالد: "أما وابن الخطاب حي فلا"، كما أورد أبو بكر بن أبي شيبة "[164].

كانت هذه بعض الإضاءات من سيرة أحد أعلام الإسلام خالد بن الوليد كما وردة في الأثر بالأدلة، فهل يقبل المسلم العاقل بأن يكون سلفه الصالح مجرم له سيرة كسيرة خالد؟

[164]مصنف ابن ابي شيبة ج2 ص189

من سير قادة جيوش المسلمين

1-سيرة عقبة بن نافع

"إن العرب لايريدون من بلادنا إلا الذهب والفضة والمعدن، ونحن تكفينا منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلا خراب بلاد أفريقية كلها حتى ييأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر". الملكة الأمازيغية ديهيا بنت تابنة[165].

هوعقبة بن نافع الفهري القرشي قائد من أبرز قادة اللإستعمار العربي الإسلامي الذين غزو بلاد المغرب في بدايات توسع الإسلام ولقب بفاتح أفريقية.

بدأ الغزو العربي لإفريقية مع عبد الله بن أبي السرح وهو أحد المرتدين الذين أمر محمد بقتلهم وتمسكوا بستار الكعبة قبل أن يشفع له عثمان (أخاه بالرضاعة) ليعينه فيما بعد قائدا على رأس جيوش المسلمين المتوجهة إلى شمال افريقيا.

يذكر ابن كثير[166] :

فلما رأى ذلك البربر تفرقوا وفروا كفرار القطا وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمة وأموالا كثيرة وسبيا عظيما وذلك ببلد يقال له سبيطلة وكان ذلك سنة 27هـ

بعدها خفتت موجة الغزو تلك وانشغل المسلمون بالفتنة الكبرى. خير عبد الله بن أبي السرح اعتزالها. وأتى بعد ذلك عقبة بن نافع الذي ولاه معاوية على إفريقية.

قبل ذلك يجب أن نذكر القارئ أن عقبة بن نافع فشل في كل معاركه ضد الأمازيغ في شمال أفريقيا وقد استعصى عليه غزو البلاد بعد أن سقطت كل من فلسطين وإيران والعراق والشام تحت سلطة الخلافة الإسلامية. مما دفع الخليفة عمر بن الخطاب لقولته المشهورة "لا تقربوا البربر ما دام عمر حيا". لكن الخليفة معاوية، بعده خالفه الرأي وقرر إعادة إطلاق مسلسل الغزوات على شمال أفريقيا. ولتسهيل

---

[165] المؤرخ الثعالي عن ديهيا بنت تابنة ، ابن عذارى البيان االمغرب ص35، 36

ابن كثير البدآية والنهآية ج ص 166، [166]167

ذلك أتى باستراتيجية جديدة وهي نشر الإسلام بالسلم وليس بالحرب فعين القائد العسكري أبي المهاجر منصب عقبة بن نافع لتنفيذ الإستراتيجية الجديدة. ورغم مواصلة هذا الأخير سياسة الإبادة والتوسع والإحتلال إلا أنه قد استطاع تقريب الصلة بين العرب والمسلمين وانتصر في معركته ضد كسيلة ثم عفى عنه واتخذ منه صديقا بعد إسلامه. ثم توفي معاوية وولي ابنه يزيد الذي يفوق دموية والده خليفة على المسلمين. فعزل أبو المهاجر وولى عقبة من جديد الذي ما إن وصل إفريقية حتى قام بتصفيد "أبو المهاجر" بالحديد وأعاد سياسة التقتيل والتشريد ضد شعوب شمال إفريقيا رغم دخولهم الإسلام طواعية، لكن غآية العرب من غزو شمال إفريقيا لم يكن نشر الإسلام بل الغآية كانت النهب والسيطرة وإرسال الجواري والغنائم للخليفة في دمشق وهذا أمر استحال مع

أبو المهاجر وكان عقبة الأقدر عليه.

كان أول ما فعله عقبة ضد الأمازيغ هو إهانة ملكهم أكسيل رغم أنه أسلم وثبت إسلامه، لكن عقبة كان يريد إذلال الأمازيغ فكان يربط إكسيل بالحبال والسلاسل ويجره في الشوارع كالكلب وقد ورد في كتب التاريخ ما يلي:

"كما لا يغيب علينا، تصرف عقبة مع كسيلة من إهانة واضحة صادرة عن عنصرية جامحة، ونعلم أن كسيلة ثبت إسلامه منذ ولاية أبي المهاجر، وهو زعيم قومه، ورغم ذلك، فقد تعمد عقبة الإساءة إليه، بحيث أتى بغنم فأمره بذبحها وسلخها مع السالخين، فقال كسيلة:" هؤلاء فتياني وغلماني. يكفونني المؤونة. فشتمه وأمره بسلخها، ففعل".[167]

يروي لنا المؤرخون أن عقبة لما دخل قد وضع السيف في أهل البلد. و كان كلما غادر قادة جيوش المسلمين إحدى القبائل إلا وارتدت عن الإسلام بعد زوال خطر السيف فيعود بعدها هؤلاء القادة للإشراف على تنفيذ حد الردة.[168]

ورد في الأثر "ووصل عقبة بن نافع الفهري إلى إفريقية فافتتحها ودخلها ووضع السيف في أهلها".[169]

[167] ابن عذاري، البيان المغرب ج 1،ص29

[168] الطبري ج3 صفحة24[3] الكامل لإبن أثير ج3 ص 110البدآية والنهآية ج7 ص 154.

كان عقبة سفاحا ذباحا يرهب القبائل الأمازيغية ويغول في إذلالهم حتى من وضع السيف منهم لا يسلم من بطشه وقد ورد ما يلي في كتب التاريخ:

"فمضى إلى مدينة المنستير فقاتلهم قتالا شديدا، حتى ظن أنه الفناء"."وغزوته إلى مدينة باغآية فقاتلهم قتلا ذريعا".[170]

"بعد أن أثخن قتلا في أهل المغرب ففزع منه أهل إفريقية واشتد خوفهم ولجوا إلى الحصون والقلاع". [171]

كتب عديدة تتحدث عن غزو عقبة وعصابته للأمازيغ حتى بعد إسلامهم وكان أبو المهاجر حذر عقبة من عاقبة أفعاله وهذا يدل أن غآية العرب كانت الغنائم والسبايا لا نشر الدين الجديد:

يقول ابن خلدون[172] متحدثاً عن عقبة بن نافع الفهري:"كان عقبة في غزواته للمغرب يستهين كسيلة ويستخف به وهو في اعتقاله".

ونقل ابن خلدون قول أبي المهاجر دينار لعقبة، الذي رافقه في غزواته، "بئس ما صنعت، إذ كان الرسول الأكرم يتألف جبابرة العرب، وأنت تأتي إلى جبار في قومه وتهينه؟".

"غير أن عقبة لم يأخذ نصيحة أبا المهاجر مأخذ الجد، فما لبث مخططه الجديد أن تبلور بالخروج على النطاق المحلي المألوف الذي كان طابع الأعمال العسكرية في عهد أبي المهاجر".[173]

وكتب المؤرخ الدكتور حسين مؤنس عن شدة بطش عقبة بن نافع ضد الأمازيغ وإعادة غزوهم حتى بعد إسلامهم. حيث قال: "غير أن خطأ عقبة الفادح ليس في عدم سماعه لنصيحة أبي المهاجر ولا في غزوه لقبائل أعلنت إسلامها وإنما في منهجه وأسلوب تعامله وما وراءه من أهواء المجد الشخصي، فقد رفض مصالحة البربر

---

[169]بن عذاري المراكشي، كتاب البيان المغرب، ص19

[170] المرجع السابق ، ص 24

[171]الرقيق القيرواني، كتاب تاريخ إفريقية والمغرب، ص 20

[172]كتاب "العبر" ابن خلدون

[173]ابراهيم بيضون، "ملامح التيارات السياسية في القرن الأول ، 1979، ص179.

وتوخي سياسة اللين والمودة إزاءهم، بل إن الأمر بلغ به إلى حد التخلي عن تلك القاعدة التي عمل بها بعض قادة المسلمين والمتمثلة في اعذار الطرف المقابل وجعله يختار واحدة من ثلاث: الإسلام أو الجزية أو الحرب.

ومن هنا فإن عقبة تمشياً مع نوازعه الذاتية، فضل مسلك القوة واستعمال العنف ولم يعرف عنه أنه جنح في حق البربر إلى السلم ماعدا ما ذكر عن بلاد دكالة من أنه عرض عليها الإسلام فرفضت فقاتلها. وقد أودى ذلك بعدد كبير من أصحابه، وكان من الممكن تفادي هذه الخسارة الجسيمة لو تخلى عقبة عن العناد والأسلوب الذاتي".[174].

ونقرأ لابن عبد الحكم كذلك ما يلي: "ثم رجع عقبة إلى خاوار من غير طريقه التي كانا قبل منها، فلم يشعروا به حتى طرقهم ليلا فوجدهم مطمئنين قد تمهدوا في أسرابهم، فاستباح ما في المدينة من ذرياتهم وأموالهم وقتل مقاتلتهم".[175]

" وغزوته أيضا للبربر بالسوس الأدنى. فهزمهم وأفناهم وبث الخيل في بلادهم فافترقت في طلبهم إلى كل موضع هربوا إليه".

"وغزوته أيضا للسوس الأقصى. فقتلهم قتالا ما سمع أهل المغرب بمثله حتى هزمهم وقتل منهم خلقا عظيما".[176]

يورد ابن عبد الحكم نصا يتحدث فيه عن بطش عقبة بملوك الأمازيغ حتى بعد إسلامهم:

"فخلف عقبة بن نافع جيشه هناك. ثم سار بنفسه ومن خف معه، أربع مائة فارس وأربع مائة بعير. حتى قدم ودان فافتتحها، واخذ ملكهم فجدع أذنه، فقال: لم فعلت هذا بي؟ وقد عاهدتني، فقال عقبة: فعلت هذا بك، أدبا لك، إذا مسست أذنك ذكرته، فلم تحارب العرب. واستخرج منهم ما كان بسر فرضه عليهم ثلاثمائة رأس وستين رأسا ثم سألهم عقبة هل من ورائكم أحد؟ فقيل له جرمة وهي مدينة فزان العظمى فسار إليها ثماني ليال من ودان، فلما دنا منها أرسل فدعاهم إلى الإسلام

---

[174]حسين مؤنس، أحد المؤرخين العرب المحدثين، في كتابه فتح العرب للمغرب ص 203

[175]". ابن عبد الحكم، "فتوح إفريقية والأندلس"، ص-53

[176] بن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ص27

فأجابوا فنزل منها على ستة أميال، وخرج ملكهم يريد عقبة وأرسل عقبة خيلا فحالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه، راجلا حتى أتى عقبة وقد لغب، وكان ناعما فجعل يبصق الدم، فقال له: لم فعلت هذا بي وقد أتيتك طائعا؟ فقال عقبة: أدبا لك إذا ذكرته لم تحارب العرب، وفرض عليه ثلاثمائة عبد وستين عبدا ووجه عقبة الرحل من يومه ذلك إلى المشرق. ثم مضى. فسألهم هل من ورائكم أحد؟ قالوا نعم، أهل خاوار. فسار إليهم خمس عشرة ليلة، فلما انتهى تحصنوا فحاصرهم شهرا فلم يستطع لهم شيئا، فمضى أمامه إلى قصور خوار فافتتحها حتى انتهى إلى أقصاها وفيه ملكها فقطع أصبعه فقال: لم فعلت هذا بي؟ قال أدبا لك إذا نظرت إلى إصبعك لم تحارب العرب، وفرض عليه ثلاثمائة عبد وستين عبدا".[177]

لقدقتل عقبة ابن نافع سنة 63 هـ بعد أن غزا السوس القصوى، وقتله أكسيل بن لمزم القائد العسكري الأمازيغي وقتل معه أبا المهاجر دينار وبعد حروب الغزوات يعود العرب بحروب انتقامية للأمازيغ بعد قتلهم لعقبة بن نافع لبطشه الشديد عليهم تتحدث كتب التاريخ عن سفاح أخر أرسلته دولة الإسلام لشمال إفريقية كي تستعيد هيبتها بعد مقتل عقبة:

"ومقتل عقبة على يد البربر، ستؤدي إلى تجاوزات أخرى، سيقترفها زهير بن قيس البلوي، الذي تشير كل الدلائل إلى أن تدخله في بلاد المغرب كان بدافع انتقامي صرف، فعلى هذا الأساس كان اختيار عبد الملك بن مروان له بحيث قال: "لا يصلح للطلب بدم عقبة من الروم والبربر إلا من هو مثله دينا وعقلا" فاستشار مع وزرائه، فاجتمع رأيهم على تقديم زهير بن قيس البلوي وقالوا: «هذا صاحب عقبة، وأعلم الناس بسيرته وتدبيره وأولاهم بطلب دمه".[178]

"يفهم من النصوص أن غزوة زهير هذه كانت حملة تأديبية أولا وقبل كل شيء، فبعد أن انتقم زهير لمقتل عقبة واخذ بثأره، عاد نحوالمشرق في طريقه إلى مصر"..[179]

---

[177]أحمد زاهد، كتاب الغزوالعربي لشمال افريقيا نقلا عن ابن عبد الحكم، كتاب "فتوح إفريقية والأندلس"، ص-51-52

[178]أحمد زاهد الغزوالعربي لشمال افريقيا، ص16

[179] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج 1 ص 23

لم يكن عقبة المجرم الوحيد الذي سفك دماء الأمازيغ بإسم الإسلام بل خلفه في ذلك موسى بن نصير الذي لا يقل عنه ظلما ووحشية.

يقول ابن قتيبة الدينوري[180] في فتح زغوان :فوجه لهم موسى خمس مئة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان، وفتحها الله على يد موسى، فبلغ السبي يومئذ عشرة آلاف رأس،وانه كان أول سبي دخل القيروان في ولآية موسى، ثم وجه ابنا له يقال له:عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فأتاه بمئة ألف رأس ثم وجه ابنا له يقال له مروان فأتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين ألف رأس.

و عند قدوم كتاب الفتح إلى عبد العزيز بن مروان قال: وذكروا أن موسى بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذي فتح الله عليه،و أمكن له، ويعلمه أن الخمس بلغ ثلاثين ألفا وكان ذلك وهما من الكاتب، فلما قرأ عبد العزيز الكتاب، دعا الكاتب وقال له:ويحك! اقرا هذاالكتاب، فلما قرأه قال هذا وهم من الكاتب فراجعه.

فكتب إليه عبد العزيز:انه بلغني كتابك وتذكر فيه أن قد بلغ خمس ما أفاه الله عليك ثلاثين ألف رأس،فاستكثرت ذلك، وظننت أن ذلك وهم من الكاتب،فاكتب إلي بعد ذلك على حقيقة،واحذر الوهم، فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه بلغني أن الأمير أبقاه الله يذكر أنه استكثر ما جاءه من العدة، التي أفاه الله علي، وأنه ظن أن ذلك وهم من الكاتب، فقد كان ذلك وهما على ما ظنه الأمير، الخمس أيها الأمير ستون ألفا حقا ثابتا بلا وهم.قال:فلما أتى الكتاب الى عبد العزيزوقرأه ملأه سرورا.

و في فتح هوارة وزناتة وكتامة :قال وذكروا أن موسى أرسل عياش بن أخيل الى هوارة وزناتة في الف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم،فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس وكان عليهم رجل منهم يقال له كمامون فبعث به الى عبد العزيز في وجوه الأسرى، فقتله عند البركة التي عند قرية عقبة فسميت بركة كمامون.

كما ورد عن ابن قتيبة في فتح صنهاجة : وذكروا أن الجواسيس أتوا موسى فقالوا له: أن صنهاجة بغرة منهم وغفلة وأن أبلعهم تنتج ولا يستطيعون براحا، فأغار عليهم

---

[180] ابن قتيبة الامامة والسياسة ص229

بأربعة آلاف من أهل الديوان وألفين من المتطوعة ومن قبائل البربر (التي دخلت في الإسلام وانضمت للجيش)،وخلف عياشا على أثقال المسلمين وعيالهم بظبية في ألفي فارس،وعلى مقدمة موسى عياض بن عقبة،وعلى ميمنته المغيرة بن أبي بردة، وعلى ميسرته زعة بن أبي مدرك، فسار موسى حتى غشى صنهاجة ومن كان معها من قبائل البربر وهم لا يشعرون،فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم يومئذ مئة ألف رأس،ومن الإبل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب و مالا لا يحصى،ثم انصرف قافلا الى القيروان.

يذكر أنه في فتح **سجوما** جرت مبارزة بين ملك من ملوك البربر وبين مروان بن موسى بن نصير يقول ابن قتيبة : فحمل عليه مروان فرده حتى الجأه الى جبله ثم انه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان بيده وأخذه،ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت في جنبه ثم لحقت حتى وصلت الى جوف برذونه فمال فوقع به البرذون ثم التقى الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديدا أنساهم ما كان قبله،ثم ان الله هزمهم،وفتح للمسلمين عليهم، وقتل ملكهم كسيلة بن لمزم،وبلغ سبيهم مئتي ألف رأس،فيهم بنات كسيلة،وبنات ملوكهم، ومالا يحصى من النساء السلسات،اللاتي ليس لهم ثمن ولا قيمة.قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدي موسى،قال: علي بمروان ابني.قال: فأتى به قال له:أي بني اختر.قال فاختار ابنة كسيلة. فاستسرها (أي أخذها سرية أو جارية). ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها،جعل يكتب الى عبد العزيز بفتح بعد فتح،وملأت سباياه الأجناد. وقل: وبعث موسى الى عياض وعثمان والى عبيدة بن عقبة،فقال: اشتفوا،وضعوا أسيافكم في قتلة أبيكم عقبة.قال:فقتل منهم عياض ست مئة رجل صبرا من خيارهم وكبارهم،ف أرسل اليه موسى أن أمسك. فقال: أما والله لوتركني ما أمسكت عنهم، ومنهم عين تطرف.

غزوة موسى في البحر : فأتت موسى وفاة عبد العزيز بن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين، فبعث اليه بالبيعة عقد لعياش بن أخيل على مراكب أهل افريقيا، فشتا في البحر،وأصاب مدينة يقال لها، سرقوسة،ثم قفل في سنة ست وثمانين،ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالعة أهل مصر على موسى في سنة تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر افريقية، فأصاب سردانية، وافتتح مدائنها وبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس،سوى الذهب والفضة وغيره.

و ذكر ابن قتيبة في غزوة السوس الأقصى: قال وذكروا أن موسى وجه مروان ابنه الى السوس الاقصى، وملك السوس يومئذ مزدانة الأسواري، فسار في خمسة آلاف من أهل الديوان. فلما التقى مروان ومزدانة اقتتل الناس إذ ذاك اقتتالا شديدا،ثم انهزم مزدانة ومنح الله مروان أكتافهم، فقتلوا قتل الفناء،فكانت تلك الغزوة استئصال أهل السوس على يدي مروان،فبلغ السبي أربعين ألفا،وعقد موسى على افريقية حتى نزل بميورقة فافتتحها.

عقبة ابن نافع و أصحابه كانوا مجرمي حرب، فعل ما فعله أسلافه من تقتيل وترويع للشعوب الأمانة بغآية النهب والإستعباد والفرق بينهم وبين غيرهم من مجرمي الحرب الذين يذكرهم التاريخ أن هؤلاء يتذرعون بأن جرائمهم مباحة بإسم الله.

كتب المؤرخ التونسي محمد الطالبي[181] أن "الأمازيغ خلال تلك الفترة أصبحوا عبيدا ليس ببلدانهم فحسب، بل حتى في المشرق، أصبحت النساء من جواري قصور الشرق".

متى يحاكم عقبة وأمثاله على جرائمهم بدلاً من تمجيد أسمائهم ورعآية قبورهم ومزاراتهم؟

---

[181] محمد الطالبي في كتابه L'émirat aghlabide

2-الحجاج بن يوسف الثقفي

الحجاج بن يوسف الثقفي ولد سنة 40هـ وتوفي سنة 95هـ، قائد في العهد الأموي، ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلَّده عبد الملك أمر عسكره. أمره عبد الملك بقِتالِ عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيشٍ كبير وقتل عبد الله وفرَّق جموعه، فولاَّه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيها، فانصرف إلى الكوفة في ثمانية أوتسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة. بنى مدينة واسطو و مات بها،كان سفاكا سفاحا مرعبا باتفاق معظم المؤرخين. عرف بالمبير أي المُبيد وكانت له اللمسات الأخيرة في كتابة القرآن كما هو موجود اليوم حتى أن هناك من يقول قرآن "الحجاج" بدلا من قرآن عثمان.

لا يوجد اسم عربي في تاريخ القتل أشهر من اسم الحجاج. ربما يختلف الناس في مبرّرات وحجم البطش الذي مارسه، لكنهم لا يستطيعون تكذيبه، حينما يقول إنه"لم يقتل إلا لمصلحة الخليفة". أمّا الخليفة عبدالملك بن مروان فيوجز مصالح القتل قائلا: "إذا رابك **ريب** من أهل العراق فاقتل أدناهم يرعب منك أقصاهم"، لذلك يجيبه الحجاج:"إني والله لا أداويهم إلا بالسيف".ويتفق المسلمون بمختلف مذاهبهم على أن الحجاج كان سفاحا ذباحا ويحاول الكل التبرؤ منه وإلصاق كل جرائم التاريخ الإسلامي بشخصه وجعله كبش فداء لإبعاد شبهة الظلم والجور عن الخلفاء وأمراء الدولة الإسلامية الفتيّة، مع ذلك كانت هناك بصمات لا تمحى تركها الحجاج في تاريخ الإسلام ماتزال مستمرة إلى اليوم أهمها أنه أهتم بتنقيط الحروف في المصحف، ووضع علامات الإعراب على كلماته، حيث أمر نصرا بن عاصم للقيام بهذه المهمة والذي نُسب إليه عملية تجزئة القرآن، حيث وضع علاماتٍ تدل على نصف القرآن، وثلثه، وربعه، وفضّل أن يعتمد الناس قراءة واحدة للقرآن، وعندها اتخذوا قراءة عثمانَ بن عفان، كما كتب مصاحف عديدة وبعثها إلى الأمصار المختلفة. وتذكر كتب التاريخ أن الحجاج قد حمى الدولة الأموية من السقوط وأسّسها من جديد.

عاش الحجاج حوالي ثلاثة وخمسين عاما، قضى منها في القيادة ما يقرب من ثلاث سنوات في الحجاز، وعشرين عاما في العراق. كانت جميعها سنوات نكدات. وصلت أعداد قتلى العراقيين فيها، على رأي المتشددين، ألف ألف أي مليون قتيل، عدا من مات في الحروب. شعر ضحاياه لطول وشدة ظلمه، أن الله تواطأ معه. تناقل الناس سراً خبر موته خوفا من قيامته وإنتقامه.

يقول الدكتور سالم عبود[182] متحدثا عن موت الحجاج الذي كان يمثل كابوسا مرعبا لمن عاصره من الناس:كان موت الحجاج ثقيلا على الذاكرة السرديّة الإسلامية، لأنه يشبه الهروب المدبّر. وكان لا بدّ للذاكرة الجريحة أن تنتقم، ولكن بأثر رجعيّ. استخدمت في عملية الانتقام وسائل الإعلام كافة: الخبر، الشعر، القصة، الروآية الشفاهية. ولم يتوقف الأمر عند وسائل الإعلام التقليدية الموروثة من العصور الغابرة، فقد لحقت بها الفضائيات والمسلسلات التلفزيونية والروآية والإنترنت. ساهمت جميعها في صناعة تاريخ إرضائي ينتصر خياليا على الماضي المنتصر واقعيا. كل هذه الوسائل كانت غايتها الإنتقام من هتلر العرب.

أبرز أساليب الهجوم كانت تدنيس وتحقير شخص الحجاج ووصمه بالطاغية حتى أنه لم يبلغ أحد ما بلغه الثقفي في الطغيان والظلم في تاريخ الدولة الإسلامية.

ومما قيل عن الحجاج:

قال"عمر بن عبد العزيز": لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم.

قال الترمذي: يقال الكذاب المختار بن أبي عبيد والمبير الحجاج بن يوسف.
وقال هشام بن حسان: أحصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة وعشرين ألف قتيل.[183]

لم تكتف الذاكرة السردية بهذا القدر من القدح. إن كراهية البعض للحجاج ولّدت رغبة في تصفية الحساب معه أو ربما مع الدولة الأموية في شخص أحد أبرز قادتها

---

[182] الدكتور سالم عبود موقع الحوار المتمدن تاريخ النشر 9 /2013/08

[183] سنين الترمذي ج4 حديث رقم 433

ورموز قوتها، ظلم الحجاج وأباح للخيال السردي التحرك بحرية تامة، من دون رقيب أخلاقي أو علمي. لذلك توجه كارهوالحجاج إلى المخيال الحكائي. فجعلوا من ولادته لحظة غرائبية بشعة: ولد منقوعا بالدم، ولم يرضع إلا بعد أن طلي ثدي أمه بالدم أي أنه يعشق شربة الدم منذ الرضاعة.

موت الحجاج حسب الروايات التي حاكها كارهوه تمّ على يد دويبة صغيرة غزت بطنه. وقد فضّل بعضهم أن تكون "الخنفساء"، زيادة في التشفّي والإحتقار. وهناك من يؤكد أنهم سمعوا صراخ الحجاج حينما قبر، لأنه دفن قبيل أن يتمّ موته، أما ذريته فقد انقرضت عن بكرة أبيها. وهنا يحاول الرواة التقليل من شأن الحجاج وإبراز انتقام الله منه مع أن روايتهم تشابه أفلام الأكشن غير الإحترافية التي تنتجها بوليوود. ومهما حاولت الدولة الأموية التبرؤ من جرائمها وإلصاقها بالحجاج يَظل الحجاج مجرد قائد عسكري، عبد مؤمور نفذ أوامر الخليفة ظل الله في الأرض.

سيّر عبد الملك بن مروان الجيوش لمحاربة الخارجين عن الدولة بقيادة الحجاج الذي كره ولآية ابن الزبير فارس قريش وحفيد أبي بكر من إبنته أسماء بنت وهبّ لمحاربته وكان عبد الله ابن الزبير قد رفض مبايعة يزيد بن معاوية خليفة للمسلمين بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، فأخذه يزيد بالشدة، مما جعل ابن الزبير يعوذ بالبيت الحرام. ولم يمنع ذلك يزيد أن يرسل إليه جيشًا حاصره في مكة، ولم يرفع الحصار إلا بوفاة يزيد نفسه سنة 64 هـ بوفاة يزيد، أعلن ابن الزبير نفسه خليفة للمسلمين واتخذ من مكة عاصمة لحكمه، وبايعته الولايات كلها إلا بعض مناطق في الشام، التي دعمت الأمويين وساعدتهم على استعادة زمام أمورهم. لم تصمد دولة ابن الزبير طويلاً بسبب الثورات الداخلية على حكمه وأبرزها ثورة المختار الثقفي في العراق، إضافة إلى إجتماع الأمويين حول مروان بن الحكم ومن بعده ابنه عبد الملك في الشام، مما مكّنهم من استعادة باقي مناطق الشام ومصر ثم العراق ولم يتبقى غير الحجاز والتي سير لها ابن مروان جيشا بقيادة الحجاج. وتروي كتب التراث أنه وعندما علم الحجاج بعدم رغبة أهل الشام بالخروج في الجيش أمهلهم ثلاثة أيامٍ فقط فمن لم يخرج يقتله، ويحرق بيته، ويأخذ ماله، وبالفعل بدأ الحجاج بالسير بين البيوت حيث قتل أحد المتخلفين عن الجيش، فخرج معه

الأغلبية بالإجبار وقتل مصعب شقيق الخليفة عبد الله ابن الزبير في هذه الحرب وأصبحت العراق تحت رآية الخلافة الأموية.

بعد أن إستولى عبد الملك على الكوفة أرسل الحجاج على رأس جيش كان أكثرهم من الشاميين للتخلص من الخليفة عبد الله بن الزبير في الحجاز.بالغ بعض المؤرخين في عد جيش الحجاج وقالوا أنه تجاوز العشرين ألفا، وذكر بعضهم أن العدد كان أربعين ألفا بين فارس ورجل، ولكن هناك من تطرق لعدد أكثر مقبولية وذكروا عدد الجيش إضافة للقوات المساعدة التي لحقت بهم فيما بعد، بما يقارب سبعة آلاف شخص.

في جمادى الأولى من سنة 72هـ، خرج الحجاج من الكوفة، وفي شعبان من السنة نفسها وصل الطائف، وعسكر هناك. تنقل بعض الأخبار أن سبب استقراره في الطائف هو أنه لم يؤمر في بادئ الأمر بالتعرض لمكة والمسجد الحرام.

ولكن بعد مضي شهرين من إقامته في الطائف وبعض الإشتباكات الدامية بين جيشه وجيش ابن الزبير في عرفات وبعد وصول التعزيزات المطلوبة إضافة إلى أمر الخليفة الأموي، توجّه في الأول من ذي القعدة سنة 72 هـ إلى مكة وحاصرها لمدة سبعة أو تسعة أشهر ومن ثم رجم الكعبة بالمنجنيق وبعد معارك عديدة قتل عبد الله بن الزبير في 17 جمادى الأولى أو جمادى الآخر سنة 73 هـ و إحتل مكة وضم الحجاز إلى الحكم الأموي.

يقول ابن كثير في كتابه البدآية والنهآية:

قال ابن جرير: وفي هذه السنة - يعني سنة أربع وستين - هدم ابن الزبير الكعبة، وذلك لأنه مال جدارها من رمي المنجنيق، فهدم الجدار حتى وصل إلى أساس إبراهيم، وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سرق من حرير، وادخر ما كان في الكعبة من حلي وثياب وطيب، عند الخزان، حتى أعاد ابن الزبير بناءها على ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يبنها عليه من الشكل، ثم لما غلبه الحجاج بن يوسف في سنة ثلاث وسبعين:

هدم الحائط الشمالي، وأخرج الحجر كما كان أولا، وأدخل الحجارة التي هدمها في جوف الكعبة فرصها فيه، فارتفع الباب وسد الغربي.[184]

وروآية ابن كثيرعن الحادث كانت على النحو التالي:

قال الواقدي: حدثني مصعب بن نائب عن نافع مولى بني أسد - وكان عالماً بفتنة ابن الزبير.

قال: حصر ابن الزبير ليلة هلال الحجة سنة اثنتين وسبعين وقتل لسبع عشر ليلة خلت من جمادى الأول سنة ثلاث وسبعين، فكان حصر الحجاج له خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة.

وقد ذكرنا فيما تقدم أن الحجاج حج بالناس في هذه السنة الخارجة، وكان في الحج ابن عمر، وقد كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يأتم بابن عمر في المناسك كما ثبت ذلك في (الصحيحين)[185].

فلما استهلت هذه السنة استهلت وأهل الشام محاصرون أهل مكة، وقد نصب الحجاج المنجنيق على مكة ليحصر أهلها حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك.

وكان مع الحجاج الحبشة، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقا كثيرا، وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمي من كل مكان، وحبس عنهم الميرة والماء، فكانوا يشربون من ماء زمزم، وجعلت الحجارة تقع في الكعبة، والحجاج يصيح بأصحابه: يا أهل الشام الله الله في الطاعة.

فكانوا يحملون على ابن زبير حتى يقال: إنهم آخذوه في هذه الشدة، فيشد عليهم ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني شيبة، ثم يكرون عليه فيشد عليهم، فعل ذلك مرارا، وقتل يومئذ جماعة منهم وهو يقول: هذا وأنا ابن الحواري.

وقيل لابن الزبير: ألا تكلمهم في الصلح؟

---

[184] البدآية والنهآية ج 8 ص 275

[185] راجع صحيح مسلم و البخاري كتاب الفتن . موقع الإسلام سؤال و جواب الحجاج بن يوسف الثقفيفي ميزان أهل السنة

فقال: والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم جميعاً والله لا أسألهم صلحاً أبداً.

وذكر غير واحد: أنهم لما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود حتى جعلت تعلوا أصواتها على صوت المنجنيق، ونزلت صاعقة فأصابت من الشامين اثني عشر رجلاً فضعفت عند ذلك قلوبهم عن المحاصرة.

فلم يزل الحجاج يشجعهم ويقول: إني خبير بهذه البلاد، هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها، وإن القوم يصيبهم مثل الذي يصيبكم، وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضاً، فجعل الحجاج يقول: ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة.

وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون:مثل الفنيق المزبد نرمي بها أعواد هذا المسجد.[186]

و في ذات المرجع نقرأ: فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة، فخطبهم الحجاج فقال: ويحكم ألم تعلموا أن النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم؟ فلولا أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته، فعادوا إلى المحاصرة.

وما زال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان ويتركون ابن الزبير حتى خرج إليه من عشرة آلاف، فأمنهم وقَلَّ أصحاب ابن الزبير جداً، حتى خرج إلى الحجاج حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير، فأخذا لأنفسهما أماناً من الحجاج فأمنهما.

قتل الحجاج ابن الزبير ونكل بجثته وصلبه حتى يكون عبرة لأعداء الخليفة من المتمردين والثوار.[187]

ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه رضي الله عنه، وجاؤوا إلى الحجاج فأخبروه فخر ساجداً ، ثم قام هو وطارق بن عمرو حتى وقفا عليه وهو صريع.

فقال طارق: ما ولدت النساء أذكر من هذا.

---

[186] البدآية و النهآية ج8 ص 364

[187]المرجع السابق ج 8ص 366

فقال الحجاج: تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين؟

قال: نعم هو أذكر لأن محاصروه وليس هو في حصن ولا خندق ولا منعة ينتصف منا بل يفضل علينا في كل موقف، فلما بلغ ذلك عبد الملك ضرب طارقا.

وروى ابن عساكر في ترجمة الحجاج[188]: أنه لما قتل ابن الزبير ارتجت مكة بكاء على عبد الله بن الزبير رحمه الله، فخطب الحجاج الناس فقال:

أيها الناس ! إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازعها أهلها وألحد في الحرم فأذاقه من عذابه الأليم، وإن آدم كان أكرم على الله من ابن الزبير، وكان في الجنة وهي أشرف من مكة، فلما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التي نهي عنها أخرجه الله من الجنة، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

وقيل: إنه قال: يا أهل مكة إكباركم واستعظامكم قتل ابن الزبير، فإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله، ولو كانت مكة شيئاً يمنع القضاء لمنعت آدم حرمة الجنة وقد خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء.

فلما عصاه أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير، وإن ابن الزبير غيّر في كتاب الله.

فقال له عبد الله بن عمر: لو شئت أن أقول لك كذبت لقلت، والله إن ابن الزبير لم يغير كتاب الله، بل كان قواماً به صواماً، عاملاً بالحق.

ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك بما وقع، وبعث برأس ابن الزبير مع رأس عبد الله بن صفوان، وعمارة بن حزم إلى عبد الملك، ثم أمرهم إذا مروا بالمدينة أن ينصبوا الرؤس بها، ثم يسيروا بها إلى الشام، ففعلوا ما أمرهم به وأرسل بالرؤوس مع رجل من الأزد فأعطاه عبد الملك خمسمائة دينار، ثم دعا بمقراض فأخذ من ناصيته ونواصي أولاده فرحاً بمقتل ابن الزبير.

---

[188] المرجع السابق

ثم أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصلبت على ثنية كدا عند الحجون، يقال: منكسة، فما زالت مصلوبة، حتى مر به عبد الله بن عمر فقال: رحمة الله عليك يا أبا خبيب، أما والله لقد كنت صواماً قواماً.

ثم قال: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ فبعث الحجاج فأنزل عن الجذع ودفن هناك.[189]

ودخل الحجاج إلى مكة فأخذ البيعة من أهلها إلى عبد الملك بن مروان، ولم يزل الحجاج مقيماً بمكة حتى أقام للناس الحج عامه هذا أيضاً وهو على مكة واليمامة واليمن.

ويروى أن ابن عمر قد مر على ابن الزبير وهو مصلوب فقال:

"يرحمك الله فإنك كنت، ما علمتُ، صواما قواما وصولا للرحم، فإني لأرجو ألا يعذبك الله عز وجل".

وفي عام 75هـ عزل عبد الملك بن مروان الحجاج عن الحجاز وولّاه على العراق ويذكر المؤرخون عدة أسباب لهذه الإقالة والتعيين، منها: أن عددا من أشراف الحجاز طلبوا من عبد الملك أن يقيل الحجاج من إمارة الحجاز، وفضلا عن ذلك يُقال السبب هوموت حاكم العراق بشير بن مروان بن الحكم، مما سبب اضطرابات في العراق إضافة لخطر إثارة الشغب من قبل الخوارج.واستمرّت ولايته على العراق لمدة عشرين عاما، وفي العراق خطب الحجاج خطبته الشهيرة، والتي توعّد وهدّد فيها أهل العراق في حَال تخلّف أحد منهم وأعرض عن أوامر بني أمية، وفيها قال جملته الشهيرة: (إنني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى).وقد أبدت هذه الخطبة شدّة الحجاج وسياسته الحازمة، فما كان من أهل العراق إلّا أن خضعوا لبني أمية وقائدهم الحجاج بن يوسف الثقفي.

الحجاج كان يقتل الناس حتى الشيوخ والصبيان، لا لشيء إلا حبا بالقتل وإراقة الدماء، وكان يخبر عن نفسه أن أكثر لذاته سفك الدماء، وإرتكاب أمور لا يقدم

---

[189] المرجع السابق ج 8ص367

عليها غيره، ولا سبق إليها سواه، فلقد قتل الحجاج الآلاف من الأسرى في دير الجماجم والزاوية وبحسب المؤرخين وصلت إحصائية القتلى إلى أكثر من ألف ألف شخص. حتى أن عبد الملك بن مروان اعترض على هذا الإسراف في إراقة الدماء، وكتب للحجاج أن لا يستمر بمثل هذه المجازر.

روي أن عدد السجينات في زمنه بلغ "ثلاثين ألف امرأة". وروي أن الرجال والنساء كانوا "محبوسين في موضع واحد"، وأن "قسم من النساء مجردات من الثياب".[190]، وذُكر أيضا أن سجون الحجاج "يحبس فيها الرجال والنساء مقيدين بقيد واحد".

تاريخ الحجاج لا يمكن فصله عن تاريخ الرسول وأصحابه كما تخبر عنهم كتب التراث فهو إستمرارٌ لهم، و لا أجد تفسرا لحرص المسلمين بكل أطيافهم على التبرؤ من جرائم الحجاج وفي المقابل يفتخرون بجرائم عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي وعقبة وموسى وغيرهم من القتلة. فهل لأن الحجاج قتل المسلمين، هل هذا يأكد أن دم المسلمين حرام ودماء غيرهم حلال؟

ولكن الصحابة تقاتلوا وقتل بعضهم بعضا وخالد وعمر وأبو بكر قتلوا من المسلمين الكثير فلماذا لا يدينهم الفقهاء والمؤرخون؟

هل يكون الثقافي كبش فداء لإسكات صوت النقاد أم هو إعتراف محتشم بماضي حالك السواد تشكلت على أسسه دولة الإسلام؟

---

[190] د عبد الواحد ذنون طه العراق في زمن الحجاج - ص 210

في الفتنة الكبرى

الفتنة الكبرى هي حرب أهلية بين المسلمين وبالتحديد بين الصحابة بدأت جذورها منذ حادثة السقيفة واشتدت بمقتل عمر لتبلغ ذروتها فيما يعرف بفتنة قتل عثمان ابن عفان سنة 35هـ والتي أدت لإضطرابات واسعة في الدولة الإسلامية طوال خلافة علي بن أبي طالب حتى اقتتاله مع معاوية وعائشة ثم خلافة الحسن وتنازله عام الجماعة وصولاً إلى واقعة كربلاء.

وللبحث أكثر في تفاصيل الفتنة الكبرى وجذورها نعود لدراسة تاريخية ومقاربة منهجية أجرتها الدكتورة ميسون البياتي[191] وتناولت فيها الفتنة وفق تحليل منطقي وتقول الدكتورة أنه وبعد فتح مكة وإرغام الناس بالقوة على الدخول في الإسلام، إرتد أغلبهم إن لم يكن في العلن ففي السر. ولذلك اغتاض منهم النبي وأخذ زوجاته وغادر إلى المدينة، معطيا لأهل مكة (سنة إنتقالية) ليعودوا مرة أخرى إلى الإسلام، فإن لم يفعلوا فستشدد عليهم الأحكام، وكان من المقرر أن تغلق بيوت (ذوات الرايات الحمر) بالتدريج خلال هذه السنة. لكن أهل مكة تمادوا في العودة إلى جاهليتهم الأولى. ولكي يكيدوا للنبي الكيد كله. تم في أحد بيوت ذوات الرايات الحمر تسمية العاملات في تلك الدار بأسماء السيدات أمهات المؤمنين ولهذا حين كان الشعراء يتشببون بتلكم العاهرات كان التشبيب يقع على أمهات المؤمنين بسبب إنتحال أسمائهن. حين إنتهت السنة الإنتقالية وعادت قوات النبي إلى مكة بقيادة أبو بكر الصديق الذي كان مسؤولا عن العسكر والأمن،أناط النبي مسؤولية أخرى لأبو بكر وهي رئاسة لجنة تعقب وإعدام الشعراء المشببين، وكان من بين هؤلاء شاعر يدعى بعل، كان زوجا لبعض النساء اللواتي يحملن أسماء أمهات المؤمنين، واللواتي رفضن التوقف عن ممارسة الدعارة لأن هذا مصدر عيشهن الوحيد، حين إقتادهن الحرس إلى السجن، كان بعل يأتي كل يوم إلى مكان قريب من السجن وهو يحمل قصيدة طويلة يشبب فيها بواحدة من زوجاته المسجونات وهي تحمل اسم واحدة

---

[191] الدكتورة ميسون البياتي موقع الحوار المتمدن تاريخ النشر 2010/07/1

من أمهات المؤمنين، وسط حشد من الناس،وبعد أن ينتهي من قراءة القصيدة يذهب ويعلق صحيفتها على حائط السجن. بعل هذا وجمهور الناس حوله هم الذين نزلت فيهم سورة الشعراء[192](والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وإنتصروا من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون).

مشهد رهيب تصوره لنا هذه القصة من الإستهزاء بالإسلام والمسلمين داخل مكة حتى بعد فتحها، أجاز المؤرخ البريطاني أرنولد لتوينبي[193]أن يعتبر من خلاله فتح مكة هو نقطة تراجع الإسلام حيث كان يشكل التحدي لمكة قبل الفتح و أصبح أهل مكة هم التحدي للإسلام بعد الفتح، فكانت النتيجة سقوط دولة الإسلام عام 40 للهجره.

وفي رمضان السنة الثامنة هجرية تم فتح مكة، وحين أعلنت مكة بعد الفتح تمردها على الإسلام، و تبعتها بعد ذلك قبائل عربية كثيرة ممن تعيش خارج مكة والمدينة والطائف إلى إعلان ردتها عن الإسلام في حياة النبي.

بعد 17 شهر إي في صفر 11 هجرية مات النبي ورغم أن كتاب القرآن ينص على وجوب التشاور لتنصيب الخليفة كما ورد بالنص (والذين إستجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)[194]. كما أن القرآن صنّف ترتيب الشورى بعد الإيمان بالله وإقامة الصلاة ويفضلها على الإنفاق بالزكاة والصدقات إلا أن أبو بكر الصديق وبحكم سيطرته العسكرية والأمنية على دولة الإسلام عجل الشورى بإجتماع السقيفة وفاز بكرسي الخلافة الأول. يعلل بعض الكتّاب ذلك بقولهم أن الردة بموت النبي كانت قد أصبحت على أشدها، والوقت لا يتسع لشورى من أجل السيطرة على الأوضاع. غير أن هذا التجاوز أغضبت أعيان قريش الذين كانوا يرون أحقيتهم بالخلافة أكثر من أبي بكر. و علي بن أبي طالب أحدهم، وإن كانوا قد إنتهوا جميعا إلى مبايعة أبي بكر كخليفة للمسلمين.

---

[192] سورة الشعراء الآية 224

[193]المؤرخ البريطاني أرنولد لتوينبي موسوعة "دراسة للتاريخ " ترجمة فؤاد محمد شبل

[194] سورة الشورى الآية 38

قبائل العرب من غير قريش كان لهم رأي في تجاوز مسألة الشورى أيضا، فقد قالوا أنه حتى لوكانت الخلافة محصورة في قريش فهذا لا يعني أن ليس لنا حق في أن نُشاوَر بأمر من سيحكمنا من قريش، وأعترضوا على أبي بكر بالإمتناع عن دفع الزكاة إلى بيت مال المسلمين. بل كانوا يجمعونها بينهم وينفقونها على المحتاجين منهم بمعرفتهم. لكن أبو بكر إعتبرهم جميعا مرتدين عن الإسلام وحاربهم في عقر ديارهم وقال فيهم قولته الشهيرة (والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم فيه) صورة كالحة للحياة في دولة الإسلام تتمثل في ردة عامة بعد موت النبي. وتجاوز قاعدة الشورى من قبل خليفة النبي الأول، وإمتعاض قريش، وإمتعاض قبائل العرب، وإمتناع عن دفع الزكاة إعتراضا على شخص الخليفة، لكن خليفة المسلمين يحارب القبائل المعترضة على شخصه بتكفيرها وخروجها عن الإسلام وهذا ليس من حقه البتة، أليس محمد القائل (من كفَّر مسلماً فقد كفر)؟ وهل يتساوى القبول بأبي بكر حاكما، مع الإيمان بالله وكتابه ورسوله. لكي يكفر أبو بكر من لم يقبل بخلافته؟

أحدثت فوضى حروب الردة دمارا في حياة المسلمين فخربت تجارتهم وزراعتهم ومصالحهم مما أضر بإقتصادهم ومستواهم المعيشي الذي أصبح لا يطاق، لأن هذه النقطة هي التي ستتطور لاحقا لتسبب الفتنة الكبرى.

بقي أبو بكر مصرا على عدم العمل بالشورى التي قدمها القرآن على الزكاة والصدقة حتى ساعة وفاته حيث وصى بالخلافة لعمر بن الخطاب. وعمر بن الخطاب سياسي داهية ولهذا كان النبي قبل إسلام عمر يدعو ربه (اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين).

عمر حين آل إليه حكم المسلمين أخذهم بالشدة، فشدد الأحكام وأشغل الناس بالقتال وبعد أن كانت الفتوحات في زمن أبو بكر قد طالت الروم، فإن عمر قد وجه القتال لفتح العراق ومصر.

في البدآية واجه عمر بن الخطاب مشكلة الفقر ،فرجال المسلمين ومنذ مجيء الإسلام كانوا مشغولين بنشر الدعوة والقتال من أجلها، ولذلك تضررت تجارتهم وزراعتهم ومصالحهم، وبالتالي فهم يعيشون في واقع إقتصادي مزري، لذلك حين بدأت أموال الخراج تأتي من الأمصار الجديدة المفتوحة فقد كان أول ما فعله عمر، أنه خصص

درهما واحدا في اليوم عطاءا لكل مسلم يقيم به حاجته ويساعد به نفسه على تدبر شؤون معيشته، وتلك كانت أكبر غلطة وقع فيها عمر بن الخطاب على الإطلاق.

الخبراء الإقتصاديون المعاصرون يحذرون أشد التحذير من الزيادات المفاجئة في العطايا والرواتب المخصصة إلى عامة المواطنين لأنها تؤدي مباشرة إلى التضخم في الأسعار، وحين تتضخم الأسعار فإن العملة النازلة إلى السوق يتم سحبها إلى جيوب التجار. مقابل نفس نوع وكمية البضاعة التي كانت أرخص قبل الزيادة، ولهذا فالنظرية الإقتصادية الحديثة تشجع الحكومات على دعم سعر السلع والخدمات في السوق. دون منح زيادة في المحفزات والرواتب، وبذلك يبقى سعر العملة والسوق ثابتا رغم تغير مستوى المعيشة. ولهذا فكلفه رغيف الخبز في عهد عمر التي لم تكن تتجاوز الفلس أوالفلسين قبل الزيادة تضاعف سعرها عدة مرات بعد الزيادة.

كذلك في عهد عمر بن الخطاب أنفجرت مشكلة الرق والعبودية التي لم يحسمها الإسلام لأنه أبقى نوعين من الرق وهما: أسرى الحرب وأبناء الإماء. لذلك ففي فتوحات بلاد الروم كان العرب يجلبون معهم السبايا من البلاد المفتوحة يسترقونهم ويستعملونهم عبيدا، وفي فتح العراق كان العرب قد جلبوا معهم 40000 من الفرس إلى ديار العرب لنفس الغرض.

قتل عمر على يد أبو لؤلؤة الفيروزي كما أشرنا سابقا وبينما كان الخليفة يحتضر، إندفع إبنه عبيد الله فقتل القائد الهرمزان وأبو لؤلؤة، وعددا آخر من الفرس. وكان في نيته قتل جميع سبايا الفرس ذلك اليوم لو لم يسحب السيف من يده.

وتنبهنا هذه الحادثة إلى طبيعة العلاقة التي كانت سائدة بين العرب وسباياهم الفرس حيث كان هناك أحقاد متبادلة وضغينة يحملها الفرس لمن إستباح أرضهم وسباهم.

ينما كان عمر بن الخطاب يحتضر دعا ستةً من الصحابة لتشكيل مجلس للشورى ينتخبون فيه من بينهم خليفة خلال ثلاثة أيام وهم كل من: عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف.

حين فاز عثمان بن عفان بكرسي الخلافة الثالث، لم يكن ذلك مريحا لبقية من معه في مجلس الشورى وكان علي أكثرهم رفضا لأنه يعتقد أنه الأحق من عثمان وقد أُخذت لعثمان البيعة حيلة.

أول مشكلة واجهت عثمان خلال فترة حكمه كانت قضية عبيد الله بن عمر قاتل الهرمزان وبقية سبايا الفرس معه، وفي وقت رأى فيه عثمان أنه سيكون من الصعب أن يُقتل خليفة المسلمين ثم يعدم إبنه بعده بعدة أيام، لذلك دفع دية القتلى وأخلى سبيل عبيد الله بن عمر، مما جعل هذه الحادثة موضوعا للجدال والإعتراض من قبل علي بن أبي طالب، حيث يرى بعض الباحثين أنها كانت متنفسا لعلي للتعبير عن ضيقه بما آلت له بيعة الحكم.

في الأسبوع الأول الذي أصبح فيه عثمان بن عفان خليفة على المسلمين إرتكب أول أخطائه فقد تحسس بمشكلة المسلمين الإقتصادية وضائقتهم المادية فأحب التوسعة عليهم فقام بزيادة عطاء المواطن من درهم واحد في اليوم الذي خصصه لهم عمر بن الخطاب إلى درهمين معتقدا أنه بذلك سيكسب حب الناس.

النتيجة كان عكسية حيث توسع الشق الذي كان قد أحدثه درهم عمر وإرتفعت الأسعار وزاد الفقر في بلاد المسلمين.

قريش بدأت تبحث لعثمان عن الزلة في أبسط تصرفاته كخليفة للقيام بثورة ضد حكمه، ونتذكر هنا الجدل الطويل الذي كانت قريش قد أثارته لأن عثمان أعاد عمه الحكم بن العاص من الطائف إلى المدينة بعد أن كان الرسول محمد قد نفى الحكم بن العاص فيها. وظل منفيا طيلة حياة أبي بكر وعمر. قيل إن عثمان خالف في ذلك سنة النبي وما تعارف عليه الشيخان لهذا أرجو أن نطلع على الفعل الذي قام به الحكم. لنحكم بأنفسنا هل يحق لعثمان إرجاع عمه من نفيه أم لا.

روى ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة[195] عدة روايات عن سبب نفي الحكم ابن العاص أغلبها مضحك وغير مقنع منها ما لا يليق بنبي أن يتصرف به، غير أني أرجح من كل هذه الروايات قصة رواها العسقلاني أن الحكم قد دخل على النبي وكان النبي مع إحدى زوجاته فلم يغض بصره ولم يغادر المكان، ولهذا نفاه النبي.

---

[195] ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة ج 6 ص437

بغية التحقق من هذه القصة ، علينا أن نتذكر أن الحكم بن العاص عم عثمان كان من أشد خصوم النبي محمد. وهو احد الذين إجتمعوا لقتل النبي يوم بات علي بن أبي طالب في فراشه. أسلم يوم فتح مكة ثم هاجر إلى الحبشة. في الحبشة كانت تعيش بنت صفية أخته، وهي رملة ابنة أبو سفيان وزوجها ويعمل كلاهما في التجارة. تطلقت رملة من زوجها.

أثيرت حول عثمان قضية أنه عزل الولاة الذين عينهم عمر وعين بدلهم ولاة من أقربائه وخاصته. ولا ندري من هو الذي لا يفعل ذلك؟ ليس مودة في ذوي قرباه ولكن لأنهم أدعى للثقة عنده، هل ثقة الحاكم بأخيه أو إبن عمه تعدلها ثقة وهو يبتغي حكم ديار تعج بالمشاكل؟ ونعود مرة أخرى لنتساءل لو كان المسلم الذي يعيش في أمصار المسلمين مرتاحا فهل كان سيهمه من هو الوالي؟ أو ما هي درجة قرابته إلى الخليفة الساكن في العاصمة؟

عثمان من جانبه، كان يعتقد أن مضاعفته درهم العطاء لعامة المسلمين إلى درهمين يمنحه الحق في منح عشرات أومئات آلالف الدراهم والدنانير إلى عمّاله وولاته لأغراض بناء مرافق الدولة التي توسعت وصار لزاما أن تبنى فيها مقرات للولاة والقضاة، وأن يبنى أسطولها الحربي أوالتجاري، ومقرات الجيش والشرطة. لكنه حين كان يمنح العطاء وهو على الأغلب لواحد من أقربائه الذين أستعملهم ولاة وعمالا على أصقاع المسلمين كان عامة المسلمين يتصورون ذلك عطاءا شخصيا لهم. لذلك ثارت ثائرة الكل بسبب هذا الموضوع.

الشرارة الأولى للفتنة إشتعلت في الكوفة. كان الوالي سعيد بن العاص الذي عيّنه عثمان يخطب في الناس ذات مساء فقل لهم (إن العراق بستان لقريش) فعمت الفوضى في مجلسه، بدأت بالإعتراض ثم الصياح. وانتهت بضرب الوالي ومدير شرطته من قبل مجموعة يقف على رأسها مالك الأشتر الذي كان يعد واحدا من زعماء الفقراء.وكان مالك الأشتر ناقما على الوضع بسبب الحالة الإقتصادية السيئة وبسبب تفضيله لعلي بن أبي طالب خليفة للمسلمين بدلا عن عثمان.

حين كتب الوالي إلى الخليفة يخبره بالواقعة، كان عثمان بمنتهى القسوة، فقد أمر بنفي هؤلاء الناس من الكوفة إلى الشام ليؤدبهم معاوية بنفسه، تم أخذهم إلى الشام سيرا على الأقدام لذلك كانت رحلتهم عسيرة جدا، إستقبلهم معاوية بشيء

من اليسر في البدآية، لكنه حين تكلم معهم بعد ذلك وعرف منهم سبب ثورتهم على سعيد بن العاص، عنفهم أشد التعنيف وذكرهم بأن العرب لا شيء من دون قريش وأن قريش ما دامت قد أختصت بالنبوة والزعامة، فهي تملك أن تأمر أو تنهى في كل شيء.

حين عم التذمر بين هؤلاء كتب معاويه إلى عثمان، فما كان من عثمان إلا أن يأمر بنفي الجماعة إلى فلسطين وأن يرسل له كبيرهم مالك الأشتر إلى المدينة، والخليفة لم يكن إلا رجلاً تاجرا يعتقد أن أعقد المشاكل يمكن أن تحل بالمال، وعلى قدر ما بذل لإرضاء مالك الأشتر عندما إلتقى به على قدر ما بذل لأسكته. لكنه لم يرضى،فأعاده إلى الكوفة.

أبو ذر الغفاري أيضا من الذين يمكن أن نطلق عليهم تسمية (زعيم الفقراء)وكان يعيش في المدينة و أحد أصدقاء علي بن أبي طالب المقربين. حين بدأ عثمان يمنح المال للولاة والعمال. ثار أبو ذر الغفاري على ذلك وبدأ يتكلم في العلن ضد عثمان، فما كان من الخليفة إلا أن نفاه الى الشام عند معاوية، وفي الشام جادله معاويه وحاول إسكاته بآية وسيلة.

هربا من وجه معاويه إلتحق أبو ذر الغفاري بالحملة المتواجهة لفتح جزيرة قبرص، وفي قبرص شاهد بأم عينه ما يفعله الجنود المسلمون من حرق وقتل وسرقة وإغتصاب بحق الديار الأمنة المفتوحة وتحت رآية نشر الإسلام، حين عاد إلى الشام صار يصرخ بأعلى صوته ضد الفتوحات أنها رحلات للسلب وليس لنشر الدين الجديد، وكان ينتقد الخليفة عثمان و واليه على الشام معاوية.

كتب معاوية إلى الخليفة بكل ذلك فجاءه الأمر بنفي أبي ذر الغفاري إلى الربذة في فلسطين فقام معاوية بإرساله إلى هناك.

معاوية بن ابي سفيان كانت له أطماع بالسلطة لذلك زرع ابن خاله محمد بن حذيفة في مصر لإشاعة القلاقل لعل الخليفة عثمان يأمر بأن تدخل مصر تحت حكم معاوية كما حصل في مرات سابقة حين تثور القلاقل في مدن الشام التي ضمت جميعا إلى حكم معاوية.

أرسل الخليفة عثمان الصحابي عمار بن ياسر (زعيم ثالث من زعماء الفقراء) إلى مصر لتقصي الحقائق، وكان عمار بن ياسر احد أنصار علي ومن أشد المعترضين على سياسة عثمان، ما أن وصل إلى مصر حتى إنضم إلى المعارضين وأصبح واحدا منهم.

كنّا قد تركنا مالك الأشتر في الكوفة بعد أن أعاده عثمان إليها، لكن الكوفة ثارت على الوالي الذي عينه عثمان وطالبت بتغييره، فخاف مالك الأشتر أن يتهم بأنه هو من نظم هذا العصيان فهرب إلى مصر وهناك إنضم إلى محمد بن حذيفة، ومحمد بن أبي بكر، اللذان كانا يحرضان الناس ضد الخليفة وقد وصلت أخبارهم إلى عثمان بن عفان.

وذات إجتماع في أحد الدور حاصرت الشرطة الجماعة وألقت القبض عليهم، لكن أنصارهم هاجموا الشرطة وفكوا وثاق قادتهم ثم إنطلقوا إلى دار الوالي وخلعوه عن الحكم وأجلسوا مكانه محمد بن حذيفة، ثم توجهوا بأجمعهم إلى المدينة قاصدين الخليفة شخصيا وقد سبقتهم الرسائل والرسل إلى الكوفة والبصرة لدعوة أهلها للثورة على الخليفة.

بقي دار الخليفة محاصرا إلى أن وصلنا إلى يوم تسلقت الجماعة على شجرة ملاصقة لدار عثمان وقفزت من فوق السور واقتحمت البيت وقتلت الخليفة عثمان وتتضارب الروايات حول من قتله وسط تهرب للمؤرخين المسلمين من تحمل مسؤولياتهم لكن الطبري[196] يقول أن محمد بن أبي بكر كان أول من طعن عثمان في جبهته بواسطة (مِشْقَص) فسال الدم غزيرا على لحيته، وهبّت عليه الجماعة طعنا حتى لم يبق في قميصه مكان للطعن. ومحمد بن

أبي بكر كان يلقب بابن علي لولاءه الشديد لعلي ابن أبي طالب حتى أن أخته عائشة كانت تعيره بذلك.

وهذا ما جعل ابن تيمية وغيره من الفقهاء يذهبون إلى انكار صفة الصحابي أو التابع عن محمد بن أبي بكر يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

[196] الطبري كتاب تاريخ الأمم والملوك ج 2 ص 668

"ليس له صحبة ولا سابقة ولا فضيلة. فهو ليس من الصحابة، لا من المهاجرين ولا الأنصار وليس هو معدودا من أعيان العلماء والصالحين الذين في طبقته".

ثم قال:وأما محمد بن أبي بكر فليس له ذكر في الكتب المعتمدة في الحديث والفقه.[197]

روى ابن سعد[198]عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: "لَمَّا أَرَادُوا أن يقتلوا عثمان أشرف علهم فقال: علام تَقْتُلُونَنِي؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (لا يَحِلُّ قَتْلَ رَجُلٍ إلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: رَجُلٍ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلامِهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. وَرَجُلٍ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ فَإِنَّهُ يُرْجَمُ. وَرَجُلٍ قَتَلَ رَجُلا مُتَعَمِّدًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ).

وقَالَ أَبُوأُمَامَة بْن سهل بْن حنيف: إنّي لمع عثمان وهو محصور، فكنّا ندخل إليه مدخلًا- أوأدْخَل إليه الرجل- نسمع كلام من على البلاط، فدخل يوما فيه وخرج إلينا وهو متغيّر اللون فَقَالَ: إنّهم يتوعّدوني بالقتل، فقلنا: يكْفِيكَهُمُ الله.

عن ريطة مولاة أسامة قالت: كنت في الدّار، إذ دخلوا عليه، وجاء رجلٌ من خلف عثمان بسعفَة رَطْبة، فضرب بها جبهَتَه فرأيت الدم يسيل، وجاء آخر فضربه بالسَّيف على صدره فأقْعَصَه، وتَعَاوَرُوه بأسيافهم، فرأيتُهم ينْتَهِبُون بيته.

وَقَالَ مجالد، عَنِ الشَّعْبِيّ قَالَ: جاء رجل من تُجَيْب من المصريين، والنّاس حول عثمان، فاسْتَلَّ سَيفه، ثمّ قَالَ: أفْرِجوا، ففرجوا له، فوضع ذباب سيفه في بطْن عثمان، فأمسكت نائلة بنتُ الفَرافصة زوجةُ عثمان السيف لتمنع عنه، فحزّ السيف أصابعها.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى أَبِي أُسَيْدٍ قَالَ: فَتَحَ عُثْمَانُ الْبَابَ وَوَضَعَ الْمُصْحَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ اللَّهِ، فَخَرَجَ وَتَرَكَهُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ آخَرُ، فَقَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ كِتَابُ اللَّهِ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ، فَاتَّقَاهُ بِيَدِهِ فَقَطَعَهَا، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهَا لأَوَّلُ كَفٍّ خَطَّتِ الْمُفَصَّلَ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْمَوْتُ الأَسْوَدُ، فَخَنَقَهُ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ بالسّيف، قال: فوالله مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَلْيَنَ مِنْ حَلْقِهِ، لَقَدْ خنقته حتّى رأيت نفسه مثل الجان تردّد في جسده.

---

[197]ابن تيمية مناهج السنة النبوية ج 4 ص 375 – 377

[198]ابن سعد في "الطبقات" ج 3 ص 51

وَقَالَ أَبُو نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: ضربوه فجرى الدَّمُ على المُصْحَف على: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ).[199]

ظل المسلمون بعد مقتل عثمان حوالي أسبوع دون خليفة يسير أمورهم، فيما قام الثائرون بإعطاء بيعتهم إلى علي بن أبي طالب. لكن الحسن بن علي كان رجلاً حكيما فقد نصح والده أن يعتزل الأمر حتى يتبين الناس حقيقة هؤلاء الثائرين، عندها قال علي للثائرين أنه لا يقبل بيعتهم إلا اذا قبلها الناس. فبايعت الناس علي خوفا من الثائرين. وهكذا تسلم علي بن أبي طالب حكم دولة ساقطة أصلا يتجلى سقوطها في عدم الطاعة والفوضى التي يسببها المحسوبون عليه قبل أعدائه.

بايع كبار الصحابة علي بن أبي طالب لخلافة المسلمين، وقيل أنه قبل البيعة وهو كاره لها، وانتقل إلى الكوفة ونقل عاصمة الخلافة إلى هناك، وبعدها انتظر الصحابة أن يقتص علي من قتلة عثمان، لكن الخليفة الجديد أجل هذا الأمر لسببين:

الأول:

الأنتظار حتى تهدأ الفتنة، لم يكن اعلي قادرا على تنفيذ القصاص في قتلة عثمان لعدم علمه بأعيانهم، ولاختلاط الثوار بجيشه، مع كثرتهم واستعدادهم للقتال، وقد بلغ عددهم ألفي مقاتل كما في بعض الروايات، كما أن بعضهم ترك المدينة إلى الأمصار عقب بيعة علي ويرى أهل السنة أن علي بن أبي طالب لم يكن قادرا على تنفيذ القصاص في قتلة عثمان مع علمه بأعيانهم، وذلك لأنهم سيطروا على مقاليد الأمور في المدينة النبوية، وشكلوا فئة قوية ومسلحة كان من الصعب القضاء عليها.

الثاني:

إعادة تنظيم أجهزة الدولة ذالك أنه أخذ البيعة من أهالي الأمصار وعزل الولاة وتعيين ولاة جدد، لأنه عندما تولى علي الخلافة أمر بعزل جميع الولاة الذين عينهم الخليفة عثمان ومنهم معاوية بن أبي سفيان نظرا لأن الناس ثاروا ضد بعض الولاة واتهموهم بالظلم والعمل للمصالح الشخصية على حساب مصالح الناس، فأراد علي تهدأت الأوضاع كي لا تبقى للناس حجة للثورة مرة أخرى.

---

[199] " تاريخ الإسلام" للذهبي ج3 ص 431-457.و"تاريخ دمشق" لإبن عساكر ج 39 ص 301-325، "سير أعلام النبلاء" ج 2 ص 475-487،"البدآية والنهآية " ج 10 ص 308-316

لكن بعض الصحابة وعلى رأسهم طلحة بن عبيد الله وعبد الله بن الزبير وعائشة زوجة محمد والتي لها تحفّظ على إمارة علي وعداء قديم رفضوا هذا التباطؤ في تنفيذ القصاص ولما مضت أربعة أشهر على بيعة علي دون أن ينفذ القصاص خرج طلحة والزبير إلى مكة، والتقوا عائشة التي كانت عائدة من اداء فريضة الحج، واتفق رأيهم على الخروج ضد علي إن لم يأخذ بدم عثمان.

وفعلا خرجت عائشة والزبير وطلحة للمطالبة بدم علي حتى بلغوا البصرة وهناك وقع القتال فيما يعرف بـ"موقعة الجمل" وسقط فيها الكثير من الصحابة والتابعين وحتى منهم المبشرين بالجنة وكادت تسبى عائشة زوجة الرسول محمد لكن علي أمر بإرجاعها إلى المدينة.

يتحدث الأستاذ محمد جواد مغنية[200] عن آثار التي ترتبت على حرب الجمل قائلا:

«لولا حرب الجمل لما كانت حرب صفّين والنهروان، ولا مذبحة كربلاء، ووقعة الحرّة، ولا رُميت الكعبة المكرّمة بالمنجنيق أكثر من مرّة، ولا كانت الحرب بين الزبيريّين والأُمويّين، ولا بين الأُمويّين والعباسيّين، ولما افترق المسلمون إلى سُنَّة وشيعة، ولما وجد بينهم جواسيس وعملاء يعملون على التفريق والشتات، ولما صارت الخلافة الإسلامية ملكاً يتوارثها الصبيان، ويتلاعب بها الخدم والنسوان. لقد جمعت حرب الجمل جميع الرذائل والنقائص، لأنَّها السبب لضعف المسلمين وإذلالهم، واستعبادهم وغصب بلادهم، فلقد كانت أوّل فتنةٍ ألقت بأس المسلمين بينهم، يقتل بعضهم بعضاً، بعد أن كانوا قوّةً على أعدائهم، كما فسحت المجال لما تلاها من الفتن والحروب الداخلية التي أودت بكيان المسلمين ووحدتهم، ومهّدت لحكم الترك والديلم والصليبيّين وغيرهم. وباختصار لولا فتنة الجمل لاجتمع أهل الأرض على الإسلام».

وبعد موقعة الجمل بسنة تقريبا وعلى الحدود السورية العراقية حدثة موقعة صفين وهي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان في شهر صفر سنة 37 هـ وتعود أسبابها إلى ذات الأسباب التي قامت على خلفيتها "واقعة الجمل" فبعدما استلم علي بن أبي طالب الحكم، امتنع معاوية ابن

---

[200] جواد مغنية كتاب فضائل الإمام عليّ: ص 138-139

أبي سفيان وأهل الشام عن مبايعته خليفة للمسلمين حتى يقتص من قتلة عثمان، فأرسل علي بن أبي طالب، جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه للمبايعة، وعندما قدم جرير إلى الشام، أستشار معاوية عمرو بن أبي العاص، فأشار إليه بجمع أهل الشام والخروج نحوالعراق للمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان.

إستمر القتال بين جيش معاوية وجيش علي من يوم 1 صفر 37 هـ وحتى 9 صفر من ذات الشهر.

ورد في تاريخ الطبري :

لمّا رأى معاوية بن أبي سفيان انتصارات جيش علي على جيشه، وقد قرب منه القائد مالك الأشتر مع مجموعته، دعا عمرو بن العاص إلى خطّة للوقوف أمام هذه الانتصارات.

فقام عمرو بن العاص بخدعة، حيث دعا جيش معاوية إلى رفع المصاحف على أسنّة الرماح، ومعنى ذلك أنّ القرآن حكم بينهم، ليدعو جيش علي إلى التوقف عن القتال ويدعون علي إلى حكم القرآن.

وفعلاً جاء زهاء عشرين ألف مقاتل من جيش علي حاملين سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودّت جباههم من السجود، يتقدّمهم عصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد، فنادوه باسمه لا بأمير المؤمنين: "يا علي، أجب القوم إلى كتاب الله إذا دُعيت، وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فو الله لنفعلنّها إن لم تجبهم". فأجابهم علي: "ويحكم أنا أوّل مَن دعا إلى كتاب الله، وأوّل مَن أجاب إليه". فقالوا: "فابعث إلى الأشتر ليأتيك"، وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله، فأصرّوا على رأيهم، وكان أمير المؤمنين في هذا الموقف أمام خيارين: فإما المضي بالقتال، ومعنى ذلك أنّه سيقاتل ثلاثة أرباع جيشه وجيش أهل معاوية. وإما القبول بالتحكيم وهو أقلّ الشرّين خطراً. فقبل علي بن أبي طالب التحكيم وترك القتال مكرها. فتعاهدوا على ذلك، واتفقوا على ألا ينقض أحد عهده، وأنهم سوف يذهبون لقتلهم، أو يموتون، وتواعدوا أن يقتلوهم شهر رمضان، وكتموا الأمر عن الناس جميعًا إلا القليل، ومن هؤلاء القليل من تاب وحدّث بهذا الأمر. وتوقف

القتال وأذن علي بالرحيل إلى الكوفة، وتحرك معاوية بجيشه نحو الشام، وأمر كل منهما بإطلاق أسرى الفريق الآخر وعاد كل إلى بلده[201].

قُتل من الطرفين خلال المعركة سبعون ألف أغلبهم من حفظة القرآن ومنهم من عاصر النبوة، فمن أصحاب معاوية بن أبي سفيان قتل خمسة وأربعون ألفا، ومن أصحاب علي بن أبي طالب خمسة وعشرون ألفا.

لم يتوقف القتال بين المسلمين بعد معركة صفّين ففي سنة 38هـ قامت معركة النهروان إحدى المعارك الإسلامية الداخلية الكبرى. بين علي بن أبي طالب وبين المحكّمة (الخوارج فيما بعد)، النهروان موقع بين بغداد وحلوان. وكانت المعركة واحدة من نتائج معركة صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، والتي انتهت بالإتفاق على التحكيم بعد رفع المصاحف على أسنة الرماح إشارة إلى ضرورة التحاكم إلى كتاب الله، وحينها رفضت جماعة التحكيم وكان عددهم يبلغ إثنا عشر ألفًا بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي ورفعوا شعارهم الشهير: لا حكم إلا حكم الله. وانتهت المعركة بانتصار جيش علي بن أبي طالب عليهم. ولم ينج من المحكمة إلا أربعين شخصا فقط.

قتل علي سنة 40هـ على يد عبد الرحمن بن ملجم أحد الخوارج كان قد نقع سيفه بسم زعاف لتلك المهمة. ويُروى أن ابن ملجم كان اتفق مع اثنين من الخوارج على قتل كل من معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب يوم 17 رمضان، فنجح بن ملجم في قتل علي وفشل الآخران.

رحل علي بن أبي طالب تاركا خلفه الفتنة مشتعلة بين المسلمين، واستلم الخلافة من بعده ابنه الحسن بن علي وبايعه الناس في الكوفة، واستمرت خلافته ستة أشهر، وقيل ثمانية، وانتهت خلافته فيما عرف بعام الجماعة بصلح الحسن مع معاوية وتنازله عن الحكم حقنا لدماء المسلمين، ويقال أن قبوله للصلح يرجع لضعف موقفه حيث استطاع معاوية بسط نفوذه على الشام ومصر وكانت جيوش الحسن ضعفت بعد قتال الخوارج. كما تذكر بعض المصادر أن أحد بنود الصلح كانت أن يكون الأمر بعد موت معاوية للحسن ثم لأخيه الحسين. يذكر ابن كثير وابن

---

[201] تاريخ الطبري ج 5 أحداث 37هـ

الأثير أن الحسين بن علي كان رافضا صلح أخيه مع معاوية، وأنه كان يريد السير على نهج أبيه والقتال حتى النهاية، ومع إصرار أخيه الحسن الشديد سلم الحسين بالأمر. قتل الحسن مسموما في أمر أشبه ما يكون بالإغتيال السياسي ثم توفي الخليفة معاوية ونصّب إبنه خليفة على المسلمين ناكثا بذلك عهده مع الحسن. أعلن الحسين ثورته ضد يزيد بن معاوية، وقتل في معركة كربلاء في مواجهة جيش يزيد.

ومعركة كربلاء تسمى أيضا واقعة الطف هي ملحمة وقعت على ثلاثة أيام وختمت في 10 محرم سنة 61 للهجرة وهي تمثل نقطة القطيعة بين فريقين من المسلمين وانقسام نهائي لم ينتهي حتى اليوم وكانت بين الحسين بن علي بن أبي طالب بن بنت النبي محمد، الذي أصبح المسلمون يطلقون عليه لقب "سيد الشهداء" بعد انتهاء المعركة، ومعه أهل بيته وأصحابه، وجيش تابع ليزيد بن معاوية.

تعدّ واقعة الطف من أكثر المعارك جدلاً في التاريخ الإسلامي فقد كان لنتائج وتفاصيل المعركة آثار سياسية ونفسية وعقائدية لا تزال موضع جدل إلى الفترة المعاصرة، حيث تعدّ هذه المعركة أبرز حادثة من بين سلسلة من الوقائع التي كان لها دور محوري في صياغة طبيعة العلاقة بين السنة والشيعة عبر التاريخ وأصبحت معركة كربلاء وتفاصيلها الدقيقة رمزا للشيعة ومن أهم مرتكزاتهم الثقافية وأصبح يوم 10 محرم أو يوم عاشوراء، يوم وقوع المعركة، رمزا من قبل الشيعة "لثورة المظلوم على الظالم ويوم انتصار الدم على السيف".

قتل الحسين حفيد الرسول محمد شر قتلة وقطع رأسه وداست أقدام الخيل جثته وقام جيش الخليفة يزيد الذي يعتبره أهل السنة الخليفة الشرعي للدولة الإسلامية بسبي أهل بيت الحسين وتوثيقهم بالسلاسل والحبال وعلى رأسهم زينب بنت علي وقادوهم الى الخليفة أسرى حرب.

ماتزال القطيعة قائمة بين مختلف الفرق الإسلامية ومازال الإقتتال مستمرا حتى اليوم ولا يبدو أن هناك إرادة سياسية دينية مذهبية لإنهاء هذا الصراع.، سيبقى المسلمون يكفر بعضهم بعضا حتى يقوموا بتمحيص تاريخهم ومواجهة الحقيقة كما هي، ثم الإنطلاق في الإصلاح والترميم بعد هدم الأسس الفاسدة في التراث الإسلامي.

الباب الثالث

دراسات نقدية في النصِ القرآني

وأسباب النزول

تجميع القرآن وأسباب النزول

1-حول تجميع القرآن

لا شك أنه من المناطق الأكثر تعتيما في التاريخ الإسلامي بعد حادثة السقيفة هي إشكال جمع القرآن، قضية تجميع القرآن وإن كانت قد أسالت المداد والدم وقتها، فسرعان ما خبت و انطفئت مع ترهيب السلطة السياسية.

نحن اليوم في واقع أفضل ولدينا فسحة من الحرية تسمح لنا بالبحث والنقد لكل ما كان محرما في الماضي.

علينا أن نتخلص من الكسل والمعرفة الجاهزة، والرجوع إلى المصادر التاريخية والبحث فيها ونقد الماضي بكل ما فيه من أخطاء عوض تقديسه تقديسا أعمى، يعد البحث في قضية جمع القرآن في عهد أبي بكر وبعد ذلك في عهد عثمان اللذان لم يشرحوا لنا ما الداعي لجمعه مرة ثانية وقد جمع قبلها و الطريقة التي إعتمدوها في ذلك أمر في غاية الأهمية.

لماذا يجمع القرآن وقد كان للرسول كتبة للقرآن ومن المفروض أنه مجموع ومحفوظ عندهم؟

كما هو معروف فان القرآن قد جمع للمرة الأولى في عهد الخليفة أبي بكر، أورد البخاري في صحيحه[202] عددا من الروايات التي تتحدث عن جمع القرآن أشهرها وربما أهمها على الإطلاق روآية زيد بن ثابت، أشهر كتاب الوحي، وقد قال فيها: إن أبا بكر أرسل إليه عقب موقعة اليمامة التي قتل فيها كثير من الصحابة القرَّاء وطلب منه أن يجمع الصحف التي كتب فيها القرآن مخافة أن يضيع منه شيء كثير بسبب موت ومقتل حفاظه وقرائه. وقال له: "إنك رجل شاب عاقل لا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه" وأضاف زيد يقول: "فتتبعتُ القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: "لقد جاءكم

---

[202] صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن "باب جمع القرآن" 4701

رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم"، حتى خاتمة "براءة". ثم أضاف: "فكانت الصحف التي كتب فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه". وتقول بعض الروايات إن زيد بن ثابت كان يشترط فيمن يأخذ منه شيئاً من القرآن أن يشهد معه شاهدان على أنه من القرآن فعلاً.

جاء في صحيح البخاري:

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ . رضى الله عنه . قَالَ أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُوبَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ قَالَ أَبُوبَكْرٍ. رضى الله عنه . إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القرآن وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القرآن وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القرآن. قُلْتُ لِعُمَرَ كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ عُمَرُ هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ. فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ.

قَالَ زَيْدٌ قَالَ أَبُوبَكْرٍ إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْىَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَتَتَبَّعِ القرآن فَاجْمَعْهُ فَوَاللَّهِ لَوْكَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي مِنْ جَمْعِ القرآن قُلْتُ كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ هُوَوَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُوبَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. رضى الله عنهما . فَتَتَبَّعْتُ القرآن أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرَهُ (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ. رضى الله عنه.

وهنا ينفي زيد بن ثابت أن القرآن قد جمع في عهد الرسول بقوله لعمر بن الخطاب . كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله . وهذا ينفي بعض الأقاويل التي تنسب جمع القرآن الى عهد الرسول، كذلك أن السبب الرئيسي وراء استدعاء زيد بن ثابت هو مقتل الكثير من حفظة القرآن وهذا تاكيد أيضا على أن جزء كبيرا من القرآن لم يكتب بل كان محفوظا، وهذا يعني أن جزء منه قد لا يكون دوّن بسبب النسيان

أوموت الحفاظ، ومن الحديث أعلاه يتضح لنا أن الذي جمع القرآن رجل واحد اسمه زيد بن ثابت الذي كان يبلغ من العمر حوالي 11 سنة عند الهجرة، أي أنه لم يحضر الجزء المكي من القرآن وكذلك فاته جزء كبير من القرآن المدني، وهذا الشخص مهما يكن له من فضائل، فهو انسان غير معصوم ويتفق الجميع على هذا. مصادر جمعه للقرآن هي ما كتب متفرقا هنا وهناك وما في صدور الرجال أي ما حفظوه من القرآن، وحتى لو جزمنا بأن زيد بن ثابت هو من المعصومين، فمن نقل عنهم ما كتب ومن نقل عنهم ما حفظ ليسوا معصومين، هذا إذا فرضنا أنه قد جمع بالفعل جميع ما كتب وحفظ من القرآن. هو نفسه يستدرك أنه وجد احدى السور عند أبي حزم الأنصاري ولم يجدها إلا عنده. التساؤل الكبير الذي يخطر بالبال هو لماذا يعهد عمل كبير جدا مثل هذا لشخص واحد؟ فهو نفسه يقول في الحديث أعلاه، لو كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان أثقل علي مما أمرني من جمع القرآن، كما نلاحظ شيئا أخر مهم جدا ويدعو إلى التساؤل ايضا، لماذا لم يحرص الرسول وأبو بكر على جمع القرآن؟ ولماذا أصر عمر بن الخطاب على جمعه وتدوينه؟

ثم يذكر البخاري روآية أخرى تتحدث عن جمع القرآن زمن عثمان ومضمونها: أنه بينما كان هذا الأخير منهمكا في تجهيز جيش من أهل الش ام والعراق لغزوأرمينيا وأذربيجان، إذ قدم عليه حذيفة بن اليمان وقال له: "يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب، اختلاف اليهود والنصارى". وكان حذيفة قد راعه اختلاف المجَنَّدين العراقيين والشاميين في قراءة القرآن، كل فريق يعتبر قراءته هي وحدها الصحيحة.

وتقول الروآية أن عثمان أرسل إلى حفصة بنت عمر، يطلب منها نسخة الصحف التي جمعت أيام أبي بكر (وانتقلت إليها عقب وفاة عمر)، لعمل نسخة منها فأرسلتها إليه، و كان عثمان، "أمر زيداً بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف". وتقول الروآية أن عثمان قال لهم: إذا اختلفتم في شيء "فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم". وتضيف الروآية: إنه عندما أنهى هؤلاء نسخ الصُّحف التي كانت لدى حفصة في مصحف واحد، رد عثمان الصحف إليها وأرسل إلى جميع الأمصار بنسخة من

المصحف الجامع وقد سمي بالمصحف الإمام وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

النسخة الحالية من القرآن والمسماة بالمصحف العثماني، تم كتابتها في عهد الخليفة عثمان بن عفان،جاء في صحيح البخاري: حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَىْءٍ مِنَ القرآن فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القرآن فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْمُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، سَمِعَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، قَالَ فَقَدْتُ آية مِنَ الأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ بِهَا فَالْتَمَسْنَاهَا فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) فَأَلْحَقْنَاهَا فِي سُورَتِهَا فِي الْمُصْحَفِ.[203]

إن وجود الثلاثة الأخرين هنا لم يقدم أو يؤخر فعودتهم كانت إلى الصحف الذي جمعها زيد بن ثابت ووضعت عند أبي بكر ومن بعده عند عمر ثم عند حفصة، ونلاحظ شيء غريب في هذا الحديث، فبرغم من حرص زيد بن ثابت على جمع جميع ما أنزل من القرآن في المرة الأولى إلا أنه إستدرك في المرة الثانية آية لم يجمعها أولا وأضافها في المرة الثانية، و لو أن زيد بن ثابت كان قد فقد آية أخرى غير هذه ولم يجدها عند أحد فهل كان ليخبرنا بذلك وهو يعلم جيدا أن قولا كهذا يهدد حياته ؟

[203]المرجع السابق حديث رقم 5038

فنحن لا نعلم إن كانت هذه هي الآية الوحيدة أم يوجد أيات غيرها. نلاحظ من هذه الروايات أن جزء من الأيات كان موجودا فقط عند أناس معينين مثل خزيمة بن ثابت وغيره ولا نعلم إن كان بالفعل هناك أناس قد حفظوا بعض الأيات وقضوا نحبهم في الحروب أو بغيرها.

يتضح لنا مما تقدم أن ماقام به عثمان لم يكن نسخا للقرآن الذي جمعه زيد بن ثابت قبل ذلك فهو يقول للرهط اذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلسان قريش، فالمسالة ليست نسخا فحسب. وقد يعترض البعض على أنه يقصد القراءات ولكن لو كان يقصد هذا لما ثار عليه مجموعة كبيرة من الصحابة، والذي سنتطرق له فيما بعد. إن أول سؤال يتبادر إلى الأذهان هو مافائدة جمع القرآن في زمن أبي بكر مادامت النسخة التي جمعها زيد بن ثابت قد ركنت في الرف ولم تمنع من تداول نسخ من القرآن تختلف مع هذه النسخة اختلافات جوهرية؟ ثم إن هذه النسخة استقرت عند حفصة التي اعتبرتها ملكا لها، فهل كان غرض عمر بن الخطاب هو جمع القرآن لنفسه وتوريثه لإبنته؟ ولا أحد يعرف مصير هذه النسخة بعد موت حفصة وأكثر الضن أنها أحرقت مثل مثيلاتها، أما السؤال الثاني فهو، من أين جاءت هذه الإختلافات في النسخ الأخرى؟ هل جاءت أيضا من صحابة وحفّاظ فلماذا اختلفت؟

يطالعنا الإتقان في علوم القرآن[204] على لسان زيد: مات النبي ولم يكن القرآن جمع في شيء. وزيد كاتب الرسول بالإضافة إلى آخرين، من الواضح جدا من خلال الطريقة التي سيجمع بها زيد القرآن أنه لم يكن عنده كل القرآن.

يوضح لنا ابن سعد[205] كمثال طريقة جمع القرآن في عهد أبي بكر: "أمر أبو بكر عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت قال: اجلسا على باب المسجد فلا يأتينكما أحد بشيء من القرآن تنكرانه يشهد عليه رجلان إلا أثبتماه".

هنا أبو بكر يأمرهما بإثبات كل قرآن في المصحف يسمعانه من راوي مع شاهدين. فتلك هي طريقة جمع القرآن كما تطالعنا كل المصادر، بالإضافة إلى كيف تتبع زيد

---

[204] الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج1، ص167

[205] الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص3 / ج3 ص 273

القرآن هنا وهناك وفي هذه الصحيفة وتلك. ومن المنطقي أن يضيع قرآن كثير بهذه الطريقة وهو ما أكده عمر. لقد ورد في كتاب الإتقان أن عمربن الخطاب كان يقول: لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر.

ما يثير السؤال والغرابة لماذا لم توكل هذه المهمة بالإضافة إلى زيد إلى عبد الله ابن مسعود أو الكتبة الآخرين رواى الطبراني وابن عساكر[206]عن شعبة أنه قال: "جَمَع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة من الأنصار هم: أُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثاً". وهناك روآية عن قتادة قال فيها: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أُبَي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد".

فلماذا لم يكن جمع القرآن عمل مشترك بين الكتبة بما أنهم كانوا موضع ثقة النبي ؟ وإن كان مجموعاً في عهد الرسول فأين تلك المصاحف؟ سيقول البعض ربما جمع بمعنى حفظوه عن ظهر قلب، هنا سنقع في نفس الفخ التاريخي، إذا كانوا حفظوه عن ظهر قلب فلماذا اعتمدوا تلك الطريقة في الجمع ؟ ولماذا بعض الأيات رواها صحابيان فقط ولم يكن الصحابة الآخرين يعرفونها؟ هل لها علاقة بأحداث السقيفة؟ هل كان للخلافات السياسية بين الصحابة تأثيرات على كتابة القرآن؟

تقول الروايات أن ابن مسعود كان يعارض قرآن زيد.

ورد في صحيح البخاري[207]:

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ سَمِعْتُ مَسْرُوقًا، قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍوإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اسْتَقْرِئُوا القرآن مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

---

[206] شرح النووي على مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بن كعب حديث رقم2465

[207] صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عبد الله بن مسعود 3807

فأين هؤلاء الأربعة من جمع وتدوين القرآن؟ لقد كان عبد الله بن مسعود من أشد المعترضين على ذلك في حديث متفق عليه رواه البخاري و مسلم :[208]

عن عبد الواحد بن زياد عن الأعمش حدثنا شَقيق بن سَلمة قال : قام عَبْدالله خطيباً فقال: على قراءة مَنْ يأمرني أنْ أقرأ؟ على قراءة زيد؟ فوالله الذي لا إله غيره لقد أخذتُ مِنْ فِيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة، وزيد بن ثابت له ذُؤابتان يلعب مع الغلمان".

ورُوي أن عبد الله بن مسعود، لما أُمر بالمصاحف أن تُغيَّر وتُكتب على مصحف عثمان، ساءه ذلك وقال: أفأترك ما أخذتُ من فم رسول الله؟ لقد أخذت من فم رسول الله بضعاً وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب النبي أني من أعلمهم بكتاب الله.[209]

وهذا يدل على أن الإختلاف بين المصاحف كان جسيما جدا، فكأن الذي تولّى مسألة التغيير والتبديل أقل منه علما، ولم يأخذ من الرسول قدر ما أخذ هو. وانقلبت المسألة إلى تفاخر وتنافس وحب رئاسة. ولو كانوا أخذوا منه السبعين سورة واعتمدوا على نقله لكان ذلك يرضيه، والظاهر أنهم لم يفعلوا ذلك.

وهنا يتضح أن ابن مسعود ممتعض جدا من هذه الحادثة، و الظاهر أنهم يريدون اجباره على قبول نسخة القرآن الذي جمعه عثمان، وأكيد أنه لم يكن الوحيد، أما سبب بروزه كأحد أبرز المعارضين لقرآن عثمان، فهو الحديث أعلاه الذي أعطاه شهادة كبيرة من الرسول، ولكن عثمان بن عفان تجاهلها لسبب غير معلوم وأمر بحرق كل المصاحف التي لا تتفق ومصحف زيد.

ومما أورده ابن حجر العسقلاني وهو معروف في روايات كثيرة أن حذيفة عاد من غزوة أرمنيا فقال لعثمان أن أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع به أهل العراق وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضا.

---

[208] البخاري4713 ومسلم 2462

[209] كتاب المصاحف للساجستاني باب كراهية ابن مسعود لنسخ المصحف

تقول العديد من المصادر وعلى رأسهم شيخ السنة البخاري كيف جمع زيد القرآن: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع غيره". ويذكر أبو داوود في سننه[210] حول الأيتين الأخيرتين من سورة التوبة ولم تدرجا عند جمع القرآن زمن عمر: أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة فقال: أشهد أنني سمعتمهما من رسول الله ووعيتهما فقال عمر أنا أشهد لقد سمعتهما ثم قال لو كانتا ثلاث آيات لجعلتها على حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن فألحقوهما في آخرها فألحقوهما بسورة براءة التوبة .

ويظهر واضحا من الحديث طريقة ترتيب السور والآيات في القرآن باجتهاد الصحابة. وهو ما دفع بالكثيرين من الصحابة أيضا الى القول بأن الترتيب وأسماء السور هي اجتهادات فردية واختلفوا حولها أحيانا.

إن جميع علماء الإسلام من مفسرين ورواة حديث وغيرهم يعترفون بأن ثمة آيات وسور سقطت من مصحف عثمان. ومن المصادر السنية أن سورة الأحزاب كانت تساوي في الطول سورة البقرة كما أقر القرطبي[211] حيث يورد روآية عائشة: كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله 200 آية. وأن سورة براءة بقي منها ربعها فقط.يقول السيوطي مع غيره أن دعاء القنوت من جملة القرآن،وأن سورة الخلع والحفد قد سقطتا وأنهما كانت في مصاحف ابن عباس وأبي ابن كعب وابن مسعود وأن عمر بن الخطاب قنت بهما في الصلاة.

فلم هذا الإختلاف بين الصحافة حول القرآن؟ أليس القرآن يتضمن إعجازا لغويا إلاهيا؟ ومن السهل الحسم بين ما هو أسلوب إلاهي وما هو أسلوب إنساني؟ وقد أوردت أغلب المصادر من بينها صحيح البخاري روآية عائشة التي تؤكد أن آية الرجم و إرضاع الكبير من القرآن وقد أكلتهما دابة بعد موت الرسول.

و ورد في الأثر أن عمر أتى وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آيه إلا بشاهدين،وأن أخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت الأنصاري "من

---

[210] سنن ابو داود كتاب الجهاد

[211] تفسير القرطبي ج14 الصفحة113

المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" (الأحزاب: 23) فقال: أكتبها ان رسول الله قد جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتبت بآية الرجم فلم يكتبها لانه كان وحده. [212]

وعن الآيات التي أكلتها الدابة فلا يكاد مصدر يخلو منها فقد روى ابن حزم في مجلد هروآية عائشة عن أكل الداجن لآية الرجم والرضاعة وآيات أخرى بعد موت الرسول،وبقي عمر يقرأ بآيات الرضاعة بعد وفاة الرسول. وقد أكد الروآية البخاري والعديد من المصادر بمختلف الإتجاهات.

وقال ابن النديم في الفهرست : قال ابن سيرين وكان عبد الله بن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه ولا فاتحة الكتاب.

أما عن الأخطاء الإملائية في كتابة مصحف عثمان فيقول ابن خلدون في تاريخه" وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم. ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول"[213].

أورد ابن شبة النميري[214] أن عائشة قالت "أي بني إن الكتاب يخطئون" عندما سئلت عن الأخطاء الإملائية والإعرابية في القرآن.وقد جاء في الإتقان في علوم القرآن أنها قالت لما سئلت عن الأخطاء الإعرابية كآية إن هذان لساحران "يا ابن أختي هذا عمل الكتاب أخطؤوا في الكتاب".

يروي هشام بن عروة عن أبيه قال:

سألت عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون) المائدة/69، (والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) النساء/162،و(إنَّ هذان لساحران) طه/63، فقالت: يا ابن أختي هذا عمل الكُتّاب، أخطؤوا في الكِتابة[215].

---

[212] الاتقان للسيوطي ج1 ص78

[213] تاريخ ابن خلدون ج 1 ص 757

[214] تاريخ المدينة لابن شبة النميري ج2 ص 366

[215] رواه سعيد بن منصور في السنن رقم 769 و ابو عبيد في فضائل القرآن صفحة 229 رقم556

ومن الأخطاء التي وضحها كتبة عثمان: إن هذان لساحران – طه – والأصل إن هذين لساحران، إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون – المائدة69 – والأصل والصابئين، لا ينال عهدي الظالمين – البقرة 124- الأصل الظالمون، إن رحمة الله قريب – الأعراف 56- الأصل قريبة، قطعناهم اثنتي عشرة أسباطا – الأعراف160 – الصواب اثنى عشر سبطا.

وللخروج من هذه الإشكالية كتب الإمام الشافعي في الإتقان: لا يحيط باللغة العربية إلا نبي.

يقول ابن تيمية"لم يكن أصحاب الرسول ينقطون المصحف ويشكلونها، فكان في اللفظ الواحد قراءتان كأن يقرأ بالياء وكأن يقرأ بالتاء". ويقول السيوطي في الإتقان"أن اختلاف القراءات أدى إلى اختلاف الأحكام الشرعية لأن البعض قرأ لامستم النساء والبعض الآخر قرأ لمستم النساء بلا ألف".

ويقول الجلالاين والبيضاوي"الخلاف حولها بين الشافعي وابن عمر مع ابن عباس لأن الأخير كان رأيه الجماع والشافعي وابن عمر قالا أن مجرد اللمس ينقض الوضوء".[216]

والملاحظ أيضا، أن مصحف عثمان أيضا لم يسلم من تعديلات. فمن المعروف تاريخيا أن أبا الأسود الدؤلي أول من شكله وفي روايات أخرى الحسن البصري وغيرهم وذلك بأمر من الحجاج بن يوسف الثقافي، وقد كان قبل ذلك بلا شكل أو تنقيط فالجيم حاء وخاء كلهم شيء واحد، والسين شين، والباء ياء والتاء نون. قد يقول البعض ليس ذلك مشكلة، لكنها إشكالية مستعصية خاصة مع رداءة الخط والحبر وما يستعمل كورق من جلود وعظام.

قال ابن كثير في فضائل القرآن[217]: "أما نقط المصحف وشكله فيقال أن أول من أمر به عبد الملك بن مروان"كما جاء في الفرقان لابن الخطيب أن الحجاج غير كلمات كثيرة في القرآن بتغيير التنقيط.

---

[216] تأملات في جمع القرآن جزء 2 محمد مقصيدي

[217] ابن كثير في فضائل القرآن ص 227 ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (10/ 513)

بل يوافينا فتح الباري بالتالي [218]: قال ابن حجر"أفلم ييأس الذين آمنوا، أن لويشاء الله لهدى الناس جميعا"الرعد آية31" روى الطبري وعبد بن حميد بإسناد صحيح كلهم من رجال البخاري عن ابن عباس أنه كان يقرأها "أفلم يتبين"، ويقول "كتبها الكاتب وهو ناعس". ومن المعنى يبدو أن ابن عباس على صواب.

وعن التدخل البشرى فى كتابة القرآن قال عثمان بن عفان (إنّ فى القرآن لحناً وستقيمه العرب بألسنتها).

عن عكرمة مولى ابن عباس قال: (لما كتبت المصاحف عُرضت على عثمان، فوجد فيها حروفا من اللحن، فقال: لا تغيروها، فإن العرب ستغيرها- أو قال ستعربها بألسنتها - لوكان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف)[219]

وبعد البحث والتمحيص في كتب التراث الإسلامي وخاصةً ما يعتبر عند المسلمين من المصادر الموثوقة نتبين أن النص القرآني لم يسلم من التحريف. وفي معنى آية "إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[220] والتي يستدل بها المسلمين للطعن في كتب أهل الكتاب والتشكيك في مصدرها وما يطرحه لك من أسئلة أهمها كيف يُنزل الله كلامه ويقوم البشر بتحريفه ويسمح لهم بذلك ألا يفقد بذلك وقاره؟ وعن طريق تلك الآية يفتخر المسلمين بكتابهم الذي يدّعون أنه لم تمسسه يد بشر فهل كانت الآية تعني القرآن ككلام عربي مجموع في كتاب؟ أم تعني شيئا آخر أوسع وأشمل وأبعد خاصة أنها وردت بكلمة الذكر وليس القرآن أو المصحف.

وعندما نعود للسان العرب لابن منظور[221] بحثا عن الذكر وكما هو الحال عادة نجد تعاريف كثيرة منها:

ذكر: الذِّكْرُ: الحِفْظُ للشيء تَذْكُرُه. والذِّكْرُ أَيضاً: الشيء يجري على اللسان. والذِّكْرُ: جَرْيُ الشيء على لسانك، وقد تقدم أَن الذِّكْرَ لغة في الذكر، ذَكَرَهُ يَذْكُرُه ذِكْراً وذُكْراً، الأَخيرة عن سيبويه. وقوله تعالى: واذكروا ما فيه، قال أَبو إِسحق: معناه

---

[218] فتح الباري بشرح صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن ج 8 ص229

[219] أبوعبيد في "فضائل القرآن" (103/2، رقم/562) ، وابن أبي داود في "المصاحف" (235/1، رقم/110)

[220] سورة الحجر الآية 9

[221] لسان العرب لاين منظور

ادْرُسُوا ما فيه. وتَذَكَّرَهُ واذَّكَرَهُ وادَّكَرَهُ واذْدَكَرَهُ، قلبوا تاء افْتَعَلَ في هذا مع الذال بغير إدغام، قال: تُنْحي على الشَّوكِ جُرَازاً مِقْضَبا، والهَمُّ تُذْرِيهِ اذْدِكاراً عَجَبَا. وأَذْكَرَه إِياه: ذَكَّرَهُ، والاسم الذِّكْرَى. الفراء: يكون الذِّكْرَى بمعنى الذِّكْرِ، ويكون بمعنى التَّذَكُّرِ في قوله تعالى: وذَكِّرْ فإِن الذِّكْرَى تنفع المؤمنين. والذِّكْرُ والذِّكْرى، بالكسر: نقيض النسيان، وكذلك الذُّكْرَةُ واسْتَذْكَرَ الشيءَ دَرَسَةَ للذِّكْرِ. والاسْتِذْكارُ: الدِّرَاسَةُ للحفظ. والتَّذَكُّر: تذكر ما أُنسيته. وذَكَرْتُ الشيء بعد النسيان وذَكَرْتُه بلساني وبقلبي وتَذَكَّرْتُه وأَذْكَرْتُه غيري وذَكَّرْتُه بمعنًى. قال الله تعالى: وادَّكَرَ بعد أُمَّةٍ، أَي ذَمَرَ بعد نِسْيان، وأَصله اذْتَكَرَ فَأُدغم. والذِّكْرُ: الصيتُ والثناء.

إذا فالذكر حسب بن منظور لا علاقة له بكتاب القرآن وحده بل يشمل كل الكتب السماوية ويتعداها إلى أشياء تعبدية أخرى.

عثمان حرق 26 مصحف من أصل 27 مصحف كما تورد بعض الروايات ويقر أهل السنة بأن عثمان حرق 7 مصاحف معترف بها[222]:

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه). وقال المحققون من أهل العلم: إنها متقاربة في المعنى مختلفة في الألفاظ.

إنّ مقتل حفظة القرآن في واقعة بئر معونة وفي معركة اليمامة كانت السبب الأساسي في جمعهم للقرآن. أضف الى ذلك أن الرسول محمد قد ترك الأمة بعد وفاته بقرآن مشتت مبعثر هنا وهناك بعضه كتب في رقاع، وبعض كتب على اللخاف وبعضه كتب على العسف وجلود الحيوانات أو الجيف كما يقول الطالبي.

عن الثوري أنّه قال: (بلغنا أنّ أُناساً من أصحاب النبي كانوا يقرأون القرآن، أُصيبوا يوم مسيلمة، فذهبت حروف من القرآن).[223]

ذكر الحافظ في الفتح أن القتلى من القراء كانوا سبعين، فتح الباري ،وورد في الإتقان في علوم القرآن.[224]

---

[222] راجع الفتوى عدد 125091 تاريخ النشر: 26-09-2008 موقع الإسلام سؤال وجواب

[223] الدر المنثور للسيوطي ج 5ص 179

[224] فتح الباري ج8 ص 668 الإتقان في علوم القرآن ج1 ص 199-204

قال الحافظ في الفتح: وهذا يدل على أن كثيرًا ممن قتلوا في واقعة اليمامة كان قد حفظ القرآن.[225]

عَنْ قَتَادَةُ قال: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ سَبْعُونَ، وَيَوْمَ الْيَمَامَةِ سَبْعُونَ. قَالَ: وَكَانَ بِئْرُ مَعُونَةَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ، وَيَوْمُ الْيَمَامَةِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ. رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد.[226]

بعد التأمل في الطريق التي وصلنا بها "المصحف العثماني " نتساءل:

لماذا تم تكليف زيد وحده من كتبة القرآن وتم استبعاد كل الكتبة الآخرين بل إحراق مصاحفهم أيضا؟

إذا كان الرسول يكتب القرآن بشكل مستمر عن طريق الكتبة لماذا لم يعتمد أبو بكر على تلك الكتابات؟ وكلف زيد بتتبع القرآن في صدور الرجال من هنا وهناك؟

إذا كان قد تم جمع القرآن في عهد أبو بكر بشكل رسمي، فمن أين ظهرت تلك المصاحف التي كلها مكتوبة من طرف قرشيين وليس أعاجم وتختلف عن مصحف عثمان مما أدى به إلى إحراقها؟

لماذا اتهم الكثير من الصحابة عثمان بتحريف القرآن علانية؟ ولماذا جامع القرآن عثمان منع من الدفن في مقابر المسلمين؟

لماذا الحجاج شخصيا من أمر بوضع النقط والشكل التي تختلف معها كلمات كاملة ومعاني جمل وتشريعات؟ وهل أبو الأسود الدؤلي إطلع على الغيب حتى يشكل القرآن في العهد الأموي المعروف بمعاداته لأهل الرسول ولقتله للصحابة،ويكفي أن نعرف أن ذلك تم بأمر من الحجاج؟ ماهو حجم الإختلاف بين قرآن الحجاج وتعديلاته وقرآن عثمان، ما وجه الإختلاف بين قرآن عثمان والمصاحف المحروقة؟

إذا كان الكثير من الصحابة ذكروا آيات وسور من القرآن بينما الآخرون أسقطوها، وقد أوردها علماء القرآن في مصادرهم رغم أن بعضهم أنكرها أو وافق عليها، وعلى

---

[225] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج 8 ص628

[226] صحيح البخاري كتاب المغازي ج7ص433 ص 4078. دلائل النبوة البيهقي ج3 ص 277

رأسهم البخاري، فهل اختلط على الصحابة أسلوب وبيان القرآن الإعجازي؟ إذ كان من المفروض أن ينكروها أو يقبلوها بشكل واضح بحكم معرفتهم بالإختلاف الواضح بين لغة القرآن الإلاهية الإعجازية واللغة الإنسانية؟

أسئلة كثيرة تدهشنا ونحن بعد 14 قرن نقوم بالتمحيص في الموروث الثقافي وفي المصادر المتناقضة القادمة من ذلك الزمان. ربما بعض الإكتشافات العلمية الجديدة لمخطوطات مصحف صنعاء الذي ينسب لإبن مسعود والذي دفنته السلطة السياسية قد يكون كفيلا بالإجابة على هذه التساؤلات التي عمدت السلطة السياسية على دفنها عن طريق الترهيب وممارسة الوصآية الفكرية والتدليس وإحراق مئات الكتب وحذف صفحات من أخرى.

قصة تجميع القرآن تبقى من المواضيع المحرمة على المسلمين وقد آن الآوان لطرحها ومراجعة النص القرآني وتقويمه حتى يغدوا صالحا لهذا الزمان.

2-حول أسباب النزول

أسباب النزول أوتفسيرها، أو شأن النزول، هو أحد العلوم الإسلامية المهتمة بمعرفة أسباب نزول آيات القرآن والقضايا والحوادث المتعلقة بها وكذلك وقت ومكان نزول الآية وذلك بغرض معرفة تفسيرها وفهمها فهمًا صحيحًا قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصّتها وبيان سبب نزولها وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن ويقول ابن تيمية: معرفة سبب النزول يساعد في فهم الآية وإنّ عِلْم السبب يورث العِلم بالمسائل.

من هنا نستنتج أن سبب النزول هو كل قول أو فعل نزل بشأنه قرآن عند وقوعه.وتكشف لنا أسباب النزول عن الظرفين الزماني والمكاني الذي أنزلت فيهما والصواب "مناسبات النزول" لأن أحكام الله لا تعليل ولا أسباب لها.

وهذا الإستناج يحيلنا إلى إشكالية منطقية تأكد على أن القرآن مخلوق أي أن الحدث هوالذي يخلق الآية، و حتى نتحرى الدقة فهو مكتوب وبشري، ولم يكن موجود قبل الدهر فى اللوح المحفوظ، فكيف بكتاب محفوظ منذ الأزل أن ينزل لأسباب طارئة أو مؤقتة أو عابرة أو حدثت صدفة أو فجأة، وكأن الله فوجئ بها، فسارع وتدارك الأمر بإنزالها، وهو القطع باليقين الذى يعززه ما يعرف بعلم الناسخ والمنسوخ فلا يكفي الله أنه يفاجأ ولا يعرف بل أيضا ينسى وينسخ أي أن أسباب النزول والناسخ والمنسوخ تدحضان بما لا يدع مجالا للشك سماوية القرآن أو أنه من عند الله إلا إذا كان الله بشرا يفاجأ وينسى فينسخ.

كما أشرنا سابقا يقول الواحدي بأنه لا يمكن "معرفة تفسير الآية دُون الوقوف على قصتها وبيان نزولها". كما أن معرفة سبب النزول وسيلة لمعرفة تاريخ الآية. آيات القرآن جاءت في كثير من الأوقات مجردة ومبهمة، بالإضافة إلى عدم جمعها وفقا لتاريخ النزول، مما يزيد في صعوبة فهمها. ولكن يجب أن ندرك أن ليس لكل آية في القرآن سبب نزول معروف فالواحدي[227] ذكر أسباب 472 آية من مجموع 6236

---

[227] انظر البسيط في تفسير القرآن الكريم للإمام الواحدي

آية، أي ما نسبته 7.5% من آيات القرآن، والسيوطي [228]الذي يعرف بالاستكثار قد جمع أسباب 888 آية، أي ما نسبته نحو14% من آيات القرآن.

ورغم أن الغاية المرجوة من كتب أسباب النزول إزالة الإختلاف في فهم الآيات، إلا أن من كتبوا في أسباب النزول غير متفقين فيما بينهم في تحديد السبب الذي نزلت فيه الآيات. حتى أن هناك من حاول تبرير هذا الاختلاف ببعض المغالطات والإخراجات غير المنطقية. ابن تيمية يقول أن قول أحدهم: نزلت في كذا لا ينافي قول الآخر: نزلت في كذا فيمكن صدقهما بأنْ تكون نزلتْ عَقِبَ تلك الأسباب، أو تكون نزلت مرّتين، مرّة لهذا السبب، ومرة لهذا السبب. وهناك من الفقهاء من يرى بضرورة فحص صحة إسناد كل سبب والاعتماد على الصحيح منهما. وإذا إستوى الإسنادان، يرجح الراوي الذي كان حاضرا القصة. وإذا لم يكن في الإمكان ترجيح رأي منهما، يحمل الإختلاف إلى تعدد النزول وتكرره.

من جهة أخرى هناك آيات تتكرر في مواضع وسور مختلفة إما بصورة مماثلة، أو بإختلاف ضئيل. ولا يعرف هنا بالتأكيد ما إذا كان سبب النزول مختلف من آية إلى أخرى. كما أن نفس السبب ذكر لعدد من الآيات.

بالعودة إلى البحث في أسباب النزول نتبيّن أن القرآن كتاب أو مجرد كلام صنعته وقائع حدثت فى وقتها أي أنه جاء في إطار زماني ومكاني معين وهنا تسقط أكذوبة أن القرآن معجزة وأنه صالح لكل زمان ومكان بالعكس تماما القرآن لم يصلح لأي زمان ولا مكان حتى عند نزوله لذلك رفضته قريش. ولو أخذنا بقاعدة العودة لأسباب النزول لفهم القرآن فسوف نقع في مأزق أخلاقي فالقرآن عند قراءته متصلا بأسباب النزول ستتبين أنه كتاب جاء لتلبية حاجات الرسول محمد الحياتية والجنسية ونزعاته القبلية والبرجماتية كالظفر بالفيء والأنفال والغنائم والنساء واستباحة حياة الآخرين وإلغاء التبني، كما أن هناك آية نزلت بطلب من عمر وأخرى في علي وأبو بكر وفي مشاجرات نساء الرسول، فهل يتقبل عاقل أن إله الكون ترك كل شيء وأنزل آيات في خصومة عائشة وحفصة كي يرددها البشر أبد الدهر؟

وفي هذا الإطار سوف نبحث في أسباب نزول بعض الآيات القرآنية:

---

[228] انظر تفسير الجلالين

ورد في الحج [229]:وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

وحسب المفسرين فإن هذه الآية نزلت فيما يعرف بآية الغرانيق و القصة أن الرسول محمد كان يتمنى أن يؤمن به قومه وذات مرة بينما كان يقرأ سورة النجم في مجلس من قريش حتى بلغ " أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاة الثَّالِثَة الْأُخْرَى"فتكلم الشيطان على لسانه و مدح آلهة قريش " تِلْكَ الْغَرَانِيق الْعُلَا وَإِنَّ شَفَاعَتهنَّ لَتُرْتَجَى" ففرحت قريش و قالت أن محمد يذكر آلهتنا بخير.

قال الطبري[230] : الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلك مِنْ رَسُول وَلَا نَبِيّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَان فِي أُمْنِيَّته) قِيلَ : إِنَّ السَّبَب الَّذِي مِنْ أَجْله أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَة عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , أَنَّ الشَّيْطَان كَانَ أَلْقَى عَلَى لِسَانه فِي بَعْض مَا يَتْلُوهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّه عَلَيْهِ مِنَ القرآن مَا لَمْ يُنَزِّلهُ اللَّه عَلَيْهِ. فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاغْتَمَّ بِهِ , فَسَلَّاهُ اللَّه مِمَّا بِهِ مِنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْآيَات. ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ حَدَّثَنَا الْقَاسِم , قَالَ : ثنا الْحُسَيْن , قَالَ : ثنا حَجَّاج ، عَنْ أَبِي مَعْشَر، عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ وَمُحَمَّد بْن قَيْس قَالَا : جَلَسَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَادٍ مِنْ أَنْدِيَة قُرَيْش كَثِير أَهْله، فَتَمَنَّى يَوْمئِذٍ أَنْ لَا يَأْتِيه مِنَ اللَّه شَيْء فَيَنْفِرُوا عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّه عَلَيْهِ : (وَالنَّجْم إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبكُمْ وَمَا غَوَى) فَقَرَأَهَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ :(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاة الثَّالِثَة الْأُخْرَى) فأَلْقَى عَلَيْهِ الشَّيْطَان كَلِمَتَيْنِ " تِلْكَ الْغَرَانِقَة الْعُلَى وَإِنَّ شَفَاعَتهنَّ لَتُرْجَى " فَتَكَلَّمَ بِهَا ثُمَّ مَضَى فَقَرَأَ السُّورَة كُلّهَا , فَسَجَدَ فِي آخِر السُّورَة، وَسَجَدَ الْقَوْم جَمِيعًا مَعَهُ، وَرَفَعَ الْوَلِيد بْن الْمُغِيرَة تُرَابًا إِلَى جَبْهَته فَسَجَدَ عَلَيْهِ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَقْدِر عَلَى السُّجُود . فَرَضُوا بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ وَقَالُوا : قَدْ عَرَفْنَا أَنَّ اللَّه يُحْيِي وَيُمِيت وَهُوَ الَّذِي يَخْلُق وَيَرْزُق ، وَلَكِنَّ آلِهَتنَا هَذِهِ تَشْفَع لَنَا عِنْده، إِذْ جَعَلْت لَهَا نَصِيبًا فَنَحْنُ مَعَك. قَالَا : فَلَمَّا أَمْسَى أَتَاهُ جَبْرَائِيل عَلَيْهِمَا السَّلَام فَعَرَضَ عَلَيْهِ السُّورَة فَلَمَّا بَلَغَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَلْقَى الشَّيْطَان عَلَيْهِ قَالَ : مَا جِئْتُك بِهَاتَيْنِ، فَقَالَ رَسُول اللَّه : " افْتَرَيْت عَلَى اللَّه وَقُلْت عَلَى اللَّه مَا لَمْ يَقُلْ " فَأَوْحَى اللَّه إِلَيْهِ : (

---

[229] سورة الحج االآية 52

[230] تفسير القرطبي سورة الحج ص 338

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَك عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْك لِتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْره) إِلَى قَوْله : (ثُمَّ لَا تَجِد لَك عَلَيْنَا نَصِيرًا) فَمَا زَالَ مَغْمُومًا مَهْمُومًا حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْهِ : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلك مِنْ رَسُول وَلَا نَبِيّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَان فِي أُمْنِيَّته فَيَنْسَخ اللَّه مَا يُلْقِي الشَّيْطَان ثُمَّ يُحْكِم اللَّه آيَاته وَاللَّه عَلِيم حَكِيم).

و أحداث آية الغرانيق وضعت الفقهاء في مأزق فكيف للنبي المعصوم أن يتكلم الشيطان عن لسانه و الكثير من المفسرين رفضوا هذه القصة اولاً لأنها تخالف مخالفة صريحة آيات كثيرة في القرآن ، تنص على أن الله لم يجعل للشيطان سلطان على النبي وإخوانه من الرسل وأتباعهم المخلصين ، مثل قوله : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)، وقوله: (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون).وقوله : (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) ، وأي سلطان أعظم من أن يلقي الشيطان على لسان رسوله هذه العبارة الشركية الصريحة . هذا عدا عن مصادمتها للآيات الصريحة التي تفيد حفظ الذكر وصيانته من التحريف والتبديل ، والزيادة والنقص ، كقوله : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، وقوله : (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقوله : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى).

قصة الغرنيق و ما ورد عن المفسرين في تأويلها تعد نقطة إستفهام كبيرة في مبحث أسباب النزول، ورد في تفسير الجلالين[231] حول قوله "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلك مِنْ رَسُول" هُوَ نَبِيّ أُمِرَ بِالتَّبْلِيغِ "وَلَا نَبِيّ" أَيْ لَمْ يُؤْمَر بِالتَّبْلِيغِ "إِلَّا إِذَا تَمَنَّى" قَرَأَ "أَلْقَى الشَّيْطَان فِي أُمْنِيَّته" قِرَاءَته مَا لَيْسَ مِنْ القرآن مِمَّا يَرْضَاهُ الْمُرْسَل إلَيْهِمْ وَقَدْ قَرَأَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُورَة النَّجْم بِمَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْش بَعْد : "أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاة الثَّالِثَة الْأُخْرَى" بِإِلْقَاءِ الشَّيْطَان عَلَى لِسَانه مِنْ غَيْر عِلْمه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ : تِلْكَ الْغَرَانِيق الْعُلَا وَإِنَّ شَفَاعَتهنَّ لَتُرْتَجَى فَفَرِحُوا بِذَلِكَ ثُمَّ أَخْبَرَهُ جِبْرِيل بِمَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَان عَلَى لِسَانه مِنْ ذَلِكَ فَحَزِنَ فَسُلِّيَ بِهَذِهِ الآية لِيَطْمَئِنّ "فَيَنْسَخ اللَّه" يُبْطِل "مَا يُلْقِي الشَّيْطَان ثُمَّ يُحْكِم اللَّه آيَاته" يُثَبِّتهَا "وَاَللَّه عَلِيم"

[231] الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ج5 ص208 سليمان بن عمر العجيلي

بِإِلْقَاءِ الشَّيْطَان مَا ذُكِرَ "حَكِيم" فِي تَمْكِينه مِنْهُ بِفِعْلِ مَا يَشَاء. و التفاسير متعددة حول قصة الغرانيق لكن ذهب فقهاء العصر الحديث إلى دفنها و تكذيبها .

ننظر الآن في أسباب نزول سورة "عبس":

في القرآن لكل آية سبب نزول. هذا يعني أن الله في القرآن لا يعلم الغيب ولا علاقة له باللوح المحفوظ.

سبب النزول يعني أن الله مرتبط بالأحداث في الأرض حتى يوحي لمحمد بكلماته.

تحدث مشكلة تنزل آية لحل هذه المشكلة، بكل وضوح يعني أن الإله مرتبط بأحداث الأرض وبصفة أدق مرتبط بحياة محمد.

بمعنى أخر: النبي يكتب أيات لحل المشاكل والأزمات التي تعترضه.

مثلاً قصة عبس وتولى:

أتى رجل أعمى إسمه "عبدالله بن مكتوم" إلى محمد. جاء ليسترشد ويسأل عن الدين الجديد لكن الرسول محمد كان مشغول مع زعماء قريش يدعوهم لإتباعه.غضب الرسول من عبدالله بن مكتوم وعبس في وجه الاعمى ورد بفضاضة وتولى عنه وانصرف وعاد إلى الإجتماع. وهنا نتبين نظرة التحقير والدونية التي صدرت عن نبي تجاه أعمى.

خرج عبدالله بن مكتوم مكسور الخاطر وأخبر الناس أن محمد فعل كذا وكذا مع أنه رسول الله فكيف تحتقر الأعمى وتعبس في وجهه؟

بعد هذه الحادثة كثر الحديث بين الناس عن فعل الرسول فتواسط "الله" بنفسه بين محمد وعبدالله وأنزل: (عبس وتولى إن جاءه الأعمى وما يدريك لعلى يتزكى)

أي ما يدريك قد يستغفر ويزكي عن هذا الفعل ويغفر له الله. وهنا سبب نزول هذه الآية مرتبط بالفعل الذي ارتكبه النبي، أي أنه كتب الآية لمنع الحرج عن نفسه.

قصة ثانية مع نفس الشخص "عبدالله بن مكتوم"

قبل إحدى الغزوات كتب الرسول:(لايستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) عندما سمع ابن مكتوم الآية توجه الى الرسول و قال له : لكن أنا ضرير يا رسول

الله. فسبحانه من سابع سماء عدل الآية وأنزل:(لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) والآيتين مازالتا في القرآن واحدة نزلت بعد طلب التعديل من عبدالله.

كان يجب أن يبعث الوحي بالآية الثانية من البدآية ولا ينتظر أن يأتي ضريرويحتج ويبعث بآية جديدة.

نعود الآن لأسباب نزول قوله تعالى:

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (49)[232].

بلغة بسيطة، الرسول أتى على رئيس قبيلة اسمه الجد بن القيس،وقال له تعال نغزو تغنم بنات الأصفر، بنات الأصفر تعبير بدوي يعني به الشقراوات وفي روآية أخرى: تعال لعلك تحتقب إحدى بنات الأصفر، فرفض الجد بن القيس لأن بينه وبينهم ميثاق ولم يرد نقضه.

حاول الرسول إقناعه فقال له أنهن غلسٌ ملسٌ لعس، فقال له القيس أنه يخاف إن رأهما أن لا يصبر وأنه يخاف الفتنة. فنزلت آية يهدد بها الله العزيز الحكيم خالق الـ400 مليار مجرة الجد بن القيس بنار جهنم لأنه رفض مساعدة الرسول في الحصول على الشقراوات.

ورد في تفسير من الطبري[233]:

حدثني محمد بن عمروقال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: (ائذن لي ولا تفتني)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغزُوا تبوك، تغنموا بنات الأصفر ونساء الروم! فقال الجدّ: ائذن لنا، ولا تفتنَّا بالنساء.

---

[232] سورة التوبة الآية 49

[233] تفسير الطبري من الحديث رقم 16785 الى 16788

حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغزوا تغنَموا بنات الأصفر= يعني نساء الروم، ثم ذكر مثله.

حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس قوله: (ائذن لي ولا تفتني)، قال: هو الجدّ بن قيس قال: قد علمت الأنصار أني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالي.

حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه، للجد بن قيس أخي بني سلمة: هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أوتأذن لي ولا تفتني، فو الله لقد عرف قومي ما رَجل أشدّ عُجْبًا بالنساء منّي، وإني أخشى إن رأيت نساءَ بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد أذنت لك، ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية: (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني)، الآية، أي: إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه، أعظم.

إن الخوض و البحث في باب أسباب النزول يحيلنا على الكثير من نقاط الإستفهام حول مصدقية مصدر النص القرآني ما يستوجب عرضها علي ميزان النقد المنطقي.

التناقض والتكرار في النص القرآني

1-التناقض في النص القرآني

يتحدى القرآن ناقديه ومعارضيه بإستحالة الإتيان بمثله، مع أن لغة القرآن تعتبر لغة سلسة وليس فيها ما يبهر أويُعجز ولوقارنّاها بما كتب باللغة العربية قبل الإسلام وبعده وفي العصر الحديث سنجد أن القرآن ليس بالكتاب المعجز لغوياوهنا لا ننكر أن اللغة العربية الحديثة وضعت قواعدها بيما يتوافق والنص القرآن أي أن العربية الحديثة مستمدة من لغة القرآن.

إنّ النص القرآني نص مبهم وغير قابل للفهم يعني بإمكانك أن تجد للكلمة الوحدة ألف معنى وهذا يعتبر عيباوليس ميزة كما يدّعي أصحاب نظرية الإعجاز اللغوي. فالنص القرآني إن كان نص إلهي يجب أن يكون واضح ويفيد المعنى مباشرة لا يتلاعب بالمصطلحات ويجعل البشر تائهين يبحثون عما أراد الله قوله وفي التاريخ الإسلامي حدثت حروب وفتن بين فرقاء اختلفوا في معنى ومفاهيم بعض الآيات. الكل مايزال يبحث عمّا يريد الله قوله من خلال القرآن هذا يؤكد ويستدل والأخر يعارض ويأتي بالحجج والحقيقة مفقودة.

بالإضافة إلى أن النص القرآني غير قابل للفهم نجد فيه الكثير من التناقضات وقد كان المعارضين للدعوة المحمدية ينقدون التناقض في النص القرآني فأجابهم القرآن على لسان محمد "أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوكَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا"[234]وهنا ينفي القرآن وجود أي تناقض فيه بآية قطعية ويدعو النُقاد إلى التدبّر.

المشكلة أن التدبّر في النصوص القرآنية هوالذي يحيلُنا إلى الإستنتاج أن القرآن يحوي الكثير من التناقضات في نصوصه ولم تفلح محاولات المسلمين في التهرب من مواجهة الحقيقة بإستخدام المغالطات اللامنطقية كحجة الناسخ والمنسخ والإدعاء بضرورة العودة لأسباب النزول لفهم النص. هم لا يستوعبون أن هذا النص إلهي

---

[234] سورة النساء الآية 38

يجب أن يكون صريح وواضح وسنأتي الآن على ذكر جملة من التناقضات الكارثية في النص القرآني وهذه النماذج ليست بحاجة لعقل عبقري كي يدرك أنها متناقضة أشدّ التناقض:

يذكر القرآن في بعض آياته أن خلق السماوات والأرض استغرق ست أيام، بينما في آيات أخرى يذكر أن خلقهم استغرق ثمانية أيام في تضارب واضح:

ورد في سورة "ق":[235]

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ)

أما في سورة "فصلت"[236] فقد ورد:

(قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِين 9 وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ 10 ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوكَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ 11 فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ).

نأتي الأن إلى نموذج أخر من التناقض في نص القرآن هل الله خلق السماوات ثم خلق الأرض أم بالعكس خلق الأرض ثم السماء؟ لنرى ما يقوله القرآن:

يذكر في سورة "فصلت" نفس الآية السابقة [237]:

(قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِين 9 وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ 10 ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوكَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ 11 فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ12)

أما في سورة "النازعات"[238] فقد ورد:

---

[235] سورة ق الآية38

[236] سورة فصلت 9-12

[237] المرجع السابق

(أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا 27 رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا 28 وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا 29 وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا).

ونقطة هامة تدل على التناقض الصريح في النص القرآني وتنسف حجية بعض المدافعين عنه بمغالطة الناسخ والمنسوخ فالقرآن يأكد أن لا تبديل لآياته لكنه يأتي بعد فترة ليناقض قوله الأول فهل الله يبدل الأيات القرآنية وينسخها بأيات أخرى أم لا يبدل كلماته وآياته أبدا؟

سورة "الكهف"[239] تأكد أن لا تبديل لكلمات الله:

(وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا)

بينما سورة " النحل"[240] تقول العكس:

(وَإِذَا بَدَّلْنَا آية مَّكَانَ آية وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

في نقطة أخرى عندما تطرح قضية قتل النفس مع أي مسلم فهو ينكر وبشدة أن القرآن يبيح القتل والقتال ويستدل بآية "من قتل نفساً" بينما قد تتحاور مع مسلم أخر ويقول لك نعم القتل في الإسلام مباح لغير المسلمين ويستدل بآية القتال وهاتيتن آيتين متضاربتيتن الى الحد اللامعقول. فمؤلف القرآن يتخبط بين منع الناس من قتل الأخرين وما بين قتلهم لأنهم غير مسلمين.

في سورة "المائدة"[241] يقول:

(مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أوفَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا)

ثم يقول في سورة "التوبة "[242]:

---

[238] سورة النازعات الآية 27-30

[239] سورة الكهف الآية27

[240] سورة النحل الآية 101

[241] سورة المائدة الآية 32

[242] سورة التوبة الآية 29

(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ).

نستمر في البحث في تناقضات القرآن الواضحة بالعين المجردة في قصة موس بوقومه هل اتخذ قوم موسى العجل ثم أخذتهم الصاعقة أم العكس أخذتهم الصاعقة ثم اتخذوا العجل؟ لنرى ما يقوله القرآن:

في سورة "النساء" اخذتهم الصاعقة ثم اتخذوا العجل:

(يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَوَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا).[243]

أما في سورة "البقرة"[244] فقد ورد العكس تماماً اتخذوا العجل فآخذتهم الصاعقة:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَالتَّوَّابُ الرَّحِيمُ 54 وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ55) .

تشير بعض الآيات الى أن الله قد أرسل لمريم ملاك واحد يبشرها بعيسى بينما هناك آيات أخرى تفيد بأن الله أرسل الملائكة تبشرها بعيسى.

ما هوعدد الملائكة التي أرسلت إلى مريم؟

آل عمران[245](إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) .

الآية هنا تشير إلى عدة ملائكة.

مريم[246](فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا 17 قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا 18 قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ

---

[243] سورة النساء الآية 15

[244]سورة البقرة الآية54-55

[245] سورة آل عمران الآية 45

غُلَامًا زَكِيًّا 19 قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا 20 قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوعَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آية لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا).

الآيات هنا تشير الى ملاك واحد. ألا يعتبر هذا تناقضا؟

وفي عذاب قوم عاد هل أرسل الله ريحا ليعذبهم في يوم واحد أم أيام عدة؟ لنرى التناقض في الرواية القرآنية:

في سورة "فصلت"الآية 16:

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ).

بينما ورد في سورة " القمر"[247]:

(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ 18 إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ19).

وفي حديثه عن لوط وقومه يخبرنا القرآن قصتين مختلفتين فماذا كان جواب قوم لوط على نبيّهم؟

في "الأعراف"[248] قالوا أخرجوهم من قريتكم:

(وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ 82 فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ 83 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ 84).

في "العنكبوت"[249] تحدوه بأن يأتيهم بالعذاب :

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ 28 أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ29).

---

[246] سورة مريم الآية 17-21

[247] سورة القمر الآية 18-19

[248] سورة الأعراف الآية 82-84

[249] سورة العنكبوت الآية 28-29

يعتبر القرآن أن الله هو مصدر كل ما يصيب القرآن في حياته لكنه يتراجع ويقول أن الخير مصدره الله والشر مصدره الإنسان فهل ما يصيبنا من حسنة من الله وما يصيبنا من سيئة من انفسنا أم أن كل ما يصيبنا هو من الله؟

ورد في سورة "النساء"[250]

(مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ).

بينما في سورة "التوبة"[251]

(قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا) .

ما عرضناه لا يعد إلا بحث بسيط لبعض التناقضات الظاهرة في النص القرآني والتي يحاول بعض الفلاسفة المسلمين الرد عليها بمغالطات لامنطقية كعادتهم فهم يخرجون النص عن معناه الأصلي ويتلاعبون بالألفاظ والمصطلحات بطريقة ساذجة محاولين التغطية والتهرب من مواجهة الحقيقة والإقرار بضرورة مراجعة النص القرآني وإصلاحه لغويا ومنطقيا وعلميا ثم حقوقيا وإنسانيا.

---

[250] سورة النساء الآية 79

[251] سورة التوبة الآية 51

2-التكرار في القرآن

نعود الأن للبحث بعض نماذج التكرار والحشو داخل النص القرآني، وفي هذا الباب قام الدكتور سامي الذيب ببحث مفصل [252] في هذا الموضوع يقول في مقدمته:

تعطينا قراءة سور القرآن انطباعًا بأننا أمام كشكول مقطع الأوصال يجمع من كل ما هب ودب، مما ينفي عنه صفة الكتاب. ومعايب القرآن نجدها على مستوى النص ككل، وعلى مستوى السور، وعلى مستوى الآية الواحدة. وقد تكون الخربطة التي يتسم بها القرآن أحد أسباب خربطة العقل العربي والإسلامي. فمن كان دليله مشوشًا، لا بد ان يكون مشوشًا مثله.

فعلى مستوى النص ككل، نجد تكرارًا وتشتتًا مملًا في القصص القرآنية، باستثناء قصة يوسف التي جاءت في سورة يوسف. ولم يذكر القرآن اسم يوسف خارج هذه السورة إلا في الآيتين 55-84 من سورة الإنعام و الآية 33 من سورة غافر. وهذا التكرار والتشتت يجعل من الصعب معرفة عناصر كل قصة بصورة شاملة. فكل قصة قرآنية تتطلب تجميع ما جاء حولها من آيات لفهمها. ومن يهمه الأمر، يمكنه الرجوع إلى فهرس الكتاب والبحث عن الآيات المتعلقة بالأشخاص الذين يذكرهم القرآن مثل إبراهيم ويعقوب وموسى وعيسى وغيرهم، ليقف على مدى تشتت النص القرآني. وإن أردنا حذف التكرار في القرآن فقد نتخلص من ثلث القرآن دون خسارة. ولو أنه لم يكن لدينا إلا القرآن، فسوف يستحيل فهمه بسبب قفزه من قصة إلى أخرى دون أن يقدم آية خلفية أو روآية أو توضيح. ومن هنا جاءت كتب أسباب النزول والتفاسير المتناقضة وكتب الحديث لكي توضح حيثيات الآيات دون أن تتفق بينهما على فهم موحد. فنرى نفس المفسر يعطينا عدة روايات متناقضة تتعلق بنفس الآية.

وهذا التكرار يطرح مشكلة ترتيب سور القرآن بالتسلسل التاريخي. فكيف نرتب الروايات المكررة بصور مختلفة في بعض التفاصيل، مثل روآية نوح وإبراهيم ولوط

---

[252] الدكتور سامي الذيب كتاب القرآن بالتسلسل التاريخي.

وموسى ويونس ويحيى وعيسى ومريم وصالح وشعيب وغيرهم؟ فهل هذه الروايات نزلت مكررة أم أنها نزلت مرة واحدة؟ وهل تكرارها جاء بسبب وجود نسخ متفرقة للقرآن تم تجميعها بين دفتي المصحف (والذي يعني ملفًا يجمع الصحف) خوفًا من إهمال بعضها لقداستها عند أتباعها؟ أم أن التكرار نجم عن طول فترة كتابة الآيات خلال ثلاث وعشرين سنة، ربما كان محمد ينسى خلالها ما أتى به قبلًا ويبدل ويغير ويعيد ويكرر؟

ولكن الأمر الأكثر خطورة في تشتت القرآن هو ما يتعلق بآيات الأحكام. فمن يريد معرفة كيفية تنظيم القرآن للميراث والوصية على سبيل المثال، عليه أن يتنقل بين عدة سور، إذ أن هذا الموضوع تم تقنينه في أكثر من 11 آية في مواضع متعددة ومن يريد معرفة حكم عدة النساء، عليه أن يرجع إلى الآية 87 من سورة البقرة : «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» وتكملتها بالآية 99-65 سورة الأنعام «وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا».[253]

ولنأخذ موضوع أكل الميتة في أربع آيات متفرقة:

سورة الأنعام 145: قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْدَمًا مَسْفُوحًا أَوْلَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوفِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ (...) فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

سورة النحل 115: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ (...) فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

سورة البقرة 17: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

---

[253] ايات متفرقة من النص القرآني

سورة المائدة 3 : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ (...) فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.[254]

كيف يمكن تفسير هذا التكرار، وما معنى النقص في الآيتين الأوليين والآية الرابعة والذي كملته الآية 87-2: 173 بعبارة «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»؟

نأخذ نماذج أخرى من التكرار علي سبيل المثال لا الحصر:

(1)

(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) .

(وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) .[255]

(2)

(قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آية قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ).

(قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آية قَالَ آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا).[256]

(3)

(وآتينا عيسي بن مريم لْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ).

(وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)[257]

ما هو الفرق بين القولين ولماذا نجد تكرارا في ذات السورة؟

---

[254] سورة الأنعام و سورة النحل و سورة البقرة و سورة المائدة

[255] سورة البقرة الآية 49 وسورة الأعراف الآية141

[256] سورة آل عمران الآية 41 و سورة مريم الآية 10

[257] سورة البقرة الآية 87 – الآية 25

(4)

عن هارون وحاجة موسي لأن يساعده. تكرر الموضوع بسورتين مختلفتين والمعني واحد. إحدهما يغني عن الأخر:

(وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ).

(وَأَخِي هَارُونُ هُوأَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ).[258]

من هنا يطرح السؤال لماذا تتكرّرالمعاني فى سورالقرآن وآياته؟ التي ليس فيها أحكام هامة بل هي آيات بلا فائدة وتفتقد للمعنى القيمي فلا هي تشريع ولا هي من النواهي ولا تطرح قضايا عقائدية.

بالإضافة إلى التكرار، نجد ظاهرة الحشو أو اللغو الذي يعرفه قاموس لسان العرب[259]: «السَّقَط وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره ولا يُحصَل منه على فائدة ولا على نفع».

وأكثر حالات الحشو واللغو نجدها في ظاهرة التذييل . و الواضح أن أكثر من نصف آيات القرآن تم إدخال كلمات في نهايتها لا علاقة مباشرة لها بمضمون الآية، وهدفها الحفاظ على القافية (السجع) في الآيات. وقد أجهد المفسرون أنفسهم كثيرا لإيجاد صلة بين تلك الكلمات ومضمون الآية باعتبار أن الله منزه عن العبث. وقد ورد التذييل وتطبيقه في القرآن ومحاولة تبريره في كتاب التحرير والتنوير[260] 809 مرات. وأعطي هنا أربع آيات لتذييل سجعي لا معنى له في سورة النساء[261]:

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا.

---

[258] سورة الشعراء الآية 13 و سورة القصص الآية 34

[259] قاموس لسان العرب

[260] كتاب التحرير والتنويرمحمد الطاهر بن عاشور

[261] سورة النساء الآيات 55-56-57-58

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا.

ولا يتوقف الحشو واللغو على مستوى التذييل. فهناك ما يطلق عليه اللغويون الإقحام وهو زيادة في الكلام يمكن الإستغناء عنه يقف في مجرى النسق التركيبي للجملة ويحول دون أن تتصل أجزاؤه بعضها ببعض اتصالًا تتحقق به مطالب التضام النحوي فيما بينها.

ونعطي هنا آيات جاء فيها حشو مع تفادي الآيات المكررة:

أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى سورة القيامة الآية 40، حرف الباء في بِقَادِرٍ حشو.

مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ سورة ق29، حرف الباء في بِظَلَّامٍ حشو.

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آية لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ سورة الأعراف الآية 132 ،كلمة «به» وحرف الباء في بِمُؤْمِنِينَ حشو.

وتجدر بنا الإشارة إلى اقحام فعل «كان» ومشتقاته ـكثير جدًا في عدة مواضع من القرآن.

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا سورة الإنسان الآية 5

وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًاسورة الإسراء الآية 32

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ سورة الصافات 35

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا سورة مريم 29

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوأَلْقَى السَّمْعَ وَهُو شَهِيدٌ سورة ق 37 .[262]

---

[262] آيات من النص القرآني

ونختم النماذج التي طرحناها في بدايات سورة المائدة[263] التي تعتبر أفضل دليل على تداخل النص القرآني والحشو الذي يحتويه وإبتعاده عن المعنى تقول الآية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)

ماهي العلاقة بين بهيمة الانعام والوفاء بالعقود؟ أين منهجية التحليل؟

هل هذه جملة مترابطة؟ نريد تفسير منطقي ما علاقة العقود بالأنعام والصيد؟

هنا يتضح جليّا مدى تناقض النص القرآني وفقدانه للمعنى.ربما يغريك بريق اللغة لكنه يخلو من أي معنى.فقط كلام لأجل الكلام منظوم على شكل سجع يقارب النصوص الشعرية.

أعتقد أنّ هذه الأمثلة كافية خشية (التكرار الممل من جانبي) لكن من الضروري طرح السؤال والبحث فيه لأن التكرار والحشو شديد الوضوح في النص القرآني، مع ذلك فإن الفقهاء والمختصين في علوم اللغة العربية لم يتوقفوا أمامه، ولم يسأل أحدهم نفسه لماذا،فهل يتفضل أحد كبار الفقهاء ويجيب إجابة منطقية؟

---

[263] سورة المائدة

3-إتيان القرآن بما ينهى عنه

وأنت تبحث في النص القرآني كنص أدبي محاولاً إخضاعه لسلطة المنهجية العقلانية تصدم بحجم التناقضات والأخطاء المنطقية فيه. فالنص هو متوالية كلامية مكتفية بذاتها، تتضمن بالضرورة في داخلها شروط تفسيرها،عكس الخطاب الذي يمثل حالة تداولية جدلية، تقع في وسط العملية الإتصالية بين المرسل والمستقبل، بحيث تخضع في تفسيرها لشروط وملابسات عملية الاتصال ذات المستويات الست حسب مخطط رومان جاكبسون.

النص القرآني باعتباره قولا من الأقوال يمكن إخضاعه للنقد والتأويل كما فعل سبينوزا[264] مع النص المقدس، حيث تتعامل مع النص الديني باعتباره مظهرا اجتماعيا أو حالة نفسية أوظاهرة تاريخية أو تأويلية. النتيجة أن النص إستعاد مكانه بين النصوص البشرية كإنتاج إنساني خاضع للتقطيع. حاول بعض الحداثيون العرب اقتباس آليات المقاربات الغربية لإعادة تشكيل النص القرآني من خلال الربط بين لحظتين: لحظة الحداثة ولحظة الهزيمة والانحطاط. ويمكن أن نصنف القراءات إلى أربعة أصناف: أدبية وإيديولوجية وتأويلية ومعرفية.

القراءة الصائبة للنص القرآني ينبغي أن تكون أدبية منطقية.وهذا لأن النص قد كتب في قوم عرفوا بالفصاحة والشعر وتحداهم أول الأمر أن يأتوا بمثله. ينطلق أدونيس[265] من قوله:"أشير ولا أتكلم عن الكتابة القرآنية بوصفها نصا لغويا خارج كل بعد ديني، نظراً وممارسة، نصاً نقرؤه كما نقرأ نصا أدبياً". وفي مقاربته الشعرية للقرآن يجعل السورة عبارة عن بوتقة تنصهر فيها الخطبة والمثل والنشيد والحوار والصلاة وكل الأجناس الأدبية. ومن حيث بنيتها الموسيقية لها نظام إيقاعي خاص مستلهما تحليل "بيار دوكابرونا"[266]الذي قدم دراسة موسيقية للسور وفق تقسيماتها اللحنية وترانيمها التي تستعيد قصص التوراة وطرق الكتابة الكنعانية القديمة. فالنص القرآني نغم، ويمكن أن نتكلم عليه بوصفه نغما. ولا تندرج أنغامه في أي

---

[264]سبينوزا "رسالة في اللاهوت والسياسة"

[265]"النص القرآني وآفاق الكتابة" آدونيس

[266]بيار دوكابرونا النص الديني في الإسلام من التفسير الى التلقي وجيه قانصوص 314

نسق معين أو نظام وزني ثابت. وهو في هذا يرفض القراءة الشرعية السياسية التي ترى في النص أنه آلة تسيرها يد الله كمشرع.

بإخضاعنا النص القرآني للنقد سنحاول أولا النظر من خلال بعض الأمثلة التالية كيف يقع القرآن نفسه في الكثير من حالات ازدواجية المعايير والتناقض:

القرآن والتنابز بالألقاب:

في البداية نذكر بما قاله أبو الأسود الدؤلي:

لا تَنهَ عن خُلُقٍ وَتَأتي مِثلَهُ عارٌ عَلَيكَ إذا فَعَلتَ عَظيمُ.

جاء في النص القرآني [267]: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا لا يَسخَر قَومٌ مِّن قَومٍ عَسى أَن يَّكونوا خَيرًا مِّنهُم وَلا نِساءٌ مِّن نِّساءٍ عَسى أَن يَّكُنَّ خَيرًا مِّنهُنَّ وَلا تَلمِزوا أَنفُسَكُم وَلا تَنابَزوا بِالأَلقابِ بِئسَ الاِسمُ الفُسوقُ بَعدَ الإيمانِ وَمَن لَّم يَتُب فَأُولَئِكَ هُمُ الظّالِمونَ (11) يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اجتَنِبوا كَثيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعضَ الظَّنِّ إِثمٌ وَّلا تَجَسَّسوا وَلا يَغتَب بَّعضُكُم بَعضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَن يَّأكُلَ لَحمَ أَخيهِ مَيتًا فَكَرِهتُموهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوّابٌ رَّحيمٌ (12)»

كما ورد في سورة الأنعام[268]: «وَلا تَسُبُّوا الَّذينَ يَدعونَ مِن دونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدوًا بِغَيرِ عِلمٍ كَذالِكَ زَيَّنّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُم ثُمَّ إِلى رَبِّهِم مَّرجِعُهُم فَيُنَبِّئُهُم بِما كانوا يَعمَلونَ)».

نرجع إلى بيت أبي أسود الدؤلي: «لا تَنهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثلَهُ...»، وما عبّر عنه القرآن[269] نفسه بـ «كَبُرَ مَقتًا عِندَ اللهِ أَن تَقولوا ما لا تَفعَلونَ»، والذي عبر عنه الشاعر في عجز البيت آنفا بوصف هذا السلوك: «عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ». ثم لننظر كيف يستقبح القرآن التنابز بالألقاب، بينما يطلق الألقاب السيئة على خصومه، فيسمي عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بأبي لهب وورد في لعنه وتحقير زوجته سورة كاملة "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ

[267] سورة الحجرات الأيى 11-12

[268] سورة الأنعام الآية 108

[269] سورة الصف الآية 3

(2) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (5)". [270]

هنا يأتي الله بكل عظمته حسب التصور القرآني ليلعن عبد العزى "أبو لهب "ويحط من شأنه ولا يكتفي الله بذلك بل ويسعى لتحقيره بذكر زوجته بسوء "حمالة الحطاب" فهل لعاقل أن يقبل بإله يتحكم في المجرات والأكوان لديه وقت لشتم أبو لهب وزوجته، أي منطقٍ هذا؟ وما هو الشأن العظيم الذي اقترفه أبو لهب كي تلعنه البشرية أبد الدهر؟

كان أبو لهب هو أول من جهر وأعلن عداوته الإسلام عند دعوة محمد مع ذلك لم يتنكر لإبن أخيه وحماه أكثر من مرة. فهل بسبب معارضته الدعوة المحمدية يسب وزوجته ويذكر بالسوء في نص من المفروض أن يكون مقدس؟

وكنى محمد رسول الإسلام عمه عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي الكناني بـ(أبي جهل) بدلاً من كنيته أبو الحكم لأنه لم ينصاع لدعوته ولم يخض لسلطته، كما كنى مسلم أو مسيلمة بن حبيب الحنفي بـ(مسيلمة الكذاب) مع أنه كان يعرف برسول اليمامة وقد بدأ الدعوة للإسلام قبل محمد بعشرات السنين.

لم يكتف الإسلام بإطلاق الألقاب السيئة على خصومه، بل سمى مرحلة ما قبل الإسلام بالجاهلية. وسمى غير المسلم بالكافر، والمسلم غير الملتزم بالفاسق، والشاك بالإسلام غير المصرح بشكه بسبب خوفه من بطش المسلمين به بالمنافق، بينما المسلم الذي يخفي إيمانه خوفا من أعداء الإسلام بالمتقي أو مزال ما يعرف حسب المصطلح القرآني بـ(التُّقاة) وما عرف في أدبيات الفقه الشيعي بـ (التقية).

ممظر الآن في النبزوالشتم القرآني تجاه المغايرين:

يصف النص القرآني من لا يؤمن بالدعوة المحمدية بالأنعام "حيوانات داجنة" في سورة الأعراف[271] يقول: «وَلَقَد ذَرَأنا لِجَهَنَّمَ كَثيرًا مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُم قُلوبٌ لّا يَفقَهونَ بِها وَلَهُم أَعيُنٌ لّا يُبصِرونَ بِها وَلَهُم آذانٌ لّا يَسمَعونَ بِها أُلائِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ أُلائِكَ هُمُ الغافِلونَ».

---

[270] سورة المسد

[271] سورة الأعراف الآية 179

يعني أن رب الأكوان الذي خلق كل شيء أعد جهنم لكل من لا يؤمن به ويشتمهم بقوله أنهم مثل البقر والماعز والحمير بل أن البهائم أفضل درجة منهم.

ولم يكتفي كاتب القرآن بسب من لم يؤمن بالإله الواحد بل شتم كذلك اليهود ووصفهم بالقردة والخنازير في سورة المائدة[272]: «قُل يا أَهلَ الكِتابِ هَل تَنقِمونَ مِنّا إِلّا أَن آمَنّا بِاللَّهِ وَما أُنزِلَ إِلَينا وَما أُنزِلَ مِن قَبلُ وَأَنَّ أَكثَرَكُم فاسِقونَ (59) قُل هَل أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِن ذالِكَ مَثوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيهِ وَجَعَلَ مِنهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنازيرَ وَعَبَدَ الطّاغوتَ أُولئِكَ شَرٌّ مَكانًا وَأَضَلُّ عَن سَواءِ السَبيلِ».

يعني الله يشتم اليهود ويتهمهم بالفسق ويلعنهم بعد أن غضب عليهم ويشبههم بالقردة والخنازير. الله العظيم حسب محمد يصف البشر الذين صنعهم بيديه بالقردة والخنازير.

ولم يكتف كاتب القرآن بالسب والشتم لكل معارض أو مخالف بل ويشبه الإنسان بالكلب في سورة الأعراف[273]: «وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذي آتَيناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشَّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ (175) وَلَو شِئنا لَرَفَعناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إِن تَحمِل عَلَيهِ يَلهَث أَو تَترُكهُ يَلهَث ذالِكَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَاقصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ ».

وإن حللنا الآية منطقيا فهل يعقل أن يشبه الله الإنسان بالكلب مهما بلغ من معصية ورفض بالنهاية هو إنسان لديه تفكير محدود فهل يعقل أن يفكر الله بعقل إنسان ويشتمه بشتائم الأطفال؟

وبعد الكلب نجد كذلك النص القرآني يصف الإنسان بالضفدعة و بعتبر الصم

والبكم مدعاة للشتم في سورة البقرة[274]«وَمَثَلُ الَّذينَ كَفَروا كَمَثَلِ الَّذي يَنعِقُ بِما لا يَسمَعُ إِلّا دُعاءً وَنِداءً صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فَهُم لا يَعقِلونَ »، وسورة الجمعة بالحمار

---

[272] سورة المائدة الآية 59-60

[273] سورة الأعراف الآية 175-176

[274] سورة البقرة الآية 171

[275]«مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ ثُمَّ لَم يَحمِلوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أَسفارًا بِئسَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمينَ ».

الإنسان حمار، وكلب وبهيمة وقرد وخنزير، هل هذا خطاب إله؟

وبعد شتم الحمار نجد نوع من الإستهزاء بالأصم والأبكم والأعمى، لماذا يشبه النص القرآني العصاة والمشركين بأصحاب الحاجيات الخاصة أليس عيبا أن يعير الإنسان بهكذا تشبيه؟ هناك عمي وصم بكم لكنهم مؤمنون بالإله فهل من المنطق أن تشتم المعارضين بهكذا وصف.

الإنسان الحديث يعتبر أصحاب الحاجيات الخاصة مميزين ويعطيهم حقوق أكثر من غيرهم والنص القرآني الذي من المفترض أن يكون نص إلهي يستهزء بهم ويسخر من إعاقتهم.

هذه بعض التناقضات التي تكشف لا أخلاقية النص القرآني في بعض محتوياته أليس من الواجب مراجعة هذه النصوص أم نستمر في الصمت؟

---

[275]سورة الجمعة الآية 5

الباب الرابع

دراسات نقدية في العلاقة

بين الإسلام والإنسان

الإسلام و الأحوال الشخصية

1-الإسلام والمرأة

الإسلام كرم المرأة...

أول شيئ يتبادر إلى الذهن عند سماع هذه القولة الشهير هي الأسئلة التالية:

ماذا اكتسبت المرأة في ظل الإسلام؟

هل فعلا كانت المرأة في "الجاهلية" مُهانة وأتى الإسلام وكرّمها؟

وماهي مكانة المرأة في العالم لما أتى الإسلام؟

ماهي حقوق المرأة في الإسلام؟ وماهي نظرة الإسلام للمرأة؟

عندما تسمع عن تكريم المرأة في الإسلام قد يخيل إليك أن المرأة في اليابان تضرب كل يوم و أن الرجل الفرنسي يستقبل صباحه بصفع زوجته و القانون الأمريكي يهين المرأة و يعتبرها بمقام دون مستوى الرجل...

يقول الشعراوي [276] "وما حورب الإسلام من المستشرقين مثلما حورب بقضايا المرأة "وهذا صحيح فإن الإسلام فيه الكثير من الإهانات والظلم والتحقير للمرأة.

قضية المرأة في الإسلام حدث فيها مناقشات كثيرة بين منتقد ومدافع وهي سبب أساسي للتشكيك والطعن في الإسلام كدين سماوي.الملاحظ أن كل المدافعين عن قضايا المرأة فى الإسلام يبدؤون كلامهم بالقول أن الإسلام كرم المرأة مستندين على وضعها السيء قبل الإسلام كما يشاع. هم يروجون لفكرة أن المرأة كانت في "الجاهلية" مُهانة وأتى الإسلام وكرّمها ورفع مكانتها، هذه عبارة كررتها معلمتي وكررها الكُتاب في كُتبهم وكررها ويُكررها رجال الدين والأساتذة والمثقفين، كلهم

[276] الشعراوى كتاب "المرأة فى القرآن الكريم"

يعددون عطايا الإسلام للمرأة، والتكريم الذي حظيت به المرأة ويهللون أن الإسلام أنقذها من الوأد ولولا الإسلام لأندثرت البشرية عن وجه الأرض.

في هذا الباب تقول قوله د.منجية السوايحي عن مكانة المرأة في فترة ما قبل الإسلام:[277]

"قبل الحديث عن لباس المرأة في هاتين الفترتين أذكّر أن المرأة في ما قبل الإسلام حازت مكانة رفيعة حجبها الكثير من مؤرخي الفترة الإسلامية لابراز ما اعطاه الإسلام للمرأة من حقوق. وكأن الفضائل لا تظهر إلا بحجب فضائل سابقة، والموضوعية التاريخية تقضي ذكر الحقائق كما هي مثل ما كان للمرأة في الجاهلية فقد نالت احترام الرجل، وتضحيته بحياته من أجلها. وقد سجل الشعر العربي والقصص والأغاني تلك المآثر، ولم يقف الامر عند التغزل والتغني بها وإنما تجاوزه لتصبح المرأة حكما بين الرجال الشعراء.

وتبوّأت المرأة في الجاهلية مكانة علية ظهرت بفضلها طبقة من النساء صاحبات القرار العظيمات الشأن من بينهن الكاهنة والعرافة والمتنبئة،وصاحبة السيادة والريادة ففي مكة كان مفتاح الكعبة عند امرأة وهي بنت خليل الخزاعي حافظت عليه زمنا طويلا.حسب ماجاء في كتاب "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار". وتذكر الأخبار أن مفتاح الكعبة أيام الفتح الإسلامي. كان في يد أم عثمان بن طلحة، ولم تسلمه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلا بعد شدة ومقاومة حسب ما ذكره مسلم في صحيحه.

ورافقت النساء الرجال في الحروب، ووقفت مواقف جريئة تحرض فيها الجند على القتال. وشاركت المرأة في الجاهلية في الحياة العامة ومنها المجال السياسي وما موقف هند بنت عتبة من الدين الجديد ومساندتها لزوجها إلا موقف سياسي واضح. ذكرت هذه النماذج لأبين أن المرأة لم تكن منبوذة ومغيبة إلا عند بعض القبائل مثلما هو الحال اليوم، وأن الإسلام لم يرفع منزلة المرأة".

أيضا تقول هتون أجواد الفاسي الأستاذة المساعدة في تاريخ المرأة في جامعة الملك سعود:[278]

---

[277] د.منجية السوايحي "لباس المرأة بين الجاهلية والاسلام"

"كان اهتمام العرب قبل الإسلام بالمرأة استثنائيا بين الأمم، فاهتموا بحفظ كرامتها وسترها، فكان للنساء خدر في المسكن ويوفر السجف وهوالساتر، لهم الحرية والخصوصية، وفي الخارج كانت النساء تلبس مايسترها وتركب في الهودج عند السفر لأن لا يطلع عليها الغرباء. كان من النساء قبل الإسلام الطبيبة كشفاء بنت عمرووسيدة الأعمال كخديجة بنت خويلد. ووصلت المرأة إلى مراتب عليا كما هو حال بلقيس ملكة سبأ، وزنوبيا ملكة تدمر، وزبيبة وشمسي ملكات قيدار، ومناصب كبيرة لا سيما عند الأنباط"

وحول قصة الوأد التي ذكرها القرآن وتم إلصاقها بالعرب قبل الإسلام، تقول الدكتورة نهى سيلين[279] قضية الوأد هي قضية مُسلّم بها عند المسلمين. لكن في الواقع هذه القضية مشكوك فيها أصلا، فلقد كتب الدكتور مرزوق بن تنباك أستاذ الأدب بجامعة الملك سعود بالرياض حول مسألة وأد البنات في الجاهلية، حيث قال أن العرب بُغي عليهم بوصفهم بهذا العمل نحو البنات، وتناول [280]الأسباب التي أدت إلى قتل الفتيات الصغيرات عند الجاهليين من العرب، وبحث من خلال هذه الدراسة عن سر اختيار أولئك لطريقة القتل من خلال عملية الدفن ثم لماذا تُدفن وهن أحياء؟ بمعنى لماذا لم يختر لهن طريقة غير الدفن؟ لكن المثير في الموضوع هو تشكيك المؤلف في حقيقة الوأد ونفي حدوثه من خلال ما جاء في بعض الروايات التي أثبتت عكس ذلك،وقد تحدث في أحد عشر موضوعا ما يثبت عدم تحقق قضية الوأد. وقال د. مرزوق أن أسطورة «الوأد» وردت في التراث العربي الديني بدون تحقيق علمي يذكر، وهي في الحقيقة وهم أدخلته الثقافة الإجتماعية نتاجا لفهم محدود لدى بعض الوعاظ والمفسرين ولاتوجد حوله آية آيات موثقة.

وفي رأيي لو كانت عادة وأد البنات منتشرة بالصورة التى صورها الموروث الاسلامي لنا لما بقيت أنثى واحدة في جزيرة العرب ولإندثر البشر في تلك البقعة من العالم.يعني كيف سيتكاثر الناس من دون نساء؟

---

[278]هتون أجواد الفاسي كتاب "المرأة في الجزيرة العربية قبل الإسلام: الأنباط

[279]نهى سلين مقال نشر عبر موقع الحوار المتمدن بتاريخ 25/10/ 2011

[280]الدكتور مرزوق بن تنباك كتاب «الوأد عند العرب بين الوهم والحقيقة»

وهناك سؤال منطقي يطعن في صحة الإدعاء بأن العرب كانوا يؤدون البنات وهو أن العرب كانوا يعبدون الألهة "الأنثى" اللات والعزة ومناة فكيف لقوم يعبدون النساء أن يقتلوا بناتهم خشية العار؟ قضية الوأد ماهي إلا تلفيق من دعاة تكريم الإسلام للمرأة لإضفاء شيء من المصدقية على إدعائتهم.

قضية الميراث في الإسلام من أبرز مظاهر إحتقار الإسلام للمرأة بينما تعتبر عند المسلمين من أهم مكتسبات المرأة في الإسلام. للتذكير فقط يٌقال أن العرب في "الجاهلية"، لم يكن لهم نظام إرث مستقل أو خاص بهم، لكن العرف السائد كان يحرم النساء من الميراث. وفي حالات قليلة كان منهم من يورث الإناث ويسويهن بالذكور في النصيب. فهند بنت عتبة زوجة أبي سفيان كانت تملك مالها الخاص وحق التصرف به بدليل توجيه عبدها وحشي لقتل حمزة ثم إعتاقه بعد أن وفى بوعده. أيضا خديجة زوجة محمد كانت تملك مالا كثيرا، وكانت لها تجارة بينها وبين أهل الشام. فمن أين لهما هذا المال لم ترثاه؟ وهذا يدل على أن توريث النساء كان موجودا عند عرب الجاهلية.

أيضا قد بينت الآثار المصرية القديمة ، أن نظام الميراث عندهم كان يجمع بين كل قرابة الميت من آباء وأمهات، وأبناء وبنات، وأخوة وأخوات، وأعمام، وأخوال وخالات، وزوجة، فكلهم يتقاسمون التركة بالتساوي لا فرق بين كبير وصغير ولا بين ذكر وأنثى.

أما شريعة المواريث في اليهودية لقد تكلم العهد القديم عن نظام الميراث بين الأقارب. مثلا ووفقا النص[281]ترث البنت إذا لم يكن للأب ذكور: "وَتَقُول لِبَنِي إِسْرَائِيل: أَيُّمَا رَجُلٍ مَاتَ وَلَيْسَ لهُ ابْنٌ تَنْقُلُونَ مُلكَهُ إِلى ابْنَتِهِ".

في حين أن الميراث الإسلامي مجحف بحق المرأة فهو أن لم يكن للرجل أبناء ذكور يدخل أخوته الرجال مع بناته في الميراث.

وهذا إن دل على شيئ إنما يدل على أن الإسلام لم يأتي بجديد أو بتشريع فريد من نوعه في قضية الميراث، فهو ليس بالأحسن، بل هو أسوء من عدة أنظمة وشرائع كانت متواجدة في عصره وقبل عصره.

---

[281]سفر العدد27

لا نستطيع أن نُقيم ماقدمه الإسلام للمرأة إلا من خلال تحليل مكانة المرأة في الحضارات السائدة في عهد ظهور الإسلام. لقد حاول ويحاول شيوخ الإسلام إلى يومنا هذا أن يثبتوا لنا أن حقوق المرأة كانت مغيبة وأن الإسلام أتى وأعطاها كل الحقوق التي لم تكن تحلم بها المرأة العربية في ذلك الحين ورفع منزلتها.

لكن هل إنفرد الإسلام عن باقي الأديان والحضارات في حقوق المرأة؟ كانت المرأة في الإمبراطورية الرومانية (527 -أوائل القرن الثامن) حتى مجيء هرقل في 610م تحتل أهم المراتب السياسية و حتى الدينية. شكلت الإمبراطورية البيزنطية استمرارا مباشرا للامبراطورية الرومانية لكن ومع الوقت بدأت الامبراطورية تبتعد عن أصولها الرومانية. فجمعت بين القانون الروماني والثقافة الهيلينية (الاغريقية) والإيمان المسيحي.

نص القانون الروماني [282]على المساواة بين المرأة والرجل، على سبيل المثال:

المساواة في الميراث.
يجب على الرجل أن يؤدي واجباته الزوجية.
الأرملة لها كامل الحق في ممتلكاتها.
شهادتها كانت مقبولة في المحكمة.
وصلت المرأة إلى مرتبة الشرف.
وصلت المرأة الى مرتبة القداسة.
يجوز للنساء من العائلة الامبراطورية أن تلعب دورا هاما في الحكومة
بعض النساء يعرفن القراءة والكتابة.

مكانة المرأة في الإمبراطورية الساسانية (الاسمُ استعملَ للإمبراطورية الفارسية الثانية (226-651 م)).

ففي الفترة الساسانية كانت تُقسم النساء إلى فئتين:

1-المرأة الحرة والتى كانت تتمتع بكل الحقوق والمسؤوليات القانونية مثل:

توقيع العقود، تسديد ديونها، لها الحق في الميراث.

---

[282] كتاب مبادئ القانون الروماني تاريخه و نظمه د. محمد عبد المنعم بدر

2- المرأة المملوكة والتي لا تتمتع بأي حق إنما واجبها طاعة سيدها.

فماهي حقوق المرأة في الإسلام؟

لنرى بعض حقوق المرأة في الإسلام وسنحاول في هذا البحث أن نجمع قدر المستطاع من هذه الحقوق: و هي حق التملك، والإجارة، والبيع، والشراء، وسائر العقود، والميراث.

ورأينا سابقا أن النساء الغير المسلمات (العربيات، اليهوديات، البيزنطيات، والفارسيات) في عهد ظهور الإسلام كان لهن هذه الحقوق أي أن الإسلام لم يأتي بجديد.

بعد هذه الجولة السريعة نلاحظ أن المرأة في تلك العصور لم تكن مظطهدة بالصورة الذي يريدون فقهاء الإسلام أن يصورها لنا، ولم تكن محرومة من حقوقها وأتى الإسلام وأنقذها وكرمها بل كانت وضعية المرأة تعكس الزمن والمكان والمجتمع الذي كانت تعيش فيه، فلم تكن في أسوء حال، لذا من المضحك أننا نسمع الاسطوانة المشروخة "الإسلام كرم المرأة ورفع منزلتها"، الإسلام تعامل مع المرأة حسب العرف الذي كان سائدا في قريش، هو لم يأتي بجديد. فمن السذاجة أن نرى أن الإسلام أتى بثورة حقوق للنساء أو أن الإسلام كرمها كما يتشدق به شيوخ الإسلام.

مكانة المرأة في الإسلام

إنّ نظرة الإسلام للمرأة هي نظرة دونية وغير تكريمية بتاتا، بل الإسلام هو نظام رجولي، بحيث وضع المرأة تحت هيمنة ومراقبة الرجل باعتبارها أقل درجة منه والقرآن الكتاب المؤسس للإسلام يعترف بهذا صراحة:

(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى)آل عمران (36)

(وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)البقرة (228)

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء)النساء(34)[283]

هذه الآيات تُظهر جليا اللامساواة بين الرجل والمرأة وعليه كانت:

[283] أيات من النص القرآني

شهادتها لاتعادل شهادل الرجل (تقريبا كل الدول العربية تطبق هذا الشرع الإسلامي).

ميراثها لايعادل ميراث الرجل (تقريبا كل الدول العربية تطبق هذا الشرع الإسلامي).

إعتبار دية المرأة نصف دية الرجل.

الرجل قوام عليها (أي بمعنى الرجل هوالمسؤول عن المرأة لأنها قاصرة.وهذا المبدأ تُّطبقه السعودية لحد الأن على النساء).

إباحة ضرب الرجل لها لأنه يعرف مصلحتها.

في البدء جاء خطاب القرآن ذكوريا لا يخاطب إلا الرجال ويتجاهل أنّ نصف المجتمع يتكون من النساء. المرات الوحيدة التي خاطب فيها القرآن المرأة كانت عندما خاطب نساء النبي فقال لهن (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) و(قرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى...وبقية الآيات). وكل المخاطبة بعد ذلك كانت للرجال، حتى عندما يستعمل كلمة "الناس" يقصد بها الرجال فقط، كأنما النساء لا ينتمين لمجموعة الناس، فالقرآن يقول (زُيّن للناسِ حُبُ الشهواتِ من النساء) آل عمران. فمن الواضح هنا أنه يقصد الرجال فقط وسماهم "الناس". وعندما يخاطب المؤمنين يعني الرجال (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الممتحنة. ومع ذلك لا يمل الشيوخ ومن سار في ركبهم من ترديد عبارة (الإسلام كرّم المرأة واعزّها) بينما الواقع النظري والعملي يثبت لنا غير ذلك. فالإسلام في حقيقته قد أذل المرأة في كل المحاور.

نأخذ أمثلة من ذلك :

-كرامة المرأة

منذ الصغر تُسلب المرأة المسلمة من كرامتها وتعامل كمواطن من الدرجة الثانية. فعقيقة البنت (الوليمة التي تقام عند تسميتها) تُذبح فيها شاة واحدة بينما عقيقة الصبي شاتان، كما جاء في حديث ابن عباس [284](وقوله عن الجارية شاة وعن الغلام شاتان) أخرجه أبو داود. وحتى بول البنت الصغيرة يكون أكثر نجاسةً من بول

[284] راجع موقع اسلام ويب شرح حديث عن الغلام شاتان تاريخ النشر 19-05-2019

الصبي، فقد فرّق بعضهم بين بول الذكر في ذلك والأنثى، فقالوا: (يُنضح بول الذكر ويغسل بول الأنثى).[285]

أي يُرش الماء على بول الصبي فيطهر الثوب، ولكن إذا بالت الانثى على الثوب فلا بد أن يُغسل ليطهر. وليس هناك أي سبب علمي لهذه التفرقة غير اضطهاد الانثى لأن بول البنت لا يختلف عن بول الصبي من ناحية التركيبة الكيماوية أي المواد الموجودة بالبول وبالتالي النجاسة.

وعندما تبلغ البنت سن التاسعة يجوز لأبيها أن يزوجها وهي كارهة. يقول المباركافوري (اخْتلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَزْوِيجِ الأَبْكَارِ إِذَا زَوّجَهُنّ الآبَاءُ. فَرَأَى أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَغَيْرِهِمْ، أَنّ الأبَ إِذَا زَوّجَ الْبِكْرَ وَهِيَ بَالِغَةٌ، بِغَيْرِ أَمْرِهَا، فَلَمْ تَرْضَ بِتَزْوِيجِ الأبِ، فالنكَاحُ مَفْسُوخٌ. وَقالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: تَزْوِيجُ الأبِ عَلَى الْبِكْرِ جَائِزٌ، وإِنْ كَرِهَتْ ذلِكَ. وهُوقَوْلُ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ والشّافِعِيّ وأحْمَدَ وإِسْحَاقَ.)[286]

فالمالكية والشافعية والحنابلة يقولون بزواج البكر وهي كارهة. وإذا طلق الرجل زوجته له الحق في إرجاعها بدون رضاها (وأجمع المسلمون على أن الزوج يملك رجعة الزوجة في الطلاق الرجعي ما دامت في الغدة من غير اعتبار رضاها لقوله تعالى (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك)).[287]

شهادة المرأة نصف شهادة الرجل لأنها ناقصة عقل ودين ومحتمل أن تنسى حتى وإن حدثت الجريمة قبل ساعة واحدة، ولذلك لا بد من امرأة أخرى معها لتذكرها. والمرأة المسلمة لا يجوز لها أن تشهد في القضايا التي تستوجب الحدود مثل قطع اليد أو الرجم لأن شهادتها لا يعتد بها.

وبالطبع لا يجوز للمرأة أن تؤم الصلاة ولا أن تكون قاضية ولا أن تقود أمتها لأن الحديث يقول (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رغم أن إنكلترا تولت زمامها مارجريت ساتشر أكثر من عشر سنوات ونجحت. وكذلك بنغلاديش وسريلانكا ونيوزيلندة والهند و ألمانيا وغيرها كثير.

---

[285] بدآية المجتهد ونهآية المقتصد لابن رشد القرطبي، ج1، ص 61

[286] المباركافوري تحفة الأحوذي، باب النكاح 755

[287] المغني، كتاب الإيلاء، ص 409

وصلت النساء الى أعلى المناصب فى دول الكفار بينما يقول محمد:

هلكت الرجال حين إطاعت النساء.[288]

ولما بلغ الرسول محمد أن فارسا ملكوا إبنة كسرى قال: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة. [289].

-الحياة الأسرية

وَضع الإسلام الطلاق بيد الرجل كما كانت العادة في الجاهلية. ولم يطلب الإسلام من الرجل أن يُبيّن سبب الطلاق. فهو حر في النطق بالطلاق متى شاء، حتى و إن حلف بالطلاق على صديقه أن يفعل شيئا ورفض الصديق أن يفعله، يطلق المسلم زوجته دون ذنب جنته. وبالطبع لأن الرجل يحل له أن يتزوج أربعه نساء وعدد لا يُحصى من ملك اليمين، غير زواج المتعة، فطلاق امرأة واحدة لا يؤثر عليه شيئا بينما المرأة المسكينة المطلقة لا تأمل في الزواج من رجل أخر خاصةً إذا عرفنا أن زوجها الأول له الأفضلية في إرجاعها إليه في فترة العدة حتى بدون رضاها.

والمرأة المسلمة ليس لها الحق في التصرف في جسدها كما تهوى. فهي ملك الرجل ويجب عليها أن تُلبي طلبه إلى ممارسة الجنس متى شاء، وليس لها الحق في الرفض حتى وإن كانت مريضة. فعن أبي هريرة أن النبي قال (إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح)[290]. وعن ابن عباس أن امرأة سألت النبي: ما حق الرجل على امرأته، قال: (لا تمنعه نفسها وإن كانت على رأس قتيب)[291]. وما هو حق المرأة على زوجها؟ أن يجامعها مرة واحدة كل أربعة أشهر.[292]

ثم نأتي إلى حضانة الأطفال عندما يطلق الرجل زوجته. فالزوجة المطلقة لها الحق في حضانة الصبي إلى سن السابعة والبنت إلى سن التاسعة ثم يأخذهم الأب. أما إذا

---

[288] مختصر المقاصد محمد بن عبد الباقي الزرقاني - 1157 الدرجة: صحيح

[289] صحيح البخاري - 4425 الدرجة: صحيح

[290] الشيخين كتاب صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الحديث باب اذ دعا أحدكم امرأته للفراش 1686

[291] أحكام النساء، ص 210

[292] الموسوعة الكويتية، باب الجماع.

تزوجت المرأة المطلقة رجلاً أخرا بعد انقضاء العدة فتفقد حق الحضانة حتى إن كان عمر أطفالها عاما واحدا.

-القصاص والحدود

الإسلام لا يساوي بين المرأة والرجل حتى في كيفية إقامة الحدود. فإذا أخذنا مثلاً حد الرجم للزانية والزاني، يقول الفقهاء إن المرأة يجب أن تُحفر لها حفرة حتى صدرها وتُنزل فيها ثم تُرجم بالحجارة، بينما الرجل يقف وسط الراجمين الذين يرمونه بالحجارة، وإن تمكن من الهرب منهم فقد نجا بحياته. أما المرأة التي تأتي الفاحشة فيقول عنها القرآن (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا). أما الرجال الذين يأتون الفاحشة فيقول عنهم (والذان يأتيانها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيما)[293]. وقال الفقهاء الإيذاء يكون بالضرب بالنعال. فكان الله تواباً رحيما للرجال أما النساء فيجب أن يسجن بالبيوت إلى أن يتوفاهن الموت، فلا توبة لهن ولا رحمة.

ودية المرأة التي تُقتل نصف دية الرجل[294]. أما إذا قتل الرجل زوجته فلا دية عليه ولا قصاص لأن امرأته من أملاكه، كما يقول الزهري:

(لا يقتل الزوج بامرأته لأنه ملكها بعقد النكاح فأشبه الأمة).

مظاهر إهانة المرأة في الإسلام:

المرأة في الإسلام هي فتنة قال رسول الإسلام : (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء) البخاري[295]، فقد وصفهن بأنهن فتنة على الرجال، فكيف يجمع بين الفاتن والمفتون في مكان واحد؟

يتشدق الكثير من شيوخ الإسلام أن النساء ناقصات عقل ودين مستندين عن حديث لمحمد يقول فيه:

---

[293] سورة النساء الآية 15 و الآية 16

[294] فتاوى ابن باز، ج5، ص 183

[295] أخرجة البخاري كتاب النكاح باب ما يتقى من شؤم المرأة 7-8 رقم 5096

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى، أو فطر، إلى المصلى، فمر على النساء، فقال : يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار. فقلن: ولم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل. قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس. إذا حاضت لم تصل ولم تصم. قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها.[296]

هل يعقل للرسول أن يقول كلام جريح مهين للمرأة كإنسان بهذا الأسلوب وعن نقصان الدين ما ذنب المرأة في "حيضها" هل هذا ينقص من دينها ألم يخلقها الله بهذه الصفة فكيف يقلل من قيمتها بشيء هوصنعه؟

لا يكتفي الإسلام بإتهام المرأة بالنقصان بل هو يساوي بينها وبين الكلب والحمار:

يقطع الصلاة المرأة والحماروالكلب. [297]

يقطع الصلاة إذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فإنه يقطع صلاته: المرأة والحمار والكلب الأسود قال قلت: يا أبا ذر، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ فقال يا ابن أخي، إني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال الكلب الأسود شيطان.[298]

لمس المرأة كلمس الغائط: (وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوعَلَى سَفَرٍ أَوجَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَولاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً) (المائدة: 6).

الشيطان ملازم للمراة لأنها عورة ويفضل ألا تخرج من بيتها: المرأة عورة، وإنها إذا خرجت استشرفها الشيطان، وإنها لتكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها.[299]
وفي الإسلام عندما يتزوج الرجل يكون دعائه مثل دعاء شراء الجمل:

---

[296]صحيح البخاري - 307 الدرجة: صحيح

[297]المرجع السابق - 511 الدرجة صحيح

[298]صحيح ابن ماجه - 786 الدرجة: صحيح

[299] السلسلة الصحيحة للألباني حديث رقم 2688 الدرجة: صحيح

إذا تزوج أحدكم امرأة أواشترى خادما أو جمل فليقل اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلتها عليه وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك.[300]

لا تقبل صلاة المرأة إن عصت زوجها ورد في الأقر :ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم العبد الآبق حتى يرجع وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وإمام قوم وهم له كارهون.[301]

كما ورد عن الرسول يأمر فيه النساء بالسجود لأزواجهن: لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، والذى نفسى بيده، لوأن من قدمه إلى مفرق راسه قرحه تنبجس بالقيح والصديد، ثم أقلبت تلحسه، ما أدت حقه.[302]

ويجب على المرأة طاعة زوجها وإلا لعنتها الملائكة: اذا دعا رجل امرأته إلى فراشه، فأبت فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح.[303]

لا يجوز لها الحق السؤال إن ضربها زوجها:

لا يسأل الرجل فيما يضرب امرأته.[304]

لا يجوز لها طلب الطلاق من زوجها وإلا:

أيما سألت المرأة زوجها طلاقا من غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة.[305]

المرأة ووفق التشريع الإسلامي يجوز حبسها حتى الموت:

(وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْيَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) سورة النساء آية 15

---

[300] سنن بن داود حديث رقم 2160الدرجة: صحيح

[301] شرح سنن الترمذى - 193

[302] صحيح البخاري حديث رقم 7725

[303] المرجع السابق حديث رقم 3237

[304] سنن أبى داوود حديث رقم 2147

[305] صحيح الترمذى - 1187

تفسير الطبرى: واللاتي يأتين الفاحشة والنساء اللاتي يأتين بالزنا، أي يزنين "من نسائكم" وهن محصنات ذوات أزواج أوغير ذوات أزواج فاستشهدوا علهن أربعة منكم، يقول: فاستشهدوا عليهن بما أتين به من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم، يعني: من المسلمين "فإن شهدوا" عليهن فأمسكوهن في البيوت، يقول: فاحبسوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت، يقول: حتى يمتن أويجعل الله لهن سبيلا، يعني: أويجعل الله لهن مخرجا وطريقا إلى النجاة مما أتين به من الفاحشة. كما ورد في موضع أخر[306] : (فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أويجعل الله لهن سبيلا): وهذا كان في أول الإسلام قبل نزول الحدود، كانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، ثم نسخ ذلك في حق البكر بالجلد والتغريب، وفي حق الثيب بالجلد والرجم.[307]

ويحق للرجل أن يضرب زوجته فى حال نشوزها:

(وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ).[308]

أما إذا خافت المراة نشوز زوجها فعليها أن تتنازل عن حقها من أجل إرضائه:

(وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوإِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) سورة النساء آية 128

ولقد نزلت تلك الآية فى حق سودة بنت زمعة: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى سَوْدَةَ بِطَلَاقِهَا، فَلَمَّا أَتَاهَا جَلَسَتْ عَلَى طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ، قَالَتْ: أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَابَهُ وَاصْطَفَاكَ عَلَى خَلْقِهِ لِمَ طَلَّقْتَنِي، أَلِمَوْجِدَةٍ وَجَدْتَهَا فِيَّ؟ قَالَ: "لا"، قَالَتْ: فَإِنِّي أَنْشُدُكَ بِمِثْلِ الأُولَى أَمَا رَاجَعْتَنِي وَقَدْ كَبِرْتُ وَلا حَاجَةَ لِي فِي الرِّجَالِ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُبْعَثَ فِي نِسَائِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَرَاجَعَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي وَلَيْلَتِي لِعَائِشَةَ حَبَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

[306] تفسير البغوي معالم التنزيل

[307] تفسير الطبري تفسير سورة النساء

[308] سورة النساء الآية 34

رسول الأخلاق لم يشفع لسودة التى كبرت إلا عندما تنازلت عن كل حقوقها الزوجية، هل التخلص من امرأة لأنها سنت عمل يقوم به رجل شريف؟ فما بالك بنبى الأمة الذى يدعى أنه على خلق عظيم وأتى لكي يتمم مكارم الأخلاق؟ هل هذا معقول؟

النساء حسب الإسلام هن أكثر أهل النار:

ثبت عن محمد أنه قال أن النساء هن أكثر أهل النار.فعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ)[309]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ) قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (بِكُفْرِهِنَّ) قِيلَ : يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ، قَالَ: (يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ لَوأَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ).[310]

يتضح من هذا السرد أن الإسلام لا يعز المرأة ولا يكرّمها كما يدعون. الشيء الوحيد الذي يقولونه في تكريم المرأة هو الآية التي تقول (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سأَلَتْ بِأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَت)[311]والوأد ما هوإلا إدعاء كاذب. هم حتى اليوم يدفنون المرأة في العباءة والحجاب والنقاب،المرأة في المجتمعات الإسلامية باتت شبه مغيّبة عن العالم كمن دُفن في الأرض ، ممنوع عليها سياقة السيارة والخروج من البيت محرم عليها السفر وبالكاد يسمح لها بالتعليم في مراحله الإبتدائية فقط. المرأة موؤدة صغيرة وموؤدة كبيرة.و كل من ينادي بتحرير المرأة يوصف بالدياثة

فهل من صوت للعقل يدعو لإلغاء النصوص التي تهين المرأة في الإسلام وتعويضها بالتشريعات الحديثة؟

---

[309]البخاري 3241 ومسلم 2737

[310] البخاري 1052

[311] سورة التكوير الآية 8

2-الإسلام والأسرة

هل يبشر الإسلام ببناء أسرة مترابطة؟

هل من مفهوم الأسرة في الإسلام؟

لنبدأ بالتعريف اللغوي للأسرة:تطلق كلمة الأسرة على الجماعة التي يربطها رابط مشترك، يقال أسره أسرا أي قيده وأخذه أسيرا،ويحمل معنى الأسر في اللغة على التماسك والقوة،وأسرة الرجل،عشيرته ورهطه الأدنون،لأنه يتقوى بهم.

حاول العديد من الفلاسفة وضع تعريف شامل للأسرة ونذكر البعض منهم:

تعريف الأسرة حسب بل وفوجل: الأسرة هي وحدة بنائية، تتكون من رجل وامرأة يرتبطان بطريقة منظمة اجتماعية مع أطفالهم ارتباطاً بيولوجياً أو بالتبني.

يعرف ميردوك الأسرة على أنها: جماعة اجتماعية تتسم بمكان إقامة مشترك، وقد تتعرض إلى مشاكل اقتصادية و وظيفة تكاثرية تمد المجتمع بأفراد لهم بصمات واعدة على ترابها.

أما تعريف الأسرة حسب هارولد كريستنس: الأسرة هي مجموعة من المكانات والأدوار المكتسبة من خلال الزواج.

وعرفها بوجاردس: الأسرة هي جماعة اجتماعية صغيرة، تتكون عادة من الأب والأم و ابناء، يتبادلون الحب ويتقاسمون المسؤولية، وتقوم بتربية الأطفال حتى يمكنهم من القيام بتوجيهم وضبطهم ليصبحوا أشخاص يتصرفون بطريقة اجتماعية.

أما تعريف رينيه كوينج: الأسرة هي جماعة من نوع خاص، يرتبط أفرادها بعلاقة الشعور الواحد المترابط و المساعدة المتبادلة، ويسهم أفراد واعين أصحاء في بنائها وتطويرها وإخراجها للمجتمع.

كذلك عرفها أرنست بيرجس: الأسرة هي مجموعة من الأشخاص ارتبطوا بروابط الزواج أوالدم أوالتبني، مكونين الحياة الاجتماعية كل مع الأخر، ولكل من أفرادها دور اجتماعي خاصة به، ولهم ثقافة مشتركة ومميزة.

تعريف الأسرة حسب أوجبرن ونيكوف: الأسرة هي رابطة اجتماعية صغيرة، تتكون من زوج وزوجة وأطفالهم أوبدون أطفال، أو زوج بمفرده مع أطفاله أو زوجة بمفردها مع أطفالها.[312]

وعن الأسرة و بالرجوع لتعريف قاموس الإجتماع: الأسرة هي جماعة بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة يقوم بينهما روابط زواجية.

وبعد دراسة هذه التعاريف المختلفة لمفهوم الأسرة نستنتج أن الأسرة عبارة عن وحدة ثنائية تتكون من رجل وامرأة تربطهما علاقات روحية متماسكة مع الأطفال والأقارب ويكون وجودهما قائما على الدوافع الغريزية والمصالح المتبادلة والشعور المشترك الذي يتناسب مع أفرادها وهذا ما ذهب إليه ماكيفر[313].

تنقسم الأسرة إلى قسمين:

الأسرة النواة أو الأسرة المصغّرة: تتكون من زوج وزوجة والأولاد.

الأسرة الممتدة: تتكون من جد وجدة والأولاد والأحفاد.

الأسرة النواة:هي الأسرة المكونة من الزوجين وأطفالهم وتتسم بسمات الجماعة الأولية، وهي النمط الشائع في معظم الدول الأجنبية وتقل في أغلب الدول العربية، وتتسم الوحدة الأسرية بقوة العلاقات الاجتماعية بين أفرادها بسبب صغر حجمها، كذلك بالإستقلالية في المسكن والدخل عن الأهل، وهي تعتبر وحدة اجتماعية مستمرة لفترة مؤقتة كجماعة اجتماعية، حيث تتكون من جيلين فقط وتنتهى بانفصال الأبناء ووفاة الوالدين، وتتسم بالطابع الفردي في الحياة الإجتماعية.

الأسرة الممتدة:هي الأسرة التي تقوم على عدة وحدات أسرية تجمعها الإقامة المشتركة والقرابة الدموية، وهي النمط الشائع قديما في المجتمع ولكنها اليوم منتشرة في المجتمع الريفي،انهيارت أهميتها في المجتمع الحديث نتيجة تحوله من الزراعة إلى الصناعة.

---

[312] موقع موضوع . تعريف الأسرة

[313]مفهوم الأسرة عند ماكيفر

تنقسم الأسرة الممتدة الى نوعين : أسرة ممتدة بسيطة تضم الأجداد والزوجين والأبناء وزوجاتهم، وأسرة ممتدة مركبة تضم الأجداد والزوجين والأبناء وزوجاتهم والأحفاد والأصهار والأعمام، وهي تعتبر وحدة اجتماعية مستمرة لما لا نهآية حيث تتكون من ثلاثة أجيال وأكثر، وتتسم بمراقبة أنماط سلوك أفرادها والتزامهم بالقيم الثقافية للمجتمع، وتعد وحدة اقتصادية متعاونة يرأسها مؤسس الأسرة، ويكتسب أفرادها الشعور بالأمن بسبب تقارب العلاقات الاجتماعية بين مختلف عناصرها.

الأسرة المشتركة:هي الأسرة التي تقوم على عدة وحدات أسرية ترتبط من خلال خط الأب أوالأم أوالأخ والأخت، وتجمعهم الإقامة المشتركة والالتزامات الاجتماعية والاقتصادية.

الأسرة الاستبدادية والأسرة الديمقراطية:

ينتشر نمط الأسرة الديمقراطية في المجتمعات المتقدمة والصناعية، وهي أسرة تقوم على أساس المساواة والتفاهم بين الزوجين، فلا يتمتع أحد الزوجين بسلطة خاصة على الأخر.

أما الأسرة الاستبدادية: فتقوم على سيطرة الأب على الأسرة واعتباره مركز السلطة المطلقة داخلها، ولا تمتلك الزوجة شخصيتها الاجتماعية أو القانونية.

تقوم الأسرة بعديد الوظائف الضرورية لضمان إستمرار المجتمع. ورغم المحاولات العديدة لإنتزاع وظائف الأسرة بسبب التطور الذي شهدته البشرية أو نتيجة لبعض الإيديولوجيات، إلا أنه ما تزال الأسرة المؤسسة الأولى في التنشئة الإجتماعية، ومن هنا يمكن تحديد بعض الوظائف التي تقوم بها الأسرة بشيء من التفصيل كما يلي:

الوظيفة البيولوجية: وتتمثل في توفير الرعآية الصحية والجسدية للأطفال داخل الأسرة وتوفير الغذاء الصحي والمسكن الصحي للأفراد في العائلة لينعم الأبناء والآباء بجسم سليم وعقل سليم.

الوظيفة الاجتماعية: وظيفة التنشئة الاجتماعية وتهيئة الطفل للإندماج في المجتمع.
الوظيفة الثقافية: غرس الوعي بالمحيط في شخصية الطفل.

الوظيفة النفسية: هي أن توفر الأسرة للأبناء الراحة النفسية بتوفير الحب والحنان والأمن والسلام بحيث يعيش الأبناء في جو من الهدوء دون توتر أوقلق من أي خطر قد يحيط بهم.

الوظيفة التعليمية: تتقاسم الأسرة هذه الوظيفة مع مختلف المؤسسات التي لها صبغة تربوية كالمحاضن والرياض والمدارس.

الوظيفة الاقتصادية : عرف عن الأسرة قديما بالاكتفاء الذاتي وإنتاج ما تحتاجه،وما تزال الأسرة حاليا تشارك في عمليات الإنتاج من خلال أفرادها، فتمد الأسرة مختلف مجالات العمل والمصانع بالأيدى العاملة. وهي من أهم العوامل لاستقرار الاسرة فكلما كانت حالة الاسرة الاقتصادية جيدة كلما كان هناك شعور بالرضا بين أضلع مثلث الأسرة (الأب، الأم، الأبناء).

الوظيفية الأخلاقية: من أهم وظائف الأسرة أن تغرس في نفوس أبنائها حب الخير والتماشي مع قيم المجتمع واحترام حقوق الإنسان والتفاعل الإيجابي مع الآخرين وإذا لم يمتثل الطفل فهناك جانب ردعي يعلم من خلاله أن هناك قوانين اجتماعية لا يمكن تجاوزها،ولا بد أن تشترك الأسرة مع المدرسة والمجتمع في عملية التطبيق الاجتماعي للطفل، والأسرة هي الجماعة الإنسانية الأولى التي يتعامل معها الطفل والتي يعيش معها السنوات التشكيلية الأولى من عمره هذه السنوات التي يؤكد علماء النفس والتربية أن لها أكبر الأثر في تشكيل شخصيته تشكيلاً يبقى معه بعد ذلك بشكل من الأشكال.

الأسرة باعتبارها الخلية الأساسية في المجتمع، تعكس ما يتصف به من حركية ومن تماسك أو تفكك،ومن قوة أو ضعف ومن تقدم أو تخلف فالأسرة هي التي تمد المجتمع بمختلف الفئات النشيطة فهي تؤثر فيه وتتأثر به فبصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد.

تعتمد الأسرة في حياتها على الترابط والتكافل وحسن المعاشرة والتربية الحسنة، وحسن الخلق ونبذ الآفات الإجتماعية.

من أسباب إختلال نظام الأسرة الخلافات والمشاكل التي تقوم بين الزوجين ويستحيل معالجتها، فبختلال نظام الحياة الأسرية يغيب الإستقرار والمودة، ويسود العنف والقهر والطلاق، فتتفكك الأسرة ويتشرد الأطفال.

ومن هنا سنبحث في أسباب إنهيار مفهوم الأسرة حسب المفهوم الإسلامي واستحالة إقامة أسرة متوازنة وفق النظام الأسري في الإسلام.

الأسرة في الإسلام وفق الشريعة الإسلامية لا تتكون من أب وأم بل هي تتكون من أب وأربع زوجات أوأكثركما يؤكد ذلك النص القرآني:

" وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ".[314]

ولا ينحصرعدد النساء اللواتي على ذمة الزواج بأربع نساء بل له الحق في إمتلاك الجواري من الواحدة حتى الألف بالتالي هنا ينتفي نهائيا مفهوم الأسرة وفق التعريف الإجتماعي ونحن نتحدث عن "زوج وحريم".

الأسرة في الإسلام هي بيئة إستبدادية السلطة فيها للأب الذي يتحكم في الجميع، تحركاتهم، تصرفاتهم، هو الرقيب العتيد.

لا يحق للزوجات النقاش أو طرح الأسئلة.

للزوج أن يتزوج من يشاء متى شاء وأن ينام مع من يريد حتى أن الرسول محمد كان يعيش بهذه الطريقة مع زوجاته التسع وجواريه وهنا نذكرقصته مع زوجته حفصة والجارية مارية القبطية حيث كانت ليلة حفصة لكنه لم يجدها في البيت فضاجع الجارية مارية.

حدث يوم أن حفصه قد غابت عن بيتها لأمر ما وعندما عادت وجدت محمد يضاجع إحدى سراريه وهي مارية القبطية على فراشها، فجن جنون المسكينة عندما وجدت زوجها في وضع الخيانة الزوجية، ثم قالت لزوجها : (في يومي وفي بيتي وعلى فراشي).فقال لها محمد: (أما ترضين أن أحرمها على نفسي؟ قالت: بلى). ثم حلف لها ألا يقربها على نفسه.[315]. كنا قد فصلنا هذه القصة في باب حفصة.

الرسول محمد فشل في تكون أسرة مترابطة والروايات الواردة في الآثر تؤكد ذلك فبيت النبوة كان بيت مشاكل وفتن بين نساء الرسول وبناته وهذا أمرطبيعي فكيف

---

[314] سورة النساء الآية 5

[315] السيرة الحلبية ج 2 ص215

برجل أن يجمع بين تسع نساء زد على ذلك جواريه وبناته من الطبيعي أن تكثر المشاكل بينهم ويشتد الصراع على السلطة وهذا الصراع كان بارز بين عائشة ابنة أبوبكر وحفصة ابنة عمر كما كان مشتدا بين فاطمة بنت محمد و خديجة وبين عائشة ولاتزال أثار هذا الصراع مستمرة حتى اليوم بين السنة والشيعة.

الصراع الذي كان دائرا في بيت النبوة بين نساء محمد كان له تأثيره الواضح على سير الدعوة المحمدية بل وكان له تأثير على نزول الوحي فالكثير من الآيات نزلت خصيصا لتفصل بين محمد وزوجاته حتى أن "الله" كان يتدخل لوضع حد للمشاكل الزوجية في أسرة محمد كقصة تطليق محمد لحفصة وطلب الله منه أن يرجعها وقصة تآمر زوجاته على "مارية" التي اقسم ألا يأكل عندها المغافير ثم أخبره الله أن عائشة كانت تتآمر عليه بسبب غيرتها.

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن آل بيت النبي محمد كانوا يشكونا الفقر والجوع وهذا ما دعاهم للإحتجاج على النبي وقد تدخل الوحي للفصل في هذه الحادثة فقال الله لزوجات محمد أنهن لسن ككل النساء فمن تريد منهن الأخرة فلتبقى مع محمد ومن تريد الدنيا وزينتها يطلقها وربما يكون مصيرها جهنم في الأخرة ورد في القرآن :

(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا (28) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما).[316]

في تفسير الآية ذكر عن أبي الزبير، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يخرج صلوات، فقالوا : ما شأنه ؟ فقال عمر: إن شئتم لأعلمن لكم شأنه، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فجعل يتكلم ويرفع صوته، حتى أذن له، قال: فجعلت أقول في نفسي أي شيء أكلم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعله يضحك، أوكلمة نحوها، فقلت: يا رسول الله، لورأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها صكة، فقال: ذلك حبسني عنكم. قال: فأتى حفصة، فقال: لا تسألي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا، ما كانت لك من حاجة فإلي، ثم تتبع نساء النبي - صلى الله عليه وسلم -، فجعل يكلمهن، فقال لعائشة: أيغرك أنك امرأة حسناء، وأن زوجك

[316] سورة الأحزاب الآية 27-29

يحبك؟ لتنتهين، أولا ينزلن فيك القرآن، قال: فقالت أم سلمة: يا ابن الخطاب، أوما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين نسائه، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها؟ قال: ونزل القرآن (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) إلى قوله (أجرا عظيما) قال: فبدأ بعائشة فخيرها، وقرأ عليها القرآن، فقالت: هل بدأت بأحد من نسائك قبلي؟ قال : "لا". قالت: فإني أختار الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا تخبرهن بذلك. قال: ثم تتبعهن. فجعل يخيرهن ويقرأ عليهن القرآن، ويخبرهن بما صنعت عائشة، فتتابعن على ذلك.[317]

من حق نساء محمد الإحتجاج على الوضعية المادية السيئة التي كنّ فيها فمحمد لم يكن يهمه حاجة نسائه وقلة المؤونة التي لم تكن تكفي لسد رمق أطفاله وزوجاته وجواريه فما كان من نسائه إلا الإحتجاج خصوصا وأنه كان سيستمر في الزواج وربما كانت هذه الحداثة هي التي منعته من تكرار الزواج للمرة العاشرة وربما أكثر.

هذا بيت النبوة النموذج الإلهي الذي يجب أن نتبعه كي نحظى بحياة أفضل.

أسرة الرسول لم تكن مثالا للأسرة النموذج ذلك أنها لم تقم بوظائفها الإقتصادية والعاطفية بالأساس ناهيك على بقية الوظائف.

في الإسلام للزوج الحق في أربع نساء، يعني للزوجة الحق في زوجها ليلة على كل أربع ليال فهل يقبل العقل هذا النموذج؟

أن تقتسم المرأة زوجها مع أربع نساء ماذا يعني هذا؟

أليس من حق الزوجة أن تحب زوجها وتغار عليه وتشعر أنه لها وحدها؟ هل عليها أن تنتظره مرة كل أربع ليال، أليس لديها غريزة، وعاطفيا أليس من حقها أن تنعم بالحنان والدفء كل ليلة بقرب زوجها؟

الإسلام يقدم نموذج بائس لإسرة متهالكة.

ولو تمشينا مع مبدأ الزواج من أربع ما هو مصير الأطفال؟

أليس من حق الطفل أن يشعر بالعطف والحنان الأسري في وسط عائلة متماسكة وتضامن بين الأب والأم؟

---

[317] تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن ج10 صفحة 289

ماهو مصير طفل ينشأ في بيت يقتسم فيه والده من أمهات أخريات وأخوة أخرين؟ أليس هذا نموذج مشوه للإسرة.

الرسول محمد وبعد أن حث المسلم على الزواج بأربع نساء حثهم أيضا على التكاثر:

في الصحيح[318]من حديث أنس : تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم يوم القيامة. أخرجه ابن حبان، وذكره الشافعي بلاغا عن ابن عمر بلفظ: تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم. وللبيهقي من حديث أبي أمامة: تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النصارى. وورد: فإني مكاثر بكم أيضا من حديث الصنابحي وابن الأعسر ومعقل بن يسار بن حنيف وحرملة بن النعمان وعائشة وعياض بن غنم ومعاوية بن حيدة وغيرهم.

هنا نلاحظ أيضا غياب الخبرة الإقتصادية والإجتماعية والتكتيكية. فكيف تطلب من الرجال أن ينجبوا الأطفال بالعشرات، النبي لا ينطق عن هوى وكلامه وحي صالح لكل زمان ومكان. يعني أن الله في علم الغيب عنده لم يكن يعرب بمشاكل الكثافة السكانية وضرورة تحديد النسل؟ أو أن الله لا علم له بالمشاكل الإقتصادية وضرورة التقليل من الإنجاب لتخفيف النفقات؟ الله لا يعلم بضرورة توفير العنآية النفسية والعاطفية لكل طفل؟

الله يأمرنا عن طريق محمد بالتكاثر كالقطط والأرانب، تزوج عندما تشاء وإنجب متى تشاء؟ من هنا كانت معرضة رجال الدين كبيرة لدعوات تحديد النسل في مصر وبلغ بهم حد تكفير السلطة وتحدي الدولة في دعوة الناس للأنجاب كما أمرهم النبي وعندما قالوا لهم أن وضعية البلاد لا تسمح لإعالة الملاين الذين يولدون كل سنة قالوا أن كل مولود على الله رزقه.

نظرة الإسلام للأسرة نظرة دونية مبنية على المتعة والتكاثر كما ورد في القرآن زينة الحياة الدنيا.

نظام الأسرة في الإسلام بحاجة للمراجعة. مفهوم الإنجاب والزواج يجب إصلاحه وتغيير المصطلحات بما يتوافق وحقوق الإنسان في الدولة المدنية الحديثة.

---

[318] صحيح أبو داود حديث رقم 2050

الزوجة ليس متاع والأطفال ليسوا زينة، الزواج مسؤولية وإنجاب الأطفال ليس للتباهي بل لرعايتهم والإحاطة بهم نفسيا وماديا حتى ينشؤوا في بيئة جيدة ويكونوا فاعلين في مجتمعهم مستقبلاً.

تأسيس أسرة يتطلب استراتجية تخطيط وإعداد قبل الإقدام عليه، الأسرة تتكون من زوج وزوجة راشدين والعامل العمري مهم جدا في رسم مصير الحياة الزوجية وطبيعة العلاقة بين الطرفين وهذا العنصر يغيب في الإسلام الذي يبيح الزواج بالأطفال دون العشر سنوات والرسول محمد القدوة تزوج من عائشة وهي في سن ست سنوات وهذا ما يؤكد عدم صلاحية الإسلام كنظام إجتماعي وكمنظومة أسرية ولهذا ما تزال المجتمعات الإسلامية تتخبط في المشاكل الأسرية والإقتصادية والإجتماعية.

الأسرة وفق النظام الإسلامي هي أسرة مريضة محكوم عليها بالفشل لأن غايتها ليس التأسيس والحفاظ على الإستمرارية والبناء وإنما الغآية هي المتعة الجنسية للرجل والتكاثر كي يباهي بها محمد بقيت الأمم. بالتالي مصير الزوجات هو التبديل يعني يطلق هذه ويتزوج الأخرى فالزوج في العالم الإسلامي يتزوج أربع ولا يكتفي بذاك العدد وبما أنه تم منع نظام الرق والجواري فالزوج يضطر لتطليق إحدى زوجاته الأربع بإستمرار كي يشفي رغباته الجنسية ولا أسهل من التطليق في الإسلام حيث يكفي أن يقول الزوج للزوجة "طلقتك" ثلاث مرات لتكون مطلقة وتعود لبيت ابيها بكل بساطة وهكذا فعل محمد مع حصفة بنت عمر.

في الإسلام لا حظ للمرأة وهي زوجة ولا حظ لها وهي مطلقة فالنظام الأسري الإسلامي جاء لإهانة كرامة المرأة وتحديد وظيفتها في خدمة وامتاع زوجها والإنجاب وهذا ما يبرز من خلال النصوص الواردة في كتب التراث.

عندما ننظر في معدلات العنف والفقر في الدول الإسلامية ونعود للنظام الأسري حسب الشريعة الإسلامية نتبين أن سبب انهيار الأسرة هو النظام الإسلامي بالإساس وهنا نجدد الدعوة للفقهاء والباحثين والمختصين لدراسة وضعية الأسرة المسلمة ومقارنتها بالأسرة الحديثة في الدول المتقدمة وإنارة العامة إلى ضرورة إصلاح رؤية الإسلام للأسرة حتى يتمكن المسلم من تكوين أسرة متماسكة متوازنة وناجحة وهكذا ينشأ مجتمع متماسك وناجح خالي من العنف.أما الإرهاب والمشاكل

الإجتماعية والإقتصادية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية فلا حل لها دون إصلاح أساس البناء وهي الأسرة.

3-الإسلام وحقوق الانسان

منذ صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إلى اليوم، والمسلمون لم يتوقفوا عن إبداء ملاحظاتهم، وتسجيل نقدهم عليه ورفضهم له في أبعاد مختلفة، ويبدو أنهم لن يتوقفوا عن ذلك لأسباب ترجع في إطارها العام إلى طبيعة العلاقات المعقدة بين الإسلام والحرية.

فهل يتعارض الإسلام مع المفهوم العالمي لحقوق الإنسان؟ ماهو مفهوم الحرية في الإسلام؟

للبحث في هذا الموضوع سنتطرق أولا إلى الأسس الفلسفية والتاريخية التي انبثق عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في العاشر من ديسمبر 1948.

لفهم حقل حقوق الإنسان في بعده الفلسفي، لا بد في البدآية من التحري بعض الشيء في مضمونه ومرجعيته التاريخية.

حسب الدكتور حمدي مجدي[319] يعود خطاب حقوق الإنسان تاريخيا في أصله ونموه إلى أوروبا الغربية. وأول وثيقة سياسية يحسبها رجال الفكر على هذه الحقوق هي: "الماجناكارطا" (العهد الأعظم) التي يعترف فيها ملك إنجلترا "جون" سنة 1215م بحقوق النبلاء. يأتي بعدها سلسلة من المواثيق والإعلانات أهمها: بيان الحقوق المترتبة عن الثورة الإنجليزية عام 1689 ودستور الولايات المتحدة الأمريكية الصادر سنة 1787 إثر استقلالها، وإعلان حقوق الإنسان والمواطن عام 1789 على ضوء الثورة الفرنسية، فميثاق الأمم المتحدة سنة 1945 الذي تضمن إشارة واضحة إلى ضرورة إحترام ورعآية حقوق الإنسان، مما تمخض عنه في 10 ديسمبر 1945 الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يعد مرجعية أساسية لجل الجمعيات والتنظيمات المهتمة، بالإضافة إلى الاتفاقيات الدولية التي جاءت بعده مثل:

[319] الدكتور حمدي مجدي مقال نشر بموقع الحوار المتمدن

الاتفاقية الدولية لإزالة كل أشكال التمييز العنصري سنة 1965، الاتفاقية الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية سنة 1966، والاتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية سنة 1966. وقد انبنت مضامين الحقوق المعتمدة حاليا على مرجعيات فلسفية يمكن العودة بأصولها إلى عصر النهضة الأوروبي الذي أعلى من شأن الإنسان الفرد واعتبره غآية في حد ذاته، وأسمى الكائنات جميعها. ومع تنامي الطبقة البرجوازية، وفي خضم مواجهتها للكنيسة ونظام الإقطاع وحقوق الملوك الإلهية، تبلورت نظرية "الحق الطبيعي" بزعامة صاحب كتاب في قانون الحرب والسلم "هوغو جروسيوس" خلال القرن السابع عشر. و(الحق الطبيعي) معناه أن للإنسان حقوقا يحميها القانون الطبيعي، ولدت معه، وهي لصيقة به ولا يملك حتى الإله بذاته أن يغيرها. وهذا يترتب عنه التزام القوانين الوضعية بها. ويعتبر فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر "حرية الأفراد ومساواتهم" هي أصل الحقوق الطبيعية كلها. وهي حقوق تجد مرجعيتها العقلية وعالميتها وشموليتها في القول بـ"حالة الطبيعة" للإنسان، على اعتبار أن هذا الأخير يشكل جزء لا يتجزأ من الطبيعة ويخضع لقوانينها. يقول جون لوك (1632-1704) بصددها: "لكي نفهم السلطة السياسية فهما صحيحا ونستنتجها من أصلها يجب علينا أن نتحرى الحالة الطبيعية التي يوجد عليها جميع الأفراد، وهي حالة الحرية الكاملة في تنظيم أفعالهم والتصرف بأشخاصهم وممتلكاتهم بما يظنون أنه ملائم لهم، ضمن قيود قانون الطبيعة، دون أن يستأذنوا إنسانا أو يعتمدوا على إرادته، وهي أيضا حالة المساواة حيث السلطة والتشريع مقابل ألاّ يأخذ أي فرد أكثر من الآخر، إذ ليس هناك حقيقة أكثر بداهة من أن المخلوقات المنتمية إلى النوع والرتبة نفسها، المتمتعة كلها بذات المنافع التي تمنحها الطبيعة وباستخدام الملكات الحسية نفسها، يجب أيضا أن يتساوى بعضهم مع بعضهم الآخر".

ولكي يحافظ الأفراد على حقوقهم الطبيعية ضمن الاجتماع الإنساني فإن فلاسفة أوروبا الحديثة أقروا ما يسمى بالعقد الاجتماعي. هوبز ورغم تبنيه لسلطة العاهل المطلقة لا يتصور مجتمعا دون "ميثاق اجتماعي "يتنازل بموجبه الأفراد عن سيادتهم وحريتهم للحاكم، من أجل تحقيق السلم والأمن بينهم". و جون لوك يرى أن العقد الاجتماعي لا يخلق أي حق جديد، و إنما هو عبارة عن إتفاق بين أفراد

يجتمعون ليستخدموا قوتهم الجماعية في وضع القوانين الطبيعية موضع التطبيق. والعقد بين الرعية والحاكم ثنائي الجانب ومن حق الرعية أن تثور على كل انتهاك للقانون. أما جان جاك روسو الذي يعد أكثر فلاسفة أوروبا الحديثة تقريرا لفرضية العقد الاجتماعي، فهو يرى أن: "الإنسان بطبعه لا يستطيع أن يعيش بمفرده، بل لا بد من اجتماعه مع غيره من بني جنسه. ولما كانت إرادتهم تختلف وتتضارب، فإن اجتماعهم لا يستقيم له حال إلا إذا كان مبنيا على "تعاقد" في ما بينهم يتنازل بموجبه كل واحد منهم عن حقوقه كافة للجماعة التي ينتمي إليها، والتي تجسمها الدولة كشخص اعتباري ينوب عن الناس في تنظيم ممارستهم لحقوقهم، وبذلك تتحول تلك "الحقوق الطبيعية" إلى "حقوق مدنية": وتبقى الحرية والمساواة هما جوهر هذه الحقوق".[320]

كانت هذه الأفكار والمضامين من بين الدواعي الرئيسية لإقرار "إعلان حقوق الإنسان والمواطن"[321] خلال الثورة الفرنسية. فهذا الأخير نص "على أن الناس يولدون أحرارا ويظلون أحرارا متساوين قانونيا (المادة الأولى) وألا تفرض حدود الحريات إلا بقانون (المادة الرابعة)، وأن السيادة للأمة (المادة الثانية)، وأن القانون هو التعبير عن الإرادة العامة (المادة السادسة)". هذه المبادئ الأساسية كذلك والأفكار بما عرفته من تحليلات وتعثرات وانتقادات ونجاحات أو إخفاقات على مستوى التطبيق، وإضافات خصوصا من جانب المذهب الإشتراكي الذي ركز على الجانبين الاجتماعي والإقتصادي للحقوق، جل هذه المبادئ كانت الموجه الأساس والإطار العام الذي اعتمده واضِعو"الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" في العاشر من ديسمبر 1948 والاتفاقيات الدولية التي جاءت بعهده.

وثيقة حقوق الإنسان جاءت نتيجة مخاض وصراع طويل للإنسانية نحو الوصول لصيغة تمنح حقوق وحريات للبشرية ليجد هذا النهج سبيله فى التغلغل داخل نسيج المجتمع الإنسانى ليصبح حلم ورغبة وثقافة إنسان بل منهج فكري لا سبيل للإستغناء عنه أو التفريط فيه.

---

[320]مقتطف لجان لوك روسو من مقال محمد عابد الجابري حالة الطبيعة والعدوان أساس حقوق الإنسان

[321] "إعلان حقوق الإنسان والمواطن" خلال الثورة الفرنسية لسنة 1789

فهل يتقارب أم يتصادم الإسلام مع حقوق الإنسان بمفهومها الشمولي؟

هل نستطيع القول بأن الإسلام يتلاقى مع حقوق وحريات الإنسان المعاصر أو يمكن له أن يتلاقى معها أم أن منظومة ومنهج الإسلام يتصادم ويتخاصم مع كل مفردة من مفرداتها. الدعاة للإسلام يحاولون أن يجدوا أي صلة تثبت أن الإسلام يتوافق مع حقوق الإنسان حتى لو إضطروا الي لي عنق النصوص وتفسيرها أو إهمال وإغفال ترسانة من النصوص والتراث المناهضة لحقوق الإنسان وقد يصل الأمر ببعض الوالهين القول بأن الإسلام كمنهج يتجاوز ويتقدم على وثائق حقوق الإنسان بل وأن الإسلام هو المنظومة الكونية الوحيدة التي تعطي للإنسان حقوق لم ولن يحظى بها قط إلا في ظل الشريعة المحمدية.

أولاً ليس مطلوب من الإسلام أن يكون متوافق مع المفهوم الحديث لحقوق الإنسان بحكم أنه نظام تشريعي جاء في إطار تاريخي معين وكان يجب أن ينتهي هناك لا أن يستمر معنا ويفرض علينا اتباع منهجه. الكنيسة عزلت نفسها من أن يكون لها تواجد فى صنع القرار الإنسانى المعاصر كذلك اليهودية المتطرفة فقد تم تقليم أظافرها ولجم سلتطها كذلك كل الشرائع التي تستمد وجودها من الإله تم السيطرة عليها وكبح نفوذها لتكتفي بما هو "تعبدي" لاغير. غير أن الإسلام كمنظومة تشريعية ما تزال تستنكر على نفسها أن تبقى فى إطار المقدس فقط لتقدم رسالتها الروحية داخل مساجدها كما إرتضى اليهود والمسيحيون بذلك، بل تُصر وتلح أن تنزل إلى الشارع وتفرض وجودها كنظام حكم وكتشريع قانوني يجب أن تلتزم به البشرية وإن لم تلتزم يفرض عليها بقوة السيف. دعاة تطبيق الشريعة والمبشرين بالخلافة على منهاج النبوة عليهم أن يتحملوا عبء وضعهم للإسلام موضع المتهم والعدو الأول للحقوق والحريات في الدول التي ترتكز عليه كحجة لإضطهاد الإنسان.

سنستعرض بإختصار لأهم بنود وثيقة حقوق الإنسان ونرى مدى علاقاتها بالمنهج الإسلامي فى التعامل والسلوكيات ونمط الحياة.

"يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء."[322]

---

[322] المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

"لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تميز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون آية تفرقة بين الرجال والنساء. وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي لبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود."[323]

"لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه."[324]
يتضح من بنود الوثيقة الأولى تركيزها على حرية الإنسان فى الفكر بلا أي تمييز أوتمايز. فما موقع الإسلام من هذه الرؤية الواضحة؟

سوف نعود للنص القرآني والتراث لنحكم على موقف الإسلام من حرية وحقوق الإنسان وهل يتقابل معها أم يقوضها أم يناهضها بشراسة.

المرجع الأول في الإسلام هو القرآن و كما أشرنا سابقاً هو النص المؤسس ، و هذا الكتاب صريح فى التفرقة بين البشر على أكثر من مستوى: فكل من رفض دعوة محمد أطلق عليهم المشركينً أو الكفار وحتى أبناء الديانات التى اعترف بها أطلق عليهم أهل كِتاب للتميز بينهم وبين المسلمين. ولم يكتف بذلك وإنما فرض عليهم أداة استعملها كل الغزاة اسمها الجزية وبشرط أن تكون الوسيلة فيها درجة من الخضوع والمذلة وفق نص الآية 29 من سورة التوبة(حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)والصاغر فى قواميس اللغة العربية الراضى بالضيم وكلمة (الضيم) فى اللغة العربية تعنى الظلم والمعنى المُستخلص من نص الآية أنّ الحاكم المسلم لابد أن يأخذ الجزية من أهل الكتاب الذين عليهم أنْ يتقبّلوا الظلم و يرضون ذلك.

القرآن صريح فى تقسيم البشر بين أحرار وعبيد في سورة القصاص (الحر بالحر والعبد بالعبد) في سورة البقرة الآية 178 يُفرّق بين المرأة والرجل (والأنثى بالأنثى) وامتدتْ تلك التفرقة لتشمل حق الرجل فى تملك أي عدد من النساء وفق قاعدة

---

[323] المرجع السابق المادة 2

[324] المرجع السابق المادة 3

(الرجال قوامون على النساء) النساء34 و(للرجال عليهنّ درجة) البقرة 228. الإسلام يحتقر العبيد ويكرس في نظامه التشريع استعباد البشر بل ووضع نظام كامل لبيع وشراء الرقيق كما أنه يحث على سبي النساء والأطفال عند القتل وكنا فصلنا ذلك في عدة أبواب.

الإسلام يهين المرأة ويجعلها دون قيمة الرجل بل هي مجرد وسيلة للمتعة ولا يكفي أنه أهانها بل سعى القرآن لتأنيث الفقر حيث أقر أبشع نظام مواريث عرفته البشرية للذكر مثل حظ الأنثيين وهنا يغيب مفهوم العدل والمساواة أحد أهم مبادئ الميثاق العالمي لحقوق الإنسان.

القرآن يتبنى رؤية عنصرية لأصحاب البشرة السوداء في الكثير من نصوصه **(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ) وفي آية أخرى (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ).**[325]

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) (يوم) نصب على الظرف أي: في يوم، وانتصاب الظرف على التشبيه بالمفعول، يريد: تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين وقيل: تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ هذه الآية قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة.[326]

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس إذا كان يوم القيامة رفع لكل قوم ما كانوا يعبدونه، فيسعى كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، وهو قوله تعالى: " نوله ما تولى" النساء 115 فإذا انتهوا إليه حزنوا فتسود وجوههم من الحزن، وبقي أهل القبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئا مما رفع لهم فيأتيهم الله فيسجد له من كان يسجد في الدنيا مطيعا مؤمنا ويبقى أهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود، ثم يؤذن لهم فيرفعون رؤسهم ووجوه المؤمنين مثل الثلج بياضا والمنافقون وأهل الكتاب إذا نظروا إلى وجوه المؤمنين حزنوا حزنا شديدا فسودت وجوههم فيقولون:

---

[325] سورة الزمر 68 و سورة آل عمران 106

[326] ابن منصور اللالكائي كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة

ربنا ما لنا مسودة وجوهنا فوالله ما كنا مشركين؟ فيقول الله للملائكة: "انظر كيف كذبوا على أنفسهم" الأنعام 24.

وروي عن ابن عباس أنه قال: إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم هذه ذريتك، ثم قال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعا في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء. قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول: "وما وجدنا لأكثرهم من عهد" الأعراف 102. قال أهل المعاني: ابيضاض الوجوه: إشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وبثواب الله، واسودادها: حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله، يدل عليه **قوله تعالى: "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة" (يونس - 26)** والذلة مستمدة من مفهوم العبيد والرقيق ذوي البشرة السوداء.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ الأَيْمَنَ، أَيْ آدَمُ، فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلْجَنَّةِ بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَقَالَ: هَؤُلاءِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، ثُمَّ ضَرَبَ مَنْكِبَهُ الأَيْسَرَ فَخَرَجَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلنَّارِ سَوْدَاءَ، فَقَالَ: هَؤُلاءِ أَهْلُ النَّارِ، ثُمَّ أَخَذَ عَهْدَهُمْ عَلَى الإِيمَانِ بِهِ، وَالْمَعْرِفَةِ لَهُ وَلأَمْرِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ وَبِأَمْرِهِ بَنِي آدَمَ كُلِّهِمْ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، آمَنُوا وَصَدَّقُوا، وَعَرَفُوا وَأَقَرُّوا".[327]

وورد في النص القرآني (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم) آل عمران معناه: يقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟ (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) الأعراف.ومن خلال هذه النصوص يتبين لنا النظرة البدوية الدونية لأصحاب البشرة السوداء والتي تبناها الإسلام فجعل أصحاب الجنة بيض البشرة وأهل النار سود البشرة فهل يعقل أن يكون الله عنصري؟ لماذا لم يبعث أهل النار بوجوه رمادية أو بأي هيئة أخرى رفعاً لأي إلتباس لماذا هذا التركيز على اللون الأسود؟ لماذا

---

[327] تفسير الطبري تفسير سورة الأعراف حديث رقم 15362

يتبنى القرآن المفهوم القديم السائد على اللون الأسود مِع أنه جاء لهدم كل ما كان قبله؟

لقد كرس الإسلام العنصرية والتميز بين البشر حارب الحرية بمفهومها المطلق ويُدافع أصحاب مدرسة (الوسطية فى الإسلام) عن أنّ الإسلام أقرّ حرية العقيدة، ويستشهدون بسورة الكافرون التى نصّتْ على (قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ماتعبدون، ولا أنا عابد ما عبدتم.. إلى لكم دينكم ولى دين)[328] ولكنهم يتجاهلون باب أسباب النزول، حيث ورد فى معظم كتب تفسيرالقرآن أنها (نزلتْ لما قال رهط من المشركين لرسول الله: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فرفض محمد هذا الطلب وتبرء من قريش وآلهتها).

عن سعيد بن مينا مولى البَختري قال:لقي الوليد بن المُغيرة والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأميَّة بن خلف، رسولَ الله، فقالوا: يا محمد! هلمّ فلنعبد ما تعبد، وتعبدْ ما نعبد، ونُشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شَرِكناك فيه، وأخذنا بحظنا منه; وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما في يديك كنت قد شَرِكتنا في أمرنا، وأخذت منه بحظك، فأنزل الله: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) حتى انقضت السورة.[329] ويستشهد كذلك دعاة الإسلام الليبرالي بآية (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (الكهف/29).ولكنهم أيضًا يتجاهلون أسباب نزولها، وأنّ صياغتها جاءتْ لتهديد الكفار والدليل على ذلك أنّ الجملة التالية مباشرة نصّتْ على (إنّا أعتدنا) أي أعددنا للظالمين نارًا... إلى وإنْ يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه[330]. هنا تسقط الحجة التي صدعوا بها رؤوسنا عن سماحة الإسلام وقبوله للأخر. السورة جاءت لتفصل بين المسلمين والكفار أي أنها حجة على الرافضين للإسلام وليست رسالة تسامح كما يسوق البعض.

يعتبر تحقيق الأمن والاستقرار من أهم الحقوق التي يسعى الإنسان لتحقيقها لكن في ظل النظام الإسلامي من المستحيل تحقيق الأمن والسلام ذلك أن الإسلام هو دين حرب بالأساس يقول القرآن " قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا

---

[328] سورة الكافرون

[329] الطبري في "جامع البيان" (703/24)

[330] سورة الكهف تفسير الجلالين

يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " [331]. هذه الآية تنسف كل مواثيق ومبادئ حقوق الإنسان بل وتهدم كل الحجج الواهية التي يقدمها منظري الإسلام الليبرالي. هذه الآية هي بمثابة إعلان حرب أبدية لا نهاية لها بين المسلمين وغيرهم فإما أن يؤمنوا أو يدفعوا ثمن بقائهم على قيد الحياة أو الموت. من هذه الآية وغيرها تستمد الجماعات الإسلامية المقاتلة شرعيتها وهنا أؤكد على مصطلح مقاتلة لا الجهادية لأن كل المسلمين بالنهآية أو جل التنظيمات والأحزاب والجمعيات التي ترفع شعار الإسلام هو الحل هي تنظيمات جهادية وكلهم يكملون بعضهم. القتال تخطى غير المسلمين وتحول منذ وفاة محمد إلى إقتتال بين المسلمين منذ عهد الصحابة وحتى اللحظة والمسلمين في صراع دموي لفرض مذهب معين. والقتل في الشريعة الإسلامية من أبسط الأحكام وأهمها فالمرتد يقتل والعاصي يقتل والزاني والزانية يرجمان بالحجارة فتطبيق الأحكام في الإسلام يكون في الساحات العامة وحضور الناس للفرجة والتشفي شرط أساسي (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)[332] هذا النظام الجزائي معمول به في السعودية وإيران والسودان والمناطق التي تطبق فيها الشريعة حيث يجتمع الأطفال والشباب والكهول لحضور عملية قطع رأس إنسان أو ليرجموا فتاة. هل هذا هوالتشريع الذي ارتضاه الله للبشرية؟ ماذا تساوي الشريعة الإسلامية أمام ما أقره مجلس حقوق الإنسان من قوانين ومبادئ؟

الإسلام كما هو عليه الأن يهدد مستقبل الحريات كما أن الإيمان والحماس لحقوق وحرية الإنسان قوض المنظومة التشريعية الإسلامية بالضرورة ، بل حدث تصادم بالفعل بين الإسلام ومبادئ حقوق الإنسان لتبدأ مراجعات لكل ما يحمله التراث من قيم وأطروحات تنال وتحط من قيمة الإنسان. إن إنتشار العلمانية والليبرالية والديمقراطية كمفاهيم حديثة قوضت وحجمت دور الدين في تسيير المجتمع. هناك الكثير من صيحات الفزع التي بدأت تعلو داخل مؤسسة الأزهر والزيتونة وكبرى الجامعات الإسلامية لإصلاح الإسلام وتهذيبه حتى يتماشى مع متطلبات العصر وما هذه الدعوات إلا نتاج مراجعة للموروث الدينى ، فبعد أن اكتشفوا مدى تصادمه

[331] سورة التوبة الآية 29

[332] سورة النور الآية 2

مع المفرادات الحضارية والثقافية الجديدة المتمثلة فى حقوق الإنسان وحرياته أدركوا أنه من الضروري مواكبة العصر قبل أن يدفنهم التاريخ ويلقي بهم خارج دائرة الحضارة. هذه الدعوات الإصلاحية ماتزال بحاجة الى تأطير سياسي يدفعها نحو التطبيق على أرض الواقع.

الباب الخامس

دراسات نقدية في العلاقة بين الإسلام والعلم

زيف إدعاءات الإعجاز العلمي

1-حقيقة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

عرّف المؤتمر العالمي الأول للإعجاز في إسلام أباد الإعجاز العلمي بأنه "تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة، والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين، وتهدف دراسته وإجراء البحوث فيه إلى إثبات صدق النبي فيما جاء به من الوحي بالنسبة لغير المؤمنين، وتزيد الإيمان وتقوي اليقين في قلوب المؤمنين".[333]

تضخمت فكرة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة حتى باتت حقيقة لا شك فيها بالنسبة إلى الكثيرين. قضية الإعجاز العلمي هيمنت على عقول عدد من الباحثين المسلمين في القرن الماضي، وهو ما جعل تعامل البعض مع القرآن باعتباره كتابا في الجغرافيا والجيولوجيا والأحياء والكيمياء والفيزياء والفلك، أكثر من كونه كتاب دين.

يكرس الكاتبون والمهتمون بشأن الإعجاز العلمي في القرآن جل اهتمامهم وآرائهم وكتاباتهم لدعم وتأكيد مسألة أساسية ومحورية مفادها: أن الكتاب التأسيسي للدين الإسلامي (أي القرآن) يضم بين صفحاته كل ما حققته الإنسانية عبر تاريخها الصعب الطويل وما ستحققه مستقبلاً من كشوفات وانجازات ونظريات علمية على كل الأصعدة وفي كافة المجالات، الانسان، الكون،الفلك، الفيزياء،الكيمياء، الهندسة،الطب، الذرة....الخ. ويزعم الإعجازيون أن أسلوب القرآن يختلف عن كل الأساليب فهو حينما يشير الى مسألة علمية كما يقول مصطفى محمود: "يقدمها بإشارة والرمز والمجاز والإستعارة واللمحة الخاطفة والعبارة التي تومض كبرق خاطف"[334] وعن طريق فك هذه الاشارات والرموز والمجازات نتمكن من العثور على الإعجازات العلمية مثل نظرية دارون وكيفية خلق الانسان وتطوره من الامبيا إلى الإسفنج إلى الحيوانات الرخوية.

---

[333] بيان المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في إسلام أباد 1987

[334] مصطفى محمود محاولة لفهم عصري للقرآن/بيروت1970

سنة 2008 بثت بي بي سي [335] حلقات حول الإعجاز العلمي في القرآن ، عرضت فيه مكتشفات علمية مذكورة في القرآن ولم يعرفها العالم سوى في العصر الحديث. نظريات تتصل بالتطور والحركة ودورات النبات والقصور الذاتي وحساب الكواكب وعدد المجرات والسنين الضوئية وغير ذلك من المكتشفات الحديثة، وهو ما لا يدع مجالا للشك -بحسب تعبير فورستير- بأن القرآن أنزله إله الكون وخالقه وأنه كلام الله حقا، إذ لا أحد غير الله يعلم هذه الحقائق قبل ألف وأربعمئة سنة.

المفارقة تكمن في أن "فورستير" لم تؤمن هي نفسها بالإسلام، ولم تُعلن شهادتها بعد درايتها بهذه المكتشفات التي بثتها على متابعيها، بيد أن العجب سيزول حين يعلم المشاهدون أن "فورستير"فقط مذيعة عصرية الملبس استأجرتها مؤسسة إسلامية تسمى "لا يُوجد تعارض" تدعو لمحاولة التوفيق الكامل والنهائي بين المكتشفات العلمية وبين القرآن، ودعوة غير المسلمين بالمكتشفات العلمية، وأن "فورستير" تتقاضى راتبا نظير برنامجها، والذي يهدف إلى الترويج للإسلام من خلال المكتشفات العلمية، وأن نجاح برنامجها هو ما يهم "فورستير" وليس المعلومات الدينية التي تبثها فيه.

لاقت حلقات "فورستير" هجوما من علماء الفيزياء والأحياء على حد السواء، على الرغم من الإنتاج المرئي القوي لهذه الفيديوهات، إلا أنها كانت معبئة بكميات هائلة من الأكاذيب العلمية والمقارنات المزيفة بين بعض نصوص القرآن والإكتشفات العلمية الحديثة.

في ثمانينات القرن الماضي قام الشيخ عبد المجيد الزنداني[336] بدعوة 14 عالما أجنبيا من رواد العلوم المعاصرة، وباختصاصات مختلفة. منهم ويليام هاي، توماس أرمسترونك، بيتر أليسون بالمر، ألفرد كرونر، وغيرهم، الزنداني في ذلك الوقت كان مدعوم من السعودية وقد أقنعوا العلماء بالحضور بدعوة إجراء بحوث علمية في المنطقة وإستكشافها،و من الضروري أن نبيّن أنّ الطريقة التي استدعي و اسقبل بها العلماء منها السفر برحلات على الدرجة الأولى، الإقامة بأرقى الفنادق، منح بدل نقديّ لكُل عالم، مأدوبات عامرة. حتى أن بعضهم اصطحبوا زوجاتهم، كل ذلك

---

[335] برنامج كلير فورستير على قناة بي بي سي سنة 2008

[336] برنامج الشخ عبد المجيد الزنداني الإعجاز العلمي في القرآن

يدُل بشكل أو بآخر، على أن الغرض من الإجتماع ليس علميًا بحتًا، وإنما الغرض منه غايات مُعيّنة. أهمها كانت التوصُل معهم وإقناعهم بعدد من مواضيع الإعجاز الموجودة في النص القرآني، كان مواقفهم مهمة جداً وفق صفتهم ومراكزهم العلميّة، وكانت محط الرحلة بين السعوديّة ومصر وإسلام أباد.

خلال البرنامج كان الزنداني يحاول وبكل الطرق جر العلماء إلى منطقة مُعيّنة لمُطابقة بعض الحقائق العلميّة وقياسها على ما هو موجود في القرآن، وسحب اعتراف علمي تام من العلماء مفاده أن الرسول كان أميّا، وليس له من خبرة معلوماتية بهكذا حقائق علمية قبل 1400 سنة، وعليه فالقرآن هو منقول من الوحي الإلهيّ، وليس من مصدر بشريّ، وهذا الإستنتاج هو نتاج ما صدر عن كلّ هذا الحراك، وهو الأمر الذي وُضع كهدف من البدآية، ويُروّج له عبد المجيد الزنداني بقولته "إنّه الحق". كان الزنداني يأخذ آية من القرآن ويعطيها معنى وتفسير يطابق الإكتشافات العلمية ويقول هكذا ما قاله الرسول محمد منذ 1400 فينبهر العلماء ويقرون أنه من الصعب معرفة هذه الحقائق دون تدخل قوة خارقة في ذلك الوقت.

وكما هو معروف للمُتخصّصين أن طريقة وأسلوب "الترجمة" قد كان لها الأثر الأكبر في مثل هكذا لقاءات، خاصّة في عملية نقل الآيات مُترجمة إلى اللغات أخرى وتحميلها معاني لا تتوافق والنص الأصلي، وبنفس الوقت تم الكذب والتزييف في عملية نقل تعليق العلماء على الآيات المطروحة وذلك لعدم وجود أيّ طرف يُمثِل وجهة النظر العلميّة المحايدة بالنسبة لعملية الترجمة والبرنامج الذي تم تصويره وبثه في تلك الفترة تميز بالإجتزاء والتقطيع لكلام العلماء بطريقة وقحة.

قبل سنوات قليلة قامت مؤسسة إعلامية ناطقة بالعربية بدعوة عدد من العلماء الذين كذب عليهم الزنداني وأنكروا كل ما نُسب إليهم، ونفوا كل ما نشر عنهم، وإنما كانت حقيقة ما جرى هو فبركة في الترجمة، وتحوير في مجرى الحديث والنقاش، وأكدوا أن كل ما نشر عنهم هو محض تدليس وافتراء، غايته الإستدلال بهم من أجل تأكيد الإعجاز القرآني الذي روّج له الشيخ الزنداني. كما أنكر العلماء أعلاه الزعم بأنّهم قد تحوّلوا إلى الإسلام.

الشيخ الزنداني وذاكر نيك وأحمد ديدات وزغلول النجار ومصطفى محمود...، ثلة من المتحيلين الذين يمتهنون الكذب على العلم والعلماء ونشر المغالطات، هم أحد أهم أسباب التأخر العلمي في العالم الإسلامي.

ولفهم الموضوع بصفة أدق نأخذ جملة من المغالطات والتلاعب بالألفاظ والنصوص التي قدمها منظر الإعجاز كونها "حقائق علمية".

من أشهر الآيات التي روج لها الإعجازيون كثيرا:

(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ).[337]

حيث يدعي الإعجازيون ان هذه الآية قد اخبرت بالحقيقة العلمية أنه كلما إرتفع الإنسان في السماء انخفض الضغط الجوي وقلّت كمية الأكسجين مما يتسبب في حدوث ضيق في الصدر وصعوبة في التنفس.حيث أن التغير الهائل في ضغط الجو الذي يحدث عند التصاعد السريع في السماء، يسبب للإنسان ضيقا في الصدر وحرجا.

لنرى حقيقة ما تقوله الكلمة محل الادعاء: (يَصّعّدُ فِي السَّمَاءِ) هل فعلا تعني الصعود إلى أعلى؟

الحقيقة هي أن (يَصّعَّدُ فِي) بتشديد الصادملحقة بـ:"في كذا" تعني محاولة على مشقة في عمل شيء صعب أومستحيل. وللبحاثين أن يطلعوا على ما تقوله المعاجم في ذلك: (تَصَعَّدَ)يتصعَّد، ويَصَّعَّد: تَصاعدَ. و في الشيءِ: مضى فيه على مشقة. وفي التنزيلالعزيز:كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ في السَّمَاءِ. و النَّفَسُ: صَعُبَ مَخْرَجُهُ. و الشيءُ الرَّجلَ: جَهَده وبلغ منه.

فالمراد من الآية هنا هو تشبيه ضيق صدر الكافر نتيجة كفره بضيق الشخص الذي يحاول الصعود في السماء فلا يستطيع لأستحالة هذا.
قَالَ عَطَاء الْخُرَاسَانِيّ"كَأَنَّمَا يَصَّعَّد فِي السَّمَاء" يَقُول مَثَله كَمَثَلِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيع أَنْ يَصْعَد إِلَى السَّمَاء. وَقَالَ الْحَكَم بْن أَبَان عَنْ عِكْرِمَة عَنْ اِبْن عَبَّاس "كَأَنَّمَا يَصَّعَّد فِي

[337] سورة الإنعام الآية 125

السَّمَاء" يَقُول فَكَمَا لَا يَسْتَطِيع اِبْن آدَم أَنْ يَبْلُغ السَّمَاء فَكَذَلِكَ لَا يَسْتَطِيع أَنْ يُدْخِل التَّوْحِيد وَالْإِيمَان قَلْبه حَتَّى يُدْخِلهُ اللَّه فِي قَلْبه وَقَالَ الْأَوْزَاعِيّ "كَأَنَّمَا يَصَّعَّد فِي السَّمَاء" كَيْفَ يَسْتَطِيع مَنْ جَعَلَ اللَّه صَدْره ضَيِّقًا أَنْ يَكُون مُسْلِمًا. [338]

وَقَالَ الطبري [339]: وَهَذَا مَثَل ضَرَبَهُ اللَّه لِقَلْبِ هَذَا الْكَافِر فِي شِدَّة ضِيقه عَنْ وُصُول الْإِيمَان إِلَيْهِ يَقُول فَمَثَله فِي اِمْتِنَاعه مِنْ قَبُول الْإِيمَان وَضِيقه عَنْ وُصُوله إِلَيْهِ مَثَل اِمْتِنَاعه عَنْ الصُّعُود إِلَى السَّمَاء وَعَجْزه عَنْهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي وُسْعه وَطَاقَته وَقَالَ فِي قَوْله " كَذَلِكَ يَجْعَل اللَّه الرِّجْس عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ" يَقُول كَمَا يَجْعَل اللَّه صَدْر مَنْ أَرَادَ إِضْلَاله ضَيِّقًا حَرَجًا كَذَلِكَ يُسَلِّط اللَّه الشَّيْطَان عَلَيْهِ وَعَلَى أَمْثَاله مِمَّنْ أَبَى الْإِيمَان بِاَللَّهِ وَرَسُوله فَيُغْوِيه وَيَصُدّهُ عَنْ سَبِيل اللَّه وَقَالَ اِبْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عَبَّاس: الرِّجْس الشَّيْطَان وَقَالَ مُجَاهِد: الرِّجْس كُلّ مَا لَا خَيْر فِيهِ وَقَالَ عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن أَسْلَم الرِّجْس الْعَذَاب.

كما رأينا فمعنى اللفظ (يَصّعّدُ فِي) كذا، لا علاقة له اطلاقا بالصعود وإنما المحاولة على مشقة في عمل شيء مستحيل كما تخبرنا المعاجم والتفاسير. فكيف وصلت جرأة الكذب بالإعجازيين إلى درجة التغيير في معنى لغوي لكلمة يمكن لأي شخص التأكد منها من المصادر المتاحة؟ يعود ذلك بسبب ثقتهم التامة أن متابعيهم من المسلمين ليس لهم ثقافة البحث والنقد إنما يسمعون ويطيعون.

كما يورد الاعجازيون الآية التآية [340]:

(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) و يدّعون أن هذه الآية أخبرت بحقيقة التوسع الكوني. لنرى ما تقوله المعاجم حول المعنى اللغوي لهذه الكلمة "موسع" (بدون تشديد السين).

المعجم المحيط[341] :أَوْسَعَ يُوسِعُ إِيسَاعاً : (صار ذا سعه وغِنى)

وأوسع الرجل إيساعًا صار ذا سعةٍ وغنًى. ومنهُ في سورة الذاريات : (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) أي أغنياءُ قادرون.

---

[338] عطاء بن مسلم الخرساني سير أعلام النبلاء الطبقة الرابعة ج 6

[339] تفسير الطبري ج5 ص339

[340] سورة الذاريات الآية 47

[341] المعجم المحيط

ويتفق معهم أيضا القاموس المحيط حول هذا المعنى اللغوي: وقوله (وإنَّا لَمُوسِعُونَ): أغْنياءُ قادِرُونَ. ففي الآية يقول الله عن نفسه أنه ذو سعة (قدرة) وغنى. ولا علاقة لها اطلاقا بالتوسع الكوني.

مثال أخر يتبادر إلى ذهني وهوالإدعاء بأعجاز الآية التالية من سورة الحديد:

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[342].

يدعي الإعجازيون بأن القرآن قال ب"الحقيقة العلمية" أن الحديد أنزل من السماء إلى الأرض والدليل قول القرآن "أنزلنا". ويقولون أن الحديد لم يتكون في المجموعة الشمسية بل جاء إليها من الخارج. ويدعون أن المجموعة الشمسية لم يكن بها ما يكفي من طاقة لظهور عنصر الحديد. لتفنيد هذا الإدعاء سنتناوله من وجهين:

أولاً: هل فعلاً الحديد لم يكن من العناصر المكونة لكوكب الأرض؟

عنصر الحديد أكثر العناصر انتشارا في الأرض ويشكل حوالي 35% من العناصر ونفس الشيء في كواكب المجموعة الأخرى حيث ينتشر عنصر الحديد انتشارا كبيرا بها فكيف يمكن أن يكون عنصر بهذه الكثرة والإنتشار لم يظهر في الأرض إلا عن طريق هبوطه من الخارج عن طريق النيازك؟

اللب الداخلي للأرض يحتوي على الحديد، كيف يستوي هذا مع عدم ظهوره في كوكب الأرض إلا عن طريق هبوطه بالنيازك؟

الحقيقة لا يوجد في المراجع العلمية أي دليل عن هذا الادعاء بأن الحديد نزل من السماء ولم يوجد أي نظرية تدعمه.

ثانيا: بغض النظر عن كون الموضوع حقيقة علمية أم لا لنبحث الموضوع. من الناحية اللغوية والدينية. يستند الإعجازيون في هذه الآية على كلمة أنزلنا بمعنى أنها تعني "هبوط" الحديد من الخارج إلى الأرض.ولكن هل تعني ذلك حقا لغويا وسياقيا؟

---

[342] سورة الحديد الآية 25

لنبحث في مواضع أخرى جاءت فيها نفس الكلمة بمعنى الخلق:

تقول سورة: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج.[343]
يقول ابن كثير في تفسير الآية: "وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج" أي وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين.[344]

هل هبطت الأنعام أيضا على أرضنا من الخارج؟

دون النظر إلى التفسير، واضح أن الكلمة "أنزلنا" عند إتيانها في الحديث عن نعمة أو شيء مخلوق للأنسان. وهو الشيء المشترك بين الأيات الثلاث تعني "خلقنا" أو"جعلنا".

آية أخرى جاءت بنفس السياق: "يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً"[345]

وبطبيعة الحال تؤكد جميع التفاسير معنى الخلق لكلمة "أنزلنا" في هذه الآية أيضا.كما يؤكده منطق أي شخص عاقل. وبالرجوع إلى التفسير الآية الأصلية محل الحديث عن الحديد.يتأكد لنا نفس الشيء. هل هبط اللباس علينا من الخارج أيضا؟ باختصار قوله "أنزلنا" لا تعني :"جعلنا" أو"خلقنا".

نذهب إلى نموذج أخر من نماذج التحيل الإعجازي:
يقول القرآن: (أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا).[346]
يدعي هواة الإعجاز أن وجه الإعجاز في الآية القرآنية هو تقريرها بأن نشأة الكون بدأت إثر الإنفجار العظيم ويربطونه بكلمة الفتق بعد أن كان كتلة واحدة (رتقا).
أولا لنرى المعنى اللغوي لكلمة [347] رتْقاً: الرَّتْقُ ضدّ الفتْقُ.

وقال ابن سيده: الرَّتْقُ إلحام الفتْقِ وإصلاحه، رتَقَه يرتُقُه ويرتِقُه رتقاً فارتتق أي التَأم. إذن كلمة رتقا تفيد كون السماء والأرض كتلة واحدة.

---

[343] سورة الزمر الآية 6

[344] تفسير ابن كثير ج4 ص 50

[345] سورة الأعراف الآية 26

[346] سورة الأنبياء الآية 30

[347] لسان العرب

أما كلمة فتق: ففتقناهما: الفتقُ خلاف الرتق، فتقه يفتقُّه فتقا: شقه. الفتق: انفلاق الصبح.

ومن القاموس المحيط : (فَتَقَهُ): شَقَّهُ (كَفَتَّقَهُ) فَتَفَتَّقَ وانْفَتَقَ ، (ومَفْتَقُ) القَميصِ مَشَقُّهُ. إذن كلمة الفتق تعني الشق.

وهناك العديد من الروايات التي أوردها المفسرون في المراد بالرتق والفتق. ومن أغلبها يتضح لنا أن المراد من القول في هذه الآية هو كون السماء والأرض كتلة واحدة ثم تم فتقهما (شقهما).وبعض المعاني الأخرى التي تصلح لتأويل الآية:

ورد عن قتادة وسعيد بن جبير وفي رواية عكرمة عن ابن عباس أن المعنى كانتا شيئاً واحداً ملتصقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هي، وأقرّ الأرض، وهذا القول يوجب أن خلق الأرض مقدم على خلق السماء لأنه تعالى لما فصل بينهما ترك الأرض حيث هي وأصعد الأجزاء السماوية، قال كعب: "خلق الله السموات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحاً توسطتهما ففتقهما بها".[348]

قول أبي صالح ومجاهد أن المعنى: كانت السماوات مرتفعة فجُعلت سبع سماوات وكذلك الأرضون.

قول ابن عباس والحسن وأكثر المفسرين أن السموات والأرض كانتا رتقاً بالاستواء والصلابة، ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات والشجر، ونظيره قوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ). ورجحوا هذا الوجه على سائر الوجوه بقوله بعد ذلك: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (وذلك لا يليق إلا وللماء تعلق بما تقدم، ولا يكون كذلك إلا إذا كان المراد ما ذكرنا.

قول أبي مسلم الأصفهاني: يجوز أن يراد بالفتق: الإيجاد والإظهار كقوله: (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) وكقوله: (قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ)، فأخبر عن الإيجاد بلفظ الفتق، وعن الحال قبل الإيجاد بلفظ الرتق.

قال الطبري في تفسير الآية أيضا[349] :

[348] تفسير الرازي - الرازي - ج 22 -ص 162

[349] تفسير الطبري ج9 ص 20 سورة الإنبياء

وقوله: "ففتقناهما" يقول: فصدعناهما وفرجناهما ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السموات والأرض بالرتق، وكيف كان الرتق وبأي معنى فتق؟

فقال بعضهم: عنى بذلك أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما بالهواء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة.

باختصار لهذا كله."كانتا رتقا ففتقناهما" تفيد كون السماء والأرض كتلة واحدة أو جسما واحدا ففتقمها (أي قسمها) الله إلى قسمين.ويدعي الإعجازيون أن هذا يتفق مع نظرية الإنفجار الكبير التي لم يقرأوا عنها يوما في أن الأرض والسماء كان كتلة ثم تم الإنفصال بينهما بالإنفجار. هل تنتبق هذه الرؤية مع نظرية الانفجار الكبير؟ قطعا لا لسببين:

أولا: كلمة الفتق تعني لغويا الشقّ لا يذكر فيها أي إشارة عن حدوث "إنفجار" من قريب أو من بعيد. فالشقّ ليس تفجيرا ولا يوجد ذرة اتصال بين المعنيين.كما رأينا في المعاجم الشق هو مثل ما يحدث عندما تشق قطعة قماش مثلا. وهذا لا علاقة له بما حدث في الإنفجار الكبير اطلاقا.

ثانيا: إذا ربطنا لفظ "كانتا رتقا" في الآية بما قبل البيغ بانغ فهذا أيضا لا علاقة له بما تقوله نظرية الإنفجار الكبير اطلاقا، لأن نظرية الانفجار الكبير تنص على عدم وجود أي نوع من المادة أو الكتلة قبل حدوث الإنفجار لأن المادة جاءت إلى الوجود مع الإنفجار نفسه، بل لا يوجد شيء أسمه "قبل البيغ بانغ" أساسا.هذا قول فاسد،إذ ليس هناك "فترة وقتية" من قبل planck time قابلة لتطبيق القوانين الفيزيائية عليها.

مفهوم "الفترة الزمنية" قبل حدوث البيغ بانغ لا معنى له فالوقت مرتبط بالمكان وجاء في حيّز الوجود اصطلاحي"متى وأين" للزمان مع ظهور "المكان" إلى حيّز الوجود أي مع البيغ بانغ ونفس الشيء بالنسبة إلى المادة أو الكتلة فلم يكن لها وجود إلا مع حدوث الإنفجار. أي ليس هناك "رتق" قبل حدوث الإنفجار ولا غيره.

وفوق كل هذا لا يوجد سبب منطقي يجعل المسلم الذي يؤمن بنظرية الخلق ليدافع عن نظرية الإنفجار الكبير ويحاول الإستناد إلى البيع بانغ لإثبات صحة القرآن وإعجازه ما يعبر عن حالة التخبط التي يعاني منها منظري الإعجاز.

مؤخرا تزايد النقد لنظرية "الإعجاز العلمي" من داخل البيت الإسلامي حيث أقر عدد من الباحثين المسلمين أن التفسير العلمي يقوم على تحميل الكلمات معاني لم تعرفها وقت نزول الوحي، ويأتي هذا الإقرار بعض المأزق الذي وقع فيه القرآن بعد الكشف عن الأخطاء العلمية فيه وهذا ما سوف نبحث فيه لاحقا.

تذكر عائشة عبد الرحمن[350]، أن القرآن معجزة بلاغية لنبي أمي، في قوم من البدو كانت حياتهم بسيطة، لم تعرف تعقيدات العلم الحديث، فكيف كان سيخاطبهم بالمعجزات العلمية.

وتكشف عائشة مثالاً عن التلاعب بمعاني الكلمات لتحميلها بالنظريات العلمية فتقول: "وتحدث أحدهم عن الإعجاز البيولوجي في الآية: (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) مبيناً أن العلم كشف أن الأنثى هي التي تنسج البيت وليس الذكر، فترد قائلة: "إن المبتدئون من طلاب اللغة العربية يعرفون أن العرب أنثوا لفظ العنكبوت والنمل والنحل والدود، وأن القرآن جرى على لسان العرب، ولا علاقة للأمر بإعجاز علمي لم يبينه الرسول للناس".

ومثال أخر ذكره شاكر النعماني[351]، وهو أن الآيات القرآنية لم تصرح ولو مرة بأن الأرض كروية الشكل، كما أن أقوال المفسرين أجمعت على أن كلمتي "طحاها" و"دحاها" بمعنى بسطها، وليس من الدحية بمعنى البيضة، والمعنى الأخير هو ما اعتمد عليه المفسرون بالإعجاز في إثبات سبق القرآن للقول إن شكل الأرض بيضوي.

كل هذه الأمثلة من الغش في معاني اللغة وتحريف الكلمات إلى معاني مختلفة تماما عن الحقيقة يوضح لنا كم الكذب والتدليس الذي احترفه مرتزقة العلم هؤلاء.

ختاما هناك استفهاما واحدا نطرحه على منظري الإعجاز إذا صح ذلك ووجدت مثل تلك "الإشارات" العلمية الغامضة في القرآن، فلِم لا يتم اكتشافها واستنباطها من قبلكم وأنتم قراء القرآن وأهله ومفسروه وتعرفون كل شاردة وواردة فيه قبل أن يكتشفها الكفار الذين لا يعرفون لغة القرآن ولم يقرأوه، اكتشفوها بعد عناء طويل بواسطة مراصدهم ومختبراتهم وتحليلاتهم وصراعاتهم النظرية.

---

[350] القرآن والتفسير العصري" تذكر عائشة عبد الرحمن

[351] النعماني في كتاب إعجاز القرآن بين الحقيقة والبهتان

لقد أتقن منظري الإعجاز إعجازا في السرقات العلمية، سرقة جهود الغير وتحقيرها، من جهة ثانية، ماذا قدم الإعجازيون للبشرية في كل تاريخهم الطويل غير هذه الخزعبلات والتخاريف؟

وصفت عائشة عبد الرحمن في كتابها مفسري الإعجاز العلمي بأنهم مهزومون نفسيا، ويساهمون في استمرار تأخر المسلمين، بتخديرهم بالمسكنات بدلاً من إستنهاض الهمم والأخذ بوسائل التطور.

على العقل العربي أن يحارب تجار المخدرات هؤلاء من مروجي نظرية الإعجاز والعجز حتى يتمكن من تجاوز وضعية الجمود التي تسيطر عليه.

2-أخطاء علمية في القرآن

يقول الكاتب وعالم الفيزياء إسحاق أسيموف: إن الكتب المقدسة تشكل أهم دافع للإلحاد إذا قُرئت بشكل دقيق.[352]

على عكس ما يدعي أصحاب نظرية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة نجد الكثير من الأخطاء التي دحضها العلم الحديث في القرآن والسنة.

القرآن يعج بالأخطاء من كل نوع، منها الجغرافية والتأريخية والأخلاقية واللغوية والإجتماعية والعلمية والمنطقية والفنية والخرافية والأقتباسية وفي هذا الموضوع سوف نتكلم عن بعض الأخطاء العلمية والمنطقية فقط.

سنتطرق أولاً إلى الأخطاء العلمية بطرح جملة من الأمثلة وتحليلها

1-الأرض ثابتة لا تتحرك:

جاء في سورة لقمان1 "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ" وجاء في الرعد 3 "وَهُوالذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ". وجاء في سورة الحِجر 19 "وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ". وجاء في سورة النحل 15 "وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلا لعَلَّكُمْ

---

[352] إسحاق أسيموف192 0-1992 فيزيائي

تَهْتَدُونَ". وجاء في سورة الأنبياء 31 "وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلا لعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ".[353]

وقال البيضاوي تفسير للآية 31 من سورة الأنبياء : أن تميد بهم"كراهة أن تميد بهم وتضطرب. وقال تفسير لآية الرعد: وهو الذي مدّ الأرض" بسطها طولاً وعرض التثبت عليها الأقدام ويتقلب عليها الحيوان. وأجمل البيضاوي تفسير هذه الآيات بما فسر به النحل 15 فقال: وألقى في الأرض رواسي - جبالاً رواسي -أن تميد بكم- كراهة أن تميل بكم وتضطرب، لأن الأرض قبل أن تُخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك أوأن تتحرك بأدنى سبب للتحريك. فلما خُلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت الأوتاد التي تمنعها عن الحركة. وقيل لما خلق الله الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة ما هي بمقر أحدٍ على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال".[354]

ونحن نسأل: إذا كان واضحا أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة، وينشأ عن تلك الحركة الليل والنهار. وتدور حول الشمس مرة كل سنة، وينشأ عن ذلك الدوران الفصول الأربعة. فكيف تكون الأرض ممدودة مبسوطة ثابتة لا تتحرك، وأن الجبال تمنعها عن أن تميد؟

2- خلق العظام قبل اللحم يالقرآن:

"فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا" [355].

ورد في كتب التراث عن عبد اللّه بن مسعود قال حدثنا رسول اللّه: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أوسعيد"[356]

---

[353] آيات متفرقة من القرآن

[354] تفسير البيضاوي كتاب أنوار التنزيل و أسرار التأويل

[355] سورة المؤمنون الآية 14

[356] صحيح البخاري الحديث رقم 1543

كما ورد عن حذيفة بن أسيد قال: "إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث اللّه إليها ملكًا، فصورها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها. ثم يقول: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء"

أما يقوله العلم الحديث والطب المثبت أن النطفة تعيش 72 ساعة بجسم المرأة كحد أقصى. جنس الجنين ذكر أو انثى يتحدد في لحظة التلقيح، عند تكوّن اللاقحة

أو البويضة المخصبة واكتمال الـ(DNA)، ويحدد ذلك وجود الكروموسوم.

في اليوم التاسع يبدأ (اللحم) بالتشكّل ذلك عندما تلتحم البيضة الملقّحة بجدار الرحم وتبدأ بامتصاص الغذاء.

في اليوم 21: يظهر الجنين ويمكن تسجيل النبضات القلبية عندها ويبدأ الدوران الدموي.

السمع والبصر والعظام (العينين والأذنين والعمود الفقري (أول العظام التي تبدأ بالظهور تدريجيّا)) تبدأ بالتشكّل في اليوم الـ 28.

عظم الحنك يبدأ بالتكوّن ابتداءا من اليوم الـ 50.

في الاسبوع العاشر يبدأ تشكل غضاريف الجنين وعظامه الباقيّة.

العلم يقول أن العظام واللحم خلقا فى نفس الزمن لأن أي دارس لعلم الأجنة يعرف أن خلايا الجنين تنقسم إلى ثلاث طبقات:إكتوديرم وميزودرم وإندوديرم والأولى يتكون منها المخ والأعصاب والجلد والثانية وهى محور حديثنا يتكون منها العظام والعضلات بالتزامن والتوازى وليس عظم قبل لحم كما كان القدماء يتصورون أما الطبقة الأخيرة فمنها الأمعاء والكبد. بالتالي فالروآية الواردة بالقرآن تسقط علمياً وينفيها العلم الحديث .

3-النجوم رجوم للشياطين:

جاء في سورة المُلك 5"وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوما لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ".

وفسرها البيضاوي بقوله: ولقد زيّنا السماء الدنيا - أقرب السموات إلى الأرض - بمصابيح - بالكواكب المضيئة بالليل إضاءة السرج فيها، والتنكير للتعظيم، ولا يمنع

ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها إذ التزيين بإظهارها فيها. وجعلناها رجوما للشياطين "وجعلنا لها فائدة أخرى وهي رجم أعدائكم، والرجوم "جمع رَجَم، وهو مصدر سُمي ما يرجم به بانقضاض الشهب المسببة عنها، وقيل معناه وجعلناها رجوماً وظنونا لشياطين الإنس، وهم المنجمون".[357]

ونحن نسأل: إذا كان كل كوكب هو عالم ضخم، والكواكب هي ملايين العوالم الضخمة تسبح على أبعاد شاسعة في فضاء لا نهائي، فكيف نتصور الكواكب كالحجارة يمسك بها ملاك في حجم الإنسان ليضرب بها الشيطان منعا له من استماع أصوات سكان السماء؟ هل كل هذه الأجرام السماوية خُلقت لتكون ذخيرة أوعتاداً حربياً كالحجارة لرجم الشيطان حتى اشتهر اسمه بالشيطان الرجيم؟ وكيف يطرح الملائكة الكواكب؟ وكيف يُحفظ توازن الكون إذا سارت في غير فلكها ولماذا مازالنا نرى الشهب تهوي رغم انقطاع الوحي فلايوجد ما يدعو الشياطين للتنصت.

4-السماء سَّقْفٍ مَرْفُوعِ

السماء في القرآن عبارة عن بناء صلب مرفوع عن سطح الأرض ليس له شقوق ومزيّن بالنجوم، فالقرآن يقول: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُم. لقمان10

يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوقَهُم كَيفَ بَنَينَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ. ق6

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا سورة. ق 38

هُو الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ. البقرة :29

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا. (ملتحمتان ففصلناهما [358]

هذا الأمر من غير الممكن تصوره إلا إذا كانت الأرض مسطّحة والسماء فوقها تناظرها (وهذا ما يطابق تصوّرات بطليموس لشكل الكون) حيث اعتبر أن النجوم والكواكب مكوّنة من تجمّعات على سبع طبقات متناظرة في السماء وأنها صلبة عدا

---

[357] تفسير البيضاوي ج2 ص 510

[358] سورة الإنبياء الآية 30

السماء الدنيا ومرفوعة من دون عمد والأرض ثابتة وهي أكبر من الكواكب والنجوم. ونجد هذا جليّا بتصوراته وآياته التي توضح ذلك "وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ" سورة الحج 65"رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ" الرعد "وجعلنا السماء سقفا محفوظاً" الأنبياء :32"وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ" الرحمن:7 "وَيُمسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرضِ إِلَّا بِإِذنِهِ - وبنينا فوقكم سبعا شدادا".

فهل يمكن تصوّر أن الأرض انفصلت عن الفضاء ومليارات المجرات الكونية والتي تحوي مليارات المليارات من الكواكب والنجوم والتي تحاوطها من كل الجهات -وهل يمكن فصل الفضاء عن الأرض التي هي مفصولة عنها بالأساس؟ وهل يمكن شقّ السماء ان لم تكن هي صلبة بالأساس " اذا السماء انشقت" إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَت وفُتحت السماء فكانت أبوابا".

فشكل الأرض والفضاء كان وفق نظريات الفلكيين القدماء كبطليموس وغيره.

فيما لم يرد ايّ آية واحدة بها تثبت تكوير الأرض بشكل مبيّن فكانت دائما مسطّحة.

5 -القمر ينير السماوات السبع:

أ"لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا - وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا" نوح 15-16

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) ذكر لنا أن عبد الله بن عمروبن العاص كان يقول: إن ضوء الشمس والقمر نورهما في السماء، اقرءوا إن شئتم: (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا) إلى آخر الآية.[359]

---

[359] تفسير الطبري ج 10 صفحة 225

حدثنا ابن عبد الأعلى[360]، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن عبد الله بن عمروأنه قال: إن الشمس والقمر وجوههما قبل السماوات، وأقفيتهما قبل الأرض، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله: (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا).

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (وجعل القمر فيهن نورا) يقول: خلق القمر يوم خلق سبع سماوات.

فهل حقا ينير القمر السماوات السبع الطباق؟وهل يضيء القمر المجرة والكون المعتم بنوره؟ وماذا عن الشمس المعطوفة عليه، هل هي أيضا تنير الطبقات السبع؟

6-الماء الذي خلق منه الانسان يخرج من بين الأضلاع حسب القرآن.

يذكر القرآن أن الماء الذي خلق منه الأنسان (المني) يخرج من بين الأضلاع والعمود الفقري وذلك قوله (فلينظر الانسان ممّ خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) سورة الطارق وهذا معتقد خاطئ كان موجودا عند الإغريق.
والحقيقة هي أنه لا توجد أي غدة قرب الأضلاع تساهم أي مساهمة في تكون نطفة الرجل، وأن الحيوانات المنوية تتكون في الخصية.

7-الشمس تدور حول الارض حسب القرآن:

جاء في سورة يس "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ".
في الصحيحين وغيره، قال الرسول محمد لأبي ذر حين غربت الشمس واللفظ للبخاري: (أتدري أين تذهب). قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها.

أضف الى ذلك قول ابراهيم (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب)

---

[360] أنيس الساري 1-11-2 صفحة1515

ونحن نسأل: الشمس ثابتة تدور حول نفسها ولا تنتقل من مكانها، والأرض هي التي تدور حولها. فكيف يقول القرآن إن الشمس تجري، وإن لها مستقراً تسير إليه؟

8-مغيب الشمس في بئر حمئة:

جاء في سورة الكهف:86 وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوعَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً إِنَّا مَكَّنَّالهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً.
ويقول تفسير البيضاوي على هذه الآية: إن اليهود سألوا محمداً عن إسكندر الأكبر، فقال إن الله مكّن له في الأرض فسار إلى المكان الذي تغرب فيه الشمس، فوجدها تغرب في بئر حمئة، وحول البئر قوم يعبدون الأوثان! وسار إلى المكان الذي تطلُع منه الشمس فاكتشف أنها تطلع على قوم لا يسترهم من الشمس بيوت أو ثياب، وسار في طريق معترض بين مطلع الشمس ومغربها إلى الشمال فوجده ينتهي إلى جبلين، فصبّ بينهما ردماً من الحديد وكوّن بذلك سداً منيعا لا يدركه إلاّ الله يوم قيام الساعة. وقال البيضاوي: إن ابن عباس سمع معاوية يقرأ "حامية" فقال "حمئة" فبعث معاوية إلى كعب الأحبار: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال في ماء وطين".[361]
ونحن نسأل: إذا كانت الشمس أكبر من الأرض مليون أو ثلاثين ألف مرة، فكيف تغرب في بئر رآها ذو القرنين ورأى ماءها وطينها ورأى الناس الذين عندها؟

في القسم الثاني من بحثنا سوف نتطرق إلى بعض الأخطاء المنطقية في النص القرآني

1-خطأ حسابي في آية الميراث:
(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ

[361] تفسير البيضاوي ج3 ص 474

السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)[362]

هذه آية المواريث، إذا نظرنا إلى نص الآية كما هو (دون تأويل) نجد أن هناك خطأ حسابيا حيث لا يمكن تطبيق هذه الآية فعليا في كثير من الحالات، لذلك اختلف المسلمون فيما بينهم، فمنهم من فسر بالعول وذهب الى هذا الإتجاه أغلب أهل السنة والجماعة أما الشيعة فذهبوا الى فكرة أن الميراث أولويات على حسب القرابة.

لتوضيح الفكرة سنذكر هذه القصة التي حدثت في زمن عمر بن الخطاب وعندها بدأ الخلاف بين المسلمين لأنه قبل هذه القصة لم يكونوا قد فكروا بهذه الإحتمالية، ولا ادري كيف غفل الله ولم يفكر في هذه المسألة.

والقصة كالتالي:

ماتت امرأة في عهد عمر بن الخطاب وكان لها زوج وأُختان، فجمع عمر الصحابة وقال لهم: فرض اللّه تعالى للزوج النصف، وللأُختين الثلثين، فإن بدأتُ للزوج لم يبق للأُختين حقّهما، وإن بدأتُ للأُختين لم يبق للزوج حقُّه فأشيروا عليَّ، فاتّفق رأي أكثرهم على العول، أي إيراد النقص على الجميع من دون تقديم ذي فرض على آخر، وخالف ابن عباس وقال: إنّ الزوجين يأخذان تمام حقّهما ويدخل النقص على البنات.

2- (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .[363]

إذا نظرنا إلى نص الآية كما هو دون تأويل نجد أن هناك خطأ علميا فالأرحام يمكن مشاهدة ما بها عن طريق التكنولوجيات الحديثة.

3-(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ 69 ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).[364]

---

[362] سورة النساء الآية 11

[363] سورة لقمان الآية 34

[364] سورة النحل الآية 69

إذا نظرنا إلى نص الآية كما هو دون تأويل نجد أن هناك خطأ علميا فالنحل لا يخرج العسل من بطنه بل من فمه وإذا كان المقصود من بطنه ثم من فمه فيكون النص القرآني تنقصه الدقة العلمية.

وهناك خطأ أخر في كون النحل لا يأكل من كل الثمار بل يتغذى على رحيق الأزهار وغبار الطلع.

4-(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ) الملك 30

الآية تتحدث عن الماء عندما يكون بعيدا جدا بالعمق لا يمكن أن يأتي به أحد، إذا نظرنا إلى نص الآية كما هو دون تأويل نجد أن هناك خطأ علميا في كون الماء الغائر يمكن سحبه بالأجهزة الحديثة إلى الأعلى باستخدام المضخات مثلا.

5-(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)الاسراء 70

إذا نظرنا إلى نص الآية كما هو دون تأويل نجد أن هناك خطأ علميا فيجب أن تكون "وحملناهم في البر والبحر والجو" لأن يجب أن يعلم أن الإنسان سوف يخترع الطائرات.

6- (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَالا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الاعراف179

إذا نظرنا إلى نص الآية كما هو دون تأويل نجد أن هناك خطأ علميا فالقلب لا يفكر ولا يفقه،هذا ما يجمع عليه العلم أن الدماغ هو من يفكر ويفقه.

7-الله خلق الارض في أربعة أيام وباقي الكون في يومين فقط:

(قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين (9) وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة سواءً للسائلين (10) ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرضائتيا طوعاً أوكرهاً

قالتا أتينا طائعين (11) فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم (12)).[365]

هل يعقل أن الأرض خلقت في أربعة أيام بينما أستغرق خلق السبع سماوات والمجرات اللامتناهية يومين فقط بالرغم من إثبات العلم الحديث مما لا يدع شكا أن الفرق بينهما لا متناهي لدرجة لا يتصورها العقل.

لماذا استغرق خلق الارض ضعف المدة اللازمة لخلق السبع سماوات بمشتملاتها.

8-وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ. سورة البقرة آية 30

بعض الاسئلة تحوم حول هذه الآية وهي:

كيف عرفت الملائكة مسألة الدماء؟ فهم لم يسمعوا من الله سوى كلمة خليفة إذن كيف استنتجوا وجود الدماء فى ذلك الخليفة؟

كلمة تسفك يعنى يريق والإراقة لا تحدث إلا فى المادة السائلة أي أن الملائكة توقعت أن الدماء ستكون مادة سائلة وإنها تراق.

توقعت الملائكة توقع صحيح أخر وهو أن ذلك الخليفة يمكن قتله وهوعن طريق إراقة تلك المادة السائلة وهي الدماء.

ما كان الغرض من إخبار الملائكة بمسألة إنشاء الخليفة؟ آلم يكن يعلم أن الله الملائكة سيكون ردها واضح وهو رفضها الصريح لجعل خليفة في الأرض.

فعلا انتصرت الملائكة على الله بعد ان حذرته من ذلك الخليفة وقالت انه سيعوث فى الارض فسادا ويسفك الدماء،وفعلا هذا ما حدث، فهل الملائكة تعلم الغيب أيضا أم ماذا؟

قول الملائكة (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) إذن الله خلق الملائكة لكي يقسده ويسبحوا له، ما الفائدة التى تعود على الله من تسبيح الملائكة له؟ هل يحب أن

---

[365] سورة فصلت الآية 9-12

يشاهدهم يخضعون له لكي يشعر بقوته وجبروته؟ لماذا يحتاج إلى تسبيح البشر والشجر والحيوانات والشمس والقمر الخ؟ أليس هذا منافيا لصفة الكمال؟

وننتهي إلى أهم نموذج علمي يعتبره المسلمون معجزة ويراه الباحثون خطأ علمي ومنطقي ورد في بعض المواضع في القرآن ذكر لقصة البحرين نأتي على ذكر البعض منها وتحليلها:

سورة الرحمن (19- 23): مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ، فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ، فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

سورة النمل (61): أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

معنى كلمة بحر في معجم المحيط: البَحْرُ: متسع من الأرض مغمور بالماء المالح وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ والنهر العظيم، الكريم، هوالبحر في عطائه.[366]

وفي معجم محيط المحيط: البَحْرُ: الماءُ الكثيرُ، مِلْحاً كان أوعَذْباً، وهوخلاف البَرِّ، سمي بذلك لعُمقِهِ واتساعه.

وفي مختار الصحاح: البَحْرُ: ضد البر قيل سمي به لعمقه واتساعه.[367]

وفي القاموس الوسيط: البَحرُ: الماءُ الكثيرُ أوالمِلْحُ فَقَطْ.وفي معجم لسان العرب: البَحْر: خلاف البَرّ والماءُ الكثير أوالمِلْح فقط.[368]

إذن كلمة بحر لها معنى أخر غير المعنى الذي نعرفه حاليا وهو يفيد الأنهار العذبة أيضا. هذا المعنى بالذات هوالذي استخدمه القرآن في الآيات السابقة وهو ما سيتضح بشكل حاسم من خلال القرينة القرآنية.

معنى كلمة برزخ، في مختار الصحاح: البَرْزَخُ هو الحاجز بين الشيئين وهو أيضا ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل البرزخ.

---

[366] المعجم المحيط للشيرازي

[367] مختار الصحاح لأبو بكر الرازي

[368] القاموس الوسيط مجمع اللغة العربية القاهرة

وفي معجم المحيط: البَرْزَخُ: الحاجز بين شيئين: أرض ضيقة بين بحرين.-: ما بين الموت والبعث.

وفي معجم الوسيط: بَرْزَخٌ ، بَرازِخُ: قِطْعَةُ أَرْضٍ ضَيِّقَةٌ، مَحْصورَةٌ بَيْنَ بَحْرَيْنِ، مُوصِلَةٌ بَيْنَ أَرْضَيْنِ، بَرَّيْنِ. وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثونَ. (قرآن): حائِلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّجْعَةِ، الحاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ.

وفي معجم المحيط: البَرْزَخُ ما بين كل شيئين، وفي الصحاح: الحاجز بين الشيئين. والبَرْزَخُ ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البَرْزَخَ. وفي حديث المبعث عن أَبي سعيد: في بَرْزَخٍ ما بين الدنيا والآخرة; قال: البَرْزَخُ ما بين كل شيئين من حاجز، وقال الفراء في قوله تعالى: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون.

إذن كلمة برزخ لها كل هذه المعاني الكثيرة. فيمكن أن تكون أرضا. ويمكن أن تكون حاجزا بين الدنيا والآخرة. ويمكن أن تكون جزءً منقبضا من الغدة الدرقية. والواضح من هذه المعاجم اللغوية مجتمعة أن البرزخ هو الحاجز بين شيئين وليس بالضرورة أن يكون الشيئان ماءً.

إذ كان معنى كلمتي بحر وبرزخ مختلفتين فما هو المعنى المقصود في النص القرآني؟

لفهم هذه النقطة نواصل البحث في النصوص القرآنية المهة حتى نتوصل إلى المعنى:

جاء في سورة الفرقان 53: وهُوالَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا.

فالقرآن يؤكد إطلاق لفظ بحر على النهر العذب أيضا. ثم يسمي الفاصل بين الماء العذب والماء المالح برزخا.

ورد في سورة فاطر: ومَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.[369]

[369] سورة فاطر الآية 12

إذن فالبحران المقصودان في القرآن هما النهر بمائه العذب الفرات والبحر (كما نعرفه) بمائه المالح الاجاج والبرزخ المقصود إذن هو حاجز بين النهر والبحر.

وبالعودة لبعض التفاسير يقول شيخ المفسرين الطبري: وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجزاً أي بين العذب والملح أن يفسد أحدهما الآخر.

يقول القرطبي: "وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا" مَانِعًا مِنْ قُدْرَته لِئَلَّا يَخْتَلِط الْأُجَاج بِالْعَذْبِ.[370]

وَقَالَ اِبْن عَبَّاس: سُلْطَانًا مِنْ قُدْرَته فَلَا هَذَا يُغَيِّر ذَاكَ وَلَا ذَاكَ يُغَيِّر هَذَا. وَالْحَجْز الْمَنْع.

والشيعة أيضا فهموا الحاجز بين البحرين على أساس أنه الفاصل بين العذب والمالح.[371]

"وجعل بين البحرين حاجزا" أي مانعا من قدرته بين العذاب والملح فلا يختلط أحدهما بالآخر.

جاء ذكر قصة البحرين في القرآن بصيغة المتحدي وكأنه يتحدث عن شيء لم يكن معلوم من قبل وهذا ما يرتكز عليه دعاة الإعجاز فهل كانت هذه الظاهرة (وجود حاجز أوبرزخ مائي بين مياه البحر ومياه النهر) معروفة وشائعة قبل زمن محمد؟

لاحظ الصيادون هذه الظاهرة منذ القدم حيث إن شباكهم تتمايل في جهتين وتتراقص في الماء مما اثبت لهم وجود تيارين متعاكسين في مناطق الأستواء.

إذن من السخف أن نسمي هذا إعجازا، لأن هذه الظاهرة معروفة منذ زمن قديم قبل محمد، وذكرها أرسطو بالتحديد حوالي عام 350 قبل الميلاد في كتابه المسمى Meteorology[372]

والمقطع التالي من الكتاب يتحدث عن الظاهرة:

---

[370] تفسير القرطبي ج 9 ص 106

[371] مجمع البيان في تفسير القرآن الفضل بن الحسين الطبرسي

[372] كتاب Meteorology لأرسطو

The drinkable، sweet water، then، is light and is all of it drawn up: the salt water is heavy and remains behind، but not in its natural place.

والذي يقول: الماء الصالح للشرب أو الحلو أخف وينسحب عن الماء المالح والذي يكون ثقيلاً والذي لا يكون في مكانه الطبيعي.

وقد فسر عالم الطبيعيات "بليني" الذي عاش 5 قرون قبل محمد هذه الظاهرة. وهذا جزء من النص:

Pliny the Elder, the noted Roman naturalist, senator, and commander of the Imperial Fleet in the 1st century A.D., observed this peculiar behavior of fishermens' nets in the Strait of Bosphorus، near Istanbul. Pliny deduced that surface and bottom currents were flowing in opposite directions,and he provided the first writtendocumentation of what we now call the "estuarine circulation".[373]

الأن السؤال: الرسول محمد تحدث عن الظاهرة بعد 1000 عام من أرسطو و هناك من يسمي هذا إعجاز؟ هل هذا إعجاز أم سفسطة من المسلمين الذين يكذبون على العلم و يغلفون الحق بالباطل لعجزهم و ضعف مساهماتهم العلمية في العصر الحديث؟

إن المقاربات العلمية بين القرآن والإكتشافات الحديثة تكشف عجز المسلمين لا عن إعجاز القرآن بل إنهم وبطرحهم الساذج جعلوا نصوصهم المقدسة عرضةً للنقد والتندر بسبب محاولة البعض حرف الكلام عن معانيه.

[373] عالم الطبيعيات بليني

مغالطات يروج لها كحقائق

مكة ليست مركز الكون.

ماء زمزم مضر بالصحة.

لحم الخنزير مفيد للصحة الإنسان.

صيام رمضان مضر بالصحة.

هذه أهم النقاط التي سنطرحها لإثبات زيف الإدعاءات التي يروج لها المسلمون ومن خلالها يريدون إثبات علاقة التكامل بين الإسلام والعلم في حين أن العلم يقول عكس ما يروج له المسلمون. ينشر دعاة الإعجاز إدعائات سخيفة يزيننونها بنصوص قرآنية والذي يبدوأن الغرض الحقيقي من استعماله هو فرض "حضر التجول" على عقل القارئ وإبعاده عن التفكير النقدي العلمي.

أ- مكة ليست مركز الكون

علميا لا أحد يعرف مركز الكون.

مدعوا الإعجاز يزعمون التالي:

-مكة تقع في مركز اليابسة.

-الإتجاه الشمالي الجغرافي لمكة ينطبق على إتجاه الشمال المغناطيسي.

-مكة تمثّل مركز الجاذبية الأرضية.

كانت قناة الجزيرة[374] قد نشرت مقابلة مع د.زغلول النجار ادعى فيها أن مدينة مكة تقع في المركز الجغرافي للأرض اليابسة، ولا يزال هذا المقال منشورا في أرشيفها على الإنترنت. العجيب أن هذا الإدعاء قد انتشر بين المسلمين دون أن يقدم مدعيه أي دليل علمي عليه. وتنشر مواقع إسلامية عدة المقال التالي الذي يشرح كيف أن مكة هي مركز الأرض:

الإكتشاف العلمي الجديد الذي كان يشغل العلماء والذي أعلن في جانفي1977 أكد على: أن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في العالم.

---

[374] مقابلة بثتها قناة الجزيرة مع الشيخ زغلول النجار بتاريخ 2004/10/03

وهذه الحقيقة الجديدة استغرقت سنوات عديدة من البحث العلمي للوصول إليها، واعتمدت على مجموعة من الجداول الرياضية المعقدة، إستعان فيها العلماء بالحاسب الآلي.

ويروي العالم المصري الدكتور حسين كمال الدين[375] قصة الإكتشاف الغريب فيذكر: أنه بدأ البحث وكان هدفه مختلفا تماما حيث كان يجري بحثا ليعد وسيلة تساعد كل شخص في أي مكان من العالم،على معرفة وتحديد مكان القبلة، لأنه شعر في رحلاته العديدة للخارج أن هذه هي مشكلة كل مسلم عندما يكون في مكان ليست فيه مساجد تحدد مكان القبلة،أو يكون في بلاد غريبة، كما يحدث لمئات الآلاف من طلاب البعثات في الخارج.

لذلك فكر الدكتور حسين كمال الدين في عمل خريطة جديدة للكرة الأرضية لتحديد إتجاهات القبلة عليها وبعد أن وضع الخطوط الأولى في البحث التمهيدي لإعداد هذه الخريطة ورسم عليها القارات الخمس،ظهر له فجأة هذا الاكتشاف الذي أثار دهشته. فقد وجد العالم المصري أن موقع مكة المكرمة في وسط العالم. وأمسك بيده (برجلا) وضع طرفه على مدينة مكة،ومر بالطرف الأخر على أطراف جميع القارات فتأكد له أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعا منتظما.

ووجد مكة -في هذه الحالة- هي مركز الأرض اليابسة. وأعد خريطة العالم القديم قبل اكتشاف أمريكا وأستراليا وكرر المحاولة فإذا به يكتشف أن مكة هي أيضا مركز الأرض اليابسة، حتى بالنسبة للعالم القديم يوم بدأت الدعوة للإسلام.

ويضيف العالم الدكتور حسين كمال الدين: لقد بدأت بحثي برسم خريطة تحسب أبعاد كل الأماكن على الأرض،عن مدينة مكة،ثم وصلت بين خطوط الطول المتساوية لأعرف كيف يكون إسقاط خطوط الطول وخطوط العرض بالنسبة لمدينة مكة، وبعد ذلك رسمت حدود القارات وباقي التفاصيل على هذه الشبكة من الخطوط، واحتاج الأمر إلى إجراء عدد من المحاولات والعمليات الرياضية المعقدة، بالاستعانة بالحاسب الآلي لتحديد المسافات والانحرافات المطلوبة، وكذلك احتاج

[375] الدكتور حسين كمال الدين في كتابه المرشد في لأتجاهات القبلة و المواقيت للصلاة

الأمر إلى برنامج للحاسب الآلي لرسم خطوط الطول وخطوط العرض،لهذا لإسقاط الجديد. وبالصدفة وحدها اكتشفت أنني أستطيع أن أرسم دائرة يكون مركزها مدينة مكة وحدودها خارج القارات الأرضية الست،ويكون محيط هذه الدائرة يدور مع حدود القارات الخارجية. مكة إذن - بتقدير الله- هي قلب الأرض،وهي بعض ما عبر عنه العلم في اكتشاف العلماء بأنه مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي، يوائمه ظاهرة عجيبة قد تذوقها كل من زار مكة حاجا أم معتمرا بقلب منيب،فهو يشعر أنه ينجذب فطريا إلى كل ما فيها أرضها وجبالها وكل ركن فيها حتى ليكاد لو استطاع أن يذوب في كيانها مندمجا بقلبه وقالبه. وهذا إحساس مستمر منذ بدء الوجود الأرضي. والأرض شأنها شأن أي كوكب آخر تتبادل مع الكواكب والنجوم قوة جذب تصدر من باطنها. وهذا الباطن يتركز في مركزها ويصدر منه ما يمكن أن نسمية إشعاعا. ونقطة الالتقاء الباطنية هي التي وصل إليها عالم أمريكي في علم الطوبوغرافيا بتحقيق وجودها وموقعها جغرافيا، وهوغير مدفوع لذلك بعقيدة دينية،فقد قام في معمله بنشاط كبير مواصلا ليله بنهاره وأمامه خرائط الأرض وغيرها من الآت وأدوات فإذا به يكتشف -عن غير قصد- مركز تلاقي الإشعاعات الكونية هو مكة. ومن هنا تظهر حكمة الحديث الشريف المبنية على قول الله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) ومن ثم يمكن التعرف على الحكمة الإلهية في اختيار مكة بالذات ليكون فيها بيت الله الحرام، واختيار مكة بالذات لتكون نواة لنشر رسالة الإسلام للعالم كله. وفي ذلك من الإعجاز العلمي في الحديث الذي أظهر أفضلية مكانها عن سائر البقاع.انتهى الإقتباس.

كما نلاحظ هذا الإكتشاف المعجز لم يصدر من مؤسسة دولية أو جامعة علمية معروفة إنما هو مجرد فكرة يراد بها اقناع الناس بأن الإسلام دين معجز.

بمجرد أن تنظر بالعين المجردة للخريطة أو تأخذ مسطرة وتقيس أقطار اليابسة حول مكة من كل جهة ستكتشف أن مكة ليست مركزا للأرض.

زد على ذلك إن قمنا تصغير وتكبير الشعاع على الخريطة المسطحة هناك إحتمال أنه يمكننا أن نأسس لدائرة تمر بالمناطق القارية. لعلمك القارات في تحرك دائم، ألم

يفكر هذا العالم أن هذا التمركز وإن كان صحيحا حاليا فهو حتما سيختل ولوب ملمترات في ظروف من الزمن؟

وإت إفترضنا أن المركز المقصود منه هو تساوي المسافة عن أطراف القارات، لكانت المنطقة الموجودة رأسيا في الجهة السفلى مباشرة من الكعبة أيضا مركز، فأيهما المركز الكعبة أم المنطقة الأخرى. ذلك أن الأرض مجسم بيضاوي فكل نقطة لها أخرى مقابلة.

للتوضيح:خذ كرة أو حجرا أو مكعبا أو أي شكل، هل يمكن أن نقول أن مركز المكعب هو منتصف قطر وجه المكعب مثلا أو أي نقطة في أوجه المربع؟ لا طبعا وحتى لو فرضنا ذلك فتكون المراكز متعددة ويكون عندنا أربع مراكز، كذلك الكرة الأرضية لا يصح أن نقول أن مركزها في سطحها، لو اعتبرنا أن الأرض شيء مسطح لربما قبلنا بمركزية مكان على سطحه. لكن الأرض بيضاوية. إذا كان مركزها في سطحها ماذا سنقول عن اللب اللذي تتساوى مسافته عن الأجزاء العلوية للأرض؟

ب- ماء زمزم قد يكون مضرا بالصحة

ككل الأديان التوحيدية والوثنية في الإسلام نجد "بئر ماء مقدسة" وهي بئر زمزم والذي تشرف عليه وزارة البيترول السعودية حيث أنه يعتبر ثروة وطنية ذات قيمة إقتصادية دينية هامة.

تقديس المياه عادة قديمة تتشارك فيها كل الحضارات ذلك أن الماء هو مصدر الحياة.

ماء زمزم حسب الميثولوجيا الإسلامية هو ماء مبارك من عند "الله" وهو شفاء لكل الأمراض ويشبع الجائع كما أنه يحقق أماني شاربهُ و ورد في الآثر عن الرسول محمد أنه قال: عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ماء زمزم لما شرب له" فاللهم إني أشربه لعطش يوم القيامة.

قال الرسول في ماء زمزم:" إنها مباركة و إنها طعام طعم".[376]زاد الطيالسي في روآية له: "وشفاء سقم". أي شرب مائها يغني عن الطعام ويشفي من السّقام لكن مع

---

[376] صحيح مسلم 1922/4

الصدق كما ثبت عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه أقام شهراً بمكة لا قوت له إلا ماء زمزم.[377]

فهل هذه المياه مباركة حقا؟ هل تشفي الأمراض فعلا؟، أترك الإجابة للتقرير الذي أعدته بي بي سي العربية عن نتائج الإختبارات التي اجريت على عينات من مياه زمزم حيث نشرت بي بي سي تقريرا بعنوان:

إختبارات تظهر أن مياه شرب ملوثة من زمزم تباع في بريطانيا. وورد في التقرير ما يلي [378]:

علمت بي بي سي أن مياه شرب ملوثة بالزرنيخ يقال أنها من بئر زمزم في مكة تباع حاليا في محلات ببريطانيا.

وتبين من تحليل عينات من هذه المياه أن مصدرها من البئر كما أنها تحتوي على مكونات كيميائية وبيولوجية ضارة بصحة الانسان.

يشار الى أن زوار وحجيج مكة مسموح لهم العودة بكميات محدودة من هذه المياه، لكن لا يمكن استيرادها للإستخدامات التجارية.

إلا أن باحثا يعمل متخفيا وجد أن كميات كبيرة من عبوات تعبئة هذه المياه تباع في ضواحي لندن وبلدة لوتن شمال العاصمة.

وقال رئيس جمعية المحللين للشؤون العامة دونكان كامبل: "نحن لا ننصح بشرب هذا الماء على الإطلاق".

وأظهر تحقيق صحفي قام به فريق من بي بي سي أن ماء زمزم يباع في محلات بيع الكتب الإسلامية في مناطق وندزورث، وجنوب غربي لندن، وابتون بارك، وشرقي لندن، الى جانب لوتن وبدفوردشير.

مواد مسرطنة.

وقال كامب لأن"هذا الماء مسموم بسبب وجود مستويات عالية من الزرنيخ، وهو مادة مسرطنة، ويمكن أن تؤدي للإصابة بالسرطان".

---

[377] النور الساري من فيش صحيح الأمام البخاري -ج4

[378] تقرير بي بي سي بتاريخ الخميس، 5 ماي 2011

وأضاف أنه "بسبب الأهمية الدينية لهذا الماء عند المسلمين الساعين إلى حج مكة ندعو الى أن تستهلك كمية محدودة معروفة فقط، ولا يجب تجاوزها حفاظا على الصحة الفردية".

وقد أظهرت تسجيلات سرية كيف يصف بعض زبائن محلات لندن إعتمادهم على الشرب اليومي لهذه المياه.

وقال صاحب محل لبيع الكتب الإسلامية في ضاحية ابتون بارك اللندنية أن مستهلكيها يعتمدون عليها كليا، ولا يشربون غيرها، وبشكل يومي.

وكانت هيئة الرقابة على المواد الغذائية في بريطانيا قد أوصت العام الماضي بتجنب إدخال هذه المياه إلى بريطانيا، وتقول أنها تأتي من مصادر مشكوك فيها.

فحص عينات

وطلبت بي بي سي من أحد الحجاج أخذ عينات من صنابير مياه مرتبطة ببئر زمزم، وكذلك شراء عبوات منها معبأة هناك، ومقارنتها بالمياه التي تباع بشكل غير مشروع في بريطانيا.

وتبين أن تلك العينات من المصدرين تحتوي على مستويات عالية من النيترات، وأنواع ضارة من البكتيريا، وآثار من الزرنيخ، أعلى ثلاث مرات من المستوى المسموح به.

وقال الدكتور يونس رمضان تيناز، وهو خبير صحة بيئية كان قد حذر من موضوع مياه زمزم، أن الموضوع يحمل حساسية دينية، لأن المسلمين يرون فيها مياه مقدسة.

وأضاف أن المسلمين قد يجدون صعوبة في تصديق أنها مياه ملوثة، داعيا السلطات السعودية والبريطانية إلى اتخاذ ما يلزم لمعالجة الموضوع.انتهى ومؤخرا في شهر فيفري2019 أثارت الدكتورة خولة الكريع[379]، ضجة كبيرة على مواقع التواصل الإجتماعي ، حيث قالت في لقاء تلفزيوني، إن شرب ماء زمزم ضار لمريض السرطان.

---

[379] خولة الكريع 1973 كبيرة علماء أبحاث السرطان في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث بالرياض

وعللت الدكتورة قولها بأن ماء زمزم ضار بسبب نسبة ملوحته المرتفعة وإحتوائه على نسب مرتفعة من الزرنيخ والكبريت.

وقد تعرضت الدكتورة لحملة تشويه كبرى من قبل المسلمين الذين يصرون على تكذيب العلم وتصديق الخرافات.

ج-لحم الخنزير ليس مضرا بصحة الإنسان

المسلمون يحاولون إلصاق كل الرزايا والخطايا الصحية بلحم الخنزير، بدآية من الدودة الشريطية وإنتهاء بأن لحم الخنزير يجعل الرجل ديوثا أي لايغار على إمرأته. والرد بسيط فإذا كان لدى الخنزير دودة التينيا سوليم ففي البقرة التينيا ساجيناتا، وإذا كان الخنزير يتغذى على القمامة،فأتمنى أن يذهب الإعجازيون في رحلة إلى حظائر الخنازير الخمس نجوم فى الخارج ليشاهدوا أنها تتفوق فى نظافتها على مساكن العشوائيات التى تعد بعشرات الألاف فى بلادنا والبشر عندنا هم من يتغذون من القمامة، ومن عاش فى الريف لابد أنه قد شاهد ماذا تأكل الدواجن وهى تسرح أمام البيوت، والتى أحيانا تقتات بالفضلات.

يروج دعاة الإعجاز أن الكثير من الأطباء في الغرب أسلموا عندما اكتشوا أضرار لحم الخنزير واعتنقوا الإسلام لأنه يحرمه والحقيقة أن هذه الفكرة السخيفة منتشرة بين الطبقات المتعلمة والأمية في العالم الإسلامي. بينما اليهودية كانت سابقة في تحريم الخنزير بما يقارب 1400 سنة فكان على هؤلاء الأطباء إعتناق اليهودية بدل الإسلام .

الشعوب في أوربا وأمريكا وغيرها من المناطق تقبل على تناول لحم الخنزير بكثرة في المقابل لدى هذه الشعوب تسجل أهم المؤشرات الإيجابية على المستوى الصحي كما تسجل في أعلى معدلات الأعمار مقارنة بالشعوب الإسلامية التي تمتنع عن أكل الخنزير والتي يعاني فيها الإنسان من أمراض مزمنة كالدم والقلب والسكري كم لا تتخطى فيها معدلات البقاء على قيد الحياة الـ70 سنة.

لذلك ليس هناك أي علاقة بين لحم الخنزير وصحة الإنسان ما هي إلا أكاذيب تروجها أبواق المفلسين.

وهل يعلم منظري الإعجاز أن الأنسولين يتم استخلاصه من الخنزير على وجه التحديد، وذلك لجودة نوع الانسولين الذي يفرزه بالمقارنة بباقي أنواع الحيوانات،

كما أن الأنسولين المستخلص من الخنزير، يتشابه بشكل كبير في التركيب مع الأنسولين المفروز من بنكرياس الإنسان، من حيث التركيبة والأداء كما أن العلماء قد وجدوا، أنه نادرا ما تحدث تفاعلات أو مضاعفات عند الإنسان، إذا تم حقنه به ولا يتغير تأثيره، ومفعوله مع الاستخدام لفترات طويلة.

وهل تعلم أن شيوخ الإسلام حرموا التداوي بالأنسولين المستخرج من الخنزير

وهل تعلم أن وجود منافع للخنزير ينسف الأسباب الشرعية لتحريمة.

ثانيا أيهما أكثر معصية شرعا: أكل لحم الخنزير أم ممارسة الجنس و شرب الخمر ؟ممارسة الجنس و تناول الخور طبعا،و قد تم تحريمهما في أكثر من موضع و بالرغم من هذه الحقيقة البسيطة، المؤمن يمارس الجنس مع علمه المسبق بأنه معصية و يشرب الخمر و يسرق و يكذب ، بينما عندما يكون الموضوع لحم الخنزير، يتحول إلى أبي قتادة و يشمئز من فكرة تناوله.فما هو السبب ؟

المؤمن لا يمتنع عن أكل لحم الخنزير لأنه فقط "حرام" و لا يأكله بسبب إعتقادات .

هولا يأكل لحم الخنزير ليس لأنه مُحرّم.
الكحول والجنس من المحرمات. حتى أن ممارسة الجنس لها عقوبة شرعا"الجلد" وعقاب في القبر وعقاب في الأخرة في المنظور الديني. أما أكل لحم الخنزير لا حد عليه في الشريعة.

المسلم لا يأكل لحم الخنزير، لأنه يوجد بدائل عنه باقي اللحوم . وثانيا والأهم، لإعتقاده بأنه يذهب الغيرة ويجعله ديوث، فيترك زوجته تمارس الجنس مع كل الرجال.
العربي يحرم الخنزير على نفسه من منظور ذكوري فقط هو لا يهتم بالتحريم الشرعي.
حدّ أكل الخنزير غير موجود في الشريعة الإسلامية على عكس حدّ شارب الخمر وممارس الجنس.
المسلم يشمئز من الخنزير لا يقبل أن يلعب إبنه بدمية على شكل خنزير ولا يقبل أن يقوم إبنه بتلوين صورة خنزير، الخنزير بالنسبة له نذير شؤم.

الخنزير حيوان لطيف كغيره من الحيوانات الداجنة جميل بلونه الوردي والرمادي لحمه لذلذ بالنسبة للكثيرين، فيه فوائد صحية وطبية عديدة، الإسلام لم يحدد أي سبب لتحريم أكله أو لعنه، فقط نسخ ذلك من اليهودية ولليهود أساطيرهم السخيفة عن هذا الكائن الجميل.

د-صوم رمضان قد يكون مضرا بالصحة

الصوم موجود في كل الديانات والعقائد القديمة والحديثة هو ليس فرضا أو جبرا وإنما هو عمل أو طقس عبادة طوعي إختياري ونسبي حسب الظروف الطبيعة والجغرافية للبلد وظروف ونوعية العمل وظروف وقابلية وعمر الإنسان الذي ينوي الصيام.

بينما نجد الصوم هو أحد أركان الإسلام المفروضة، وقد وردت أيات وأحاديث كثيرة عن الصوم لتأكيد وجوب هذه العبادة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [380]وقد حث الرسول محمد أتباعه على الصوم وتحدث عن بعض الفوائد لهذه العبادة قال محمد (صوموا تصحوا)، (وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

منذ صغري وأنا أستمع إلى الإذاعة الوطنية التونسية ومن بين البرامج التي ما تزال تحافظ عليها الإذاعة هي حصة "الدكتور حكيم" وهي ومضة صحية تمرر بإنتظام وكل يوم موضوع جديد، كان الدكتور حكيم يؤكد كل يوم في فصل الصيف وموسم الحر على ضرورة شرب كميات كبيرة من الماء وتجنب العطش وما في ذلك من أضرار كبيرة على صحة الإنسان لكن وبمجرد حلول رمضان تنقلب الآية ويتحول الدكتور حكيم من التنبه من أضرار العطش الى الإشادة بفوائد الصيام والبقاء مدة 18 ساعات دون ماء أو طعام في درجة حرارة تفوق الـ43 درجة.

الدكتور حكيم كغيره من الأطباء المسلمين مصاب بداء غريب لا أجد له تسمية وربما أطلاق عليه "سكيزواسلاميا" نظرا لهذا الفصام الشديد الذي يعاني منه الأطباء وغيرهم بسبب محولاتهم البائسة للتطبيع بين الإسلام والطب.

---

[380]سورة البقرة183-184

ما دفعني للحديث عن الصيام ليس كون المسلمين يصومون شهر رمضان ولا لأنهم يعتبرونه ركن من أركانه بل لأنهم يكذبون وينسبون فوائد كثيرة للصيام ويفترون على العلماء ليقولوا قال العلماء أن الصيام يقتل الفيروسات ويطرد السموم ويعالج داء السكري وأمراض القلب والشرايين والصوم يقلل احتمال حدوث الأورام السرطانية ويوقف انقسام الخلايا السرطانية والصوم يبطئ زحف الشيخوخة ويزيد طاقة الجسم ويعالج السموم المتراكمة ويعالج الضغوط النفسية والصيام يجدد الشباب ويعالج أمراض الجهاز الهضمي ويشافِ مرضى الكولسترول ويعالج الحصى والربو و ينشط الدماغ ويقي من الخرف ويعالج آلام المفاصل. حتى يكاد يضن الشخص أن الصيام يعالج كل الأمراض، والأخطر من هذا يدعي البعض أن الصيام يعالج حتى الأمراض التي يعجز الطب الحديث عن علاجها.

وطبعا كل إدعاءاتهم هذه يحاولون أن يضيفوا لها (أظهرت دراسة جديدة نشرت في مجلة أمريكية) (أظهرت دراسة أعدها الباحثون بجامعه فرنسية) (يقول العلماء) (يقول الأطباء) (أظهرت الدراسات والتجارب)، وما شابه من هذه الجمل، هم يستخدمون هذه الكلمات فقط للخداع لأن المسلم لا يبحث خلفهم وسيصدق بمجرد أن يسمع كلمة بحث ودراسة وعلماء، هم يستخدمون هذا الأسلوب في كل أكاذيبهم في الإعجاز العلمي ولن تجد في أي إدعاء إشارة واضحة لإسم الدراسة وإسم البحث وإسم العالم ومكان نشر الدراسة لأنهم دائما يعطون معلومات ناقصة لكي لا تتمكن من متابعة ومعرفة إذا كانت هذه المعلومة صحيحة أو لا.

فماهي التأثيرات السلبية العامة للصيام؟

يتسبب الصيام بالشعور بأعراض مثل التعب وقلة التركيز والتوتر والنعاس والصداع والدوخة والإمساك وتشنج العضلات والغثيان وآلام المعدة والكآبة واضطرابات النوم ورائحة الفم والجسم غير المرغوبة إضافة إلى الإحساس بالجوع. كل هذه الأعراض لها تأثير على قدرة الفرد على العمل والتعلم. إن هذه الأعراض السلبية هي نتيجة إنخفاض نسبة السكر في الدم والجفاف واضطراب في روتين الجسم والساعة البايولوجية. فالتغير في مواعيد الوجبات يصاحبه تغير في روتين النوم مثل النوم لفترات قصيرة بسبب النوم المتأخروالصحوالمبكر لتناول السحور والنوم أثناء النهار والتي قد توثر على أنماط الساعة البايولوجية أي نمط السيركادين (نمط ليل-نهار)

للنظام الهرموني والنظام العصبي الهرموني.العديد من البارمترات في الجسم لها نظام سير عادي. أي تغير في نمط النوم يؤثر على نشاط الجهاز العصبي والميلاتونين التي تلعب دور في تنظيم أنماط السيركادين. ويزيد الإمتناع عن التدخين عند المدخنين والكافايين وغيرها من المواد المدمنة من شدة تلك الأعراض وخاصة التوتر.

من الأضرار البيولوجية للصوم:

1- الجفاف (فقدان السوائل من الجسم)،يؤدي الامتناع عن تناول السوائل إلى إضطراب في توازن السوائل في الجسم ومن ثم يؤدي إلى حدوث حالة الجفاف،في المراحل الأولى من حالة الجفاف،تشمل الأعراض السريرية المصاحبة زيادة ضربات القلب والإحساس بالتعب والضعف العام، والصداع والغثيان.

2- زيادة تركيز الدم وارتفاع درجة لزوجته مما يؤدى إلى الإصابة بالجلطات الخطيرة التي تسبب الشلل النصفي.

3- أمراض القلب لأن القلب يبذل مجهودا أكبر من اللازم ليضخ هذا الدم الزائد فى اللزوجة عن الحد الطبيعي إلى جميع أجزاء الجسم مما يسبب إرهاقا لعضله القلب وتضخما وضعفا في القلب ويؤدي إلى عدم انتظام ضربات القلب وغثيان وتقيؤ وانهيار الجهاز الدوري.

4- **الصداع النصفي**.

5- تذبذب الوزن (وتحدث نتيجة التغيرات الإيضية في الجسم).

6- اضطرابات النوم وعدم الانتباه والنعاس أثناء النهار.

7- الإفراط في تناول الطعام وزيادة حموضة المعدة.

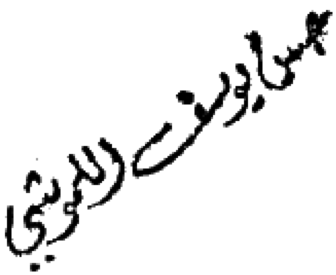
كما يدعي المسلمون بأنهم يصمون رمضان للشعور بما يشعر به الفقراء.

وإذ كان إدعائهم صحيح لماذا يصوم الفقراء إذا؟

في رمضان تكثر المشاجرات بين الباعة في الأسواق ويشتد التشنج والعراك وهذا أمر يلاحظه المسلمون أنفسهم ويعترفون به.

رمضان بالأساس هو شهر ترتفع فيه معدلات العصبية لدى المسلم، هو شهر غلاء الأسعار والغش، هو شهر العراك والتنافس من تكون له مائدة أكبر. إن إدعاءات الإسلاميين بخصوص الصيام الإسلامي كثيرة جدا ويستحيل الرد عليها

كلها ولكن ليس هناك أي دليل عن أن تلك الادعاءات صحيحة. إنهم يطلقون مايريدون دون القيام بأي محاولة لإثبات ما يدعونه. ليس للدراسات العلمية والطب المستند على الأدلة أي مكان في عرفهم، لأنها بدع غربية لاتخص الإسلام. في الأوساط العلمية إن واجب إثبات أي إدعاء تقع على الجهة التي تطلق الإدعاء أما في عرف الإسلاميين فإن الواجب يقع على معارضيهم كي يدحضوا إدعاءاتهم. إن معظم مايأتي به الإسلاميون هي مجرد تفاهات ولكن مايجعل تلك التفاهات مهمة هي قدرات الإسلاميين الهائلة بما فيها قدراتهم الإعلامية على غسل العقول و إسكات صوت المنطق.



الباب السادس

دراسات نقدية في العلاقة بين الإسلام والإرهاب

الإرهاب الفكري في القرآن والسنة

يعرف الإرهاب الفكري كنوع من أنواع الإيديولجية التي تؤمن بعدم إحترام الرأي الأخر وتسلبه حقه بحرية التعبير وحرية العقيدة، وهو يحجز على العقول والحريات ويحرم عليها التعبير عن ذاتها بحجة أن هذا مخالف لثقافة أو لمذهب أو عقيدة أو رأيٍ ما.

يعتبر الإرهاب الفكري نوع من أنواع العمليات الإرهابية لكن الإرهاب الفكري يأتي قبل أعمال العنف ذلك أنه يمهد لها الطريق فكل إرهابي جهادي يجب أن يمر بمرحلة الإرهاب الفكري في البدآية، أولا يكون مسلم ملتزم ويتدرج في تحوله من مرحلة الصلاة والصوم إلى الإنعزال فالتعصب الفكري وتحريم الحياة ثم يمر إلى مرحلة العنف حتى يبلغ الكمال ويصبح إرهابي.

الإرهاب الفكري هو أخطر أنواع الإرهاب، بل هو المنبع الحقيقي له، فهو الذي يؤسس للإرهاب السياسي وإرهاب السلطة والإرهاب الديني والإرهاب بالقتل بالسلاح والسيارات المفخخة والأحزمة الناسفة، كما أنه الحاضنة الدافئة للفشل والهزائم والتراجع والتأخر.

القرآن كما هو عليه الأن أحد أهم مُحفزات الإرهاب الفكري وصِناعة الإرهابيين في العالم لا شك في ذلك. والقرآن بما أنه كتاب مقدس يمنع المساس به أو نقده بالتالي يضمن إستمرارية الأفكار الإرهابية وهذا ما يمكن أن نعبر عليه بالإرهاب الفكري المستدام والإستدامة تتطلب تنمية وعمل مستمر للحفاظ على الإرث البالي خشية ضياعه وهذا ما يعمل من أجله المسلمون بمثقفيهم ومفكريهم وجماعاتهم المتطرفة والجهادية كلهم في حالة إستنفار منذ 1400 سنة للحفاظ على الإرث المحمدي من الضياع لذلك فهو باقي و مستمر.

جميع الدول الإسلامية منكوبة بإرث ديني خطر تتناقله الأجيال من جيل إلى أخر، أما عن إختلاف درجة سوء الأوضاع بين هذه الدولة و تلك فهو إختلاف مظهري ليس إلا، ومن الممكن جدا أن تتحول الأوضاع في أي دولة من هذه الدول العربية و الإسلامية إلى أسوء درجات التدهور خلال أيام أو أسابيع معدودة متى ما اقضت

الأمور الدولية ذلك، ليس بسبب أداء الأطراف الدولية وإنما بسبب جاهزية شعوب هذه البلدان للتدهور بحكم إصابتها بأمراض الموروث الديني.

الشعوب العربية والإسلامية ورثت أسوء تراث عرفه التاريخ البشري، لكونه تراث تسمي كل سيئات الاضطهاد والإرهاب الذي تعيش فيه بكونه أوامر من الله يجب تطبيقها في كل مكان وفي كل أوان.

الشريعة الإسلامية، هي مجموعة قناعات لمجموعة أقارب من بدو في صحراء أرادوا التسلط على مجتمعهم بشتى الوسائل القمعية وأولها الإدعاء بأن سلطتهم وأحكامهم الدكتاتورية والإرهابية ما هي إلا شريعة من الله مرسلة اليهم.

الشريعة الإسلامية ما تزال تأمر بقتل كل مسلم يفكر أو يتسأل، لأن الله يقول في القرآن (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم).[381]

الشريعة الإسلامية نموذج لا ينافسه أحد في الدكتاتورية والتسلط والإرهاب بأمر إلاهي.

الشريعة الإسلامية هي العكس تماما لكرامة وحرية وحقوق أي أنسان في التفكير وفي الإعتقاد حتى لوكان ذلك الإنسان مسلم.

نعود إلى بدايات الرسالة المحمدية وكيف كان مصير المعارضين والناقدين.

سنتحدث عن بعض شعراء وفطاحلة العرب الذين قتلوا بسبب مواقفهم المعارضة للإسلام في بدايته وهذا حقهم فكيف تريدهم أن يتركوا دين أبائهم بين ليلة وضحاها وإن لم يطيعوا يكون مصيرهم الذبح والقتل والتنكيل بأمرٍ مباشر من لله ورسوله هذا ما أوردته كتب السيرة المحمدية دون أن ينكر أحدٌ هذه الروايات ومن ينكرها يتهم بالكفر وإفساد عقائد المسلمين وأخرهم الباحث"عدنان إبراهيم"حيث أنه أنكر الكثير من نصوص القتل والذبح في الإسلام فكفروه.

سأذكر البعض من السيرة العطرة بدماء الشعراء الذين نحرهم المسلمين الأوائل في تماهي صادم بين جرائم الصحابة قديما وما ترتكبه الجماعات الإسلامية المقاتلة في عصرنا.

---

[381] سورة المائدة101

(1)بدآية نذكرالشاعرة عصماء بنتُ مروان:

وقد قتلت وهي ترضع طفلها بأمرٍ من رسول الله وقد ورد في الأثر ما يلي:
رواى الواقدي ومن طريقه القضاعي: حَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِيهِ: (أَنّ عَصْمَاءَ بِنْتَ مَرْوَانَ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بْنِ زَيْدٍكَانَتْ تَحْتَ يَزِيدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حِصْنٍ الْخَطْمِيّ وَكَانَتْ تُؤْذِي النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَعِيبُ الإسلام وَتُحَرّضُ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالَ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيّ بْنِ خَرَشَةَ بْنِ أُمَيّةَ الْخَطْمِيّ حِينَ بَلَغَهُ قَوْلُهَا وَتَحْرِيضُهَا: اللّهُمّ إنّ لَك عَلَيّ نَذْرًا لَئِنْ رَدَدْت رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ لَأَقْتُلَنّهَا - وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَئِذٍ بِبَدْرٍ - فَلَمّا رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ بَدْرٍ جَاءَهَا عُمَيْرُ بْنُ عَدِيّ فِي جَوْفِ اللّيْلِ حَتّى دَخَلَ عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا، وَحَوْلَهَا نَفَرٌ مِنْ وَلَدِهَا نِيَامٌ مِنْهُمْ مَنْ تُرْضِعُهُ فِي صَدْرِهَا؛ فَجَسّهَا بِيَدِهِ فَوَجَدَ الصّبِيّ تُرْضِعُهُ فَنَحّاهُ عَنْهَا، ثُمّ وَضَعَ سَيْفَهُ عَلَى صَدْرِهَا حَتّى أَنْفَذَهُ مِنْ ظَهْرِهَا، ثُمّ خَرَجَ حَتّى صَلّى الصّبْحَ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمّا انْصَرَفَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَظَرَ إلَى عُمَيْرٍ فَقَالَ أَقَتَلْت بِنْتَ مَرْوَانَ؟ قَالَ نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللّهِ.
وَخَشِيَ عُمَيْرٌ أَنْ يَكُونَ افْتَاتَ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِقَتْلِهَا، فَقَالَ هَلْ عَلَيّ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ فَإِنّ أَوّلَ مَا سَمِعْت هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، قَالَ عُمَيْرٌ فَالْتَفَتَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: إذَا أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إلَى رَجُلٍ نَصَرَ اللّهَ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ فَانْظُرُوا إلَى عُمَيْرِ بْنِ عَدِيّ).[382]

(2)الشاعرة أم قرفة كذلك قتلت بأمرٍ من الرسول:

كانت شاعرة من أعز العرب ممن يُضرب بهم المثل في العزة والمنعة فيقال:"أعز من أم قرفة". وإذا تشاجرت قبيلتها مع غطفان بعثت خمارها على رمح فيصطلحون.
وقتلت أم قرفة بربط رجليها إلى فرسين أو بعيرين ثم شقها نصفين بأسلوب شبيه بما تقترفه الجماعات الإسلامية المقاتلة في عصرنا الحديث.
وقد ورد ذكر قصة قتل أم قرفة في الكثير من كتب السير ونذكر منها ما يلي:

---

[382]الواقدي في المغازي ص173

بعث زيد بن حارثة أيضاً إلى بني فزارة بوادي القرى، فقتل طائفة من أصحابه وارتث هومن بين القتلى، فلما رجع آلى ألا يمس رأسه غسل من جنابة حتَّى يغزوهم أيضاً، فلما استبل من جراحه بعثه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ثانياً في جيش فقتلهم بوادي القرى، وأسر أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر، ومعها ابنة لها وعبد الله بن مسعدة، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر اليعمري فقتل أم قرفة، واستبقى ابنتها، وكانت من بيت شرف، يضرب بأم قرفة المثل في عزّها، وكانت بنتها مع سلمة بن الأكوع، فاستوهبها منه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأعطاه إياها[383].

(3)النابغة عبد الله بن أبي السرح:

كان كاتب الوحي عن الرسول ويحرف الكلام ويغيّر فيه ثم يتلوه دون أن ينتبه الرسول للتحريف الذي غيّره في النص، قيل في أحد المرات أثناء كتابته للوحي أن النبي أملى عليه (السميع العليم) فكتبها عبد الله (العليم الحكيم) ولما فعل ذلك قال له النبي :"وهو كذلك". ومن هنا شك بن أبي السراح في نبوة الرسول حتى أعلن ردته عن الإسلام بعد أن سبق الرسول في إتمام آية الخلق وورد في الأثر أنه عندما نزلت سورة المؤمَنون نادى النبي الكتبة من الصحابة وكان من جملتهم عبد الله بن أبي السرح ليكتبوها فرتل النبي محمد «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا....(14)» وأكمل النبي ترتيل الآية :«ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ...(14)».

فقاطع عبد الله ترتيل النبي من شدة إنبهاره وإعجابه في تفصيل خلق الله للإنسان فقال: "فتبارك الله أحسن الخالقين". فرد عليه النبي محمد: "وهكذا أُنزلت عليّ - أي أن الآية نزلت عليه مثلما قال عبد الله - ". فشك عبد الله حينئذ، وقال: لئن كان مُحمد صادقاً لقد أوحي إليّ، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال(3). فإرتد عن الإسلام وهرب إلى مكة فنزلت فيه وفي مسيلمة الكذاب والأسود العنسي هذه الآية: «وَمَنْ

[383] البدآية و النهآية ج5 أحداث سنة إحدى عشرة من الهجرة

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوقَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ..(93)» سورة الأنعام.

وقد أمر الرسول بقتله يوم فتح مكة و لوتعلق بستار الكعبة.[384]

(4)النابغة أبا الحكم عمرو بن هشام:

كناه قومه بأبي الحكم لأنه كان حكيما وذا رأي سديد وقد دخل دار الندوة وهو في العشرين من عمره ودار الندوة لا يجتمع فيها إلا حكماء العرب الذين تجاوزوا الخمسين من أعمارهم وكناهُ المسلمون بأبو جهل لأنه لم يدخل بيت الطاعة.

مقتله كان يوم واقعة بدر علي يد معوذ ومعاذ أبناء عفراء وقد كانا في حوالي السادسة عشر من عمرهما، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود فسأله أبو الحكم قبل موته: "لمن الغلبة اليوم؟" فرد عليه ابن مسعود: "لله ورسوله يا عدوالله"، فرد عليه أبو الحكم : "لقد ارتقيت مرتقىً صعباً يا رويعي الغنم"، فقطع ابن مسعود رأسه وحمله إلى رسول الله وقد قطعت أذنه، فضحك الرسول وقال: "أذن بأذن والرأس زيادة"، حيث قطع أبو جهل ذات مرة أذن ابن مسعود، ويقال إن رأس "أبي جهل " كان ثقيلا جدا.

ومن خلال هذا الحديث نتبين كيف كان التمثيل بالجثث أمرا مقبولا ومثيرٌ للضحك في بدايات الإسلام فلم اللوم على الجماعات الإسلامية المقاتلة التي تقوم بذات الفعل هم يطبقون ما وجدوه في الكتب عندهم.

(5)الشاعر عبد الله بن خطل:

كان من شعراء العرب البارعين في استخدام اللغة لكن لم يبق من أثره شيء وقد قتل بعقر بطنه وهو معلقٌ بستار الكعبة يطلب الأمان وقد أمر الرسول بقتله.وروى الحاكم من طريق أبي معشر عن يوسف بن يعقوب عن السائب بن يزيد قال[385]:

---

[384]راجع قصة عبدالله ابن أبي السراح في الباب الأول

[385] فتح الباري الجزء باب جزء الصيد ج 18 ص 77

"فأخذ عبد الله بن خطل من تحت أستار الكعبة فقتل بين المقام وزمزم" وقد جمع الواقدي عن شيوخه أسماء من لم يؤمن يوم الفتح، وأمر بقتله عشرة أنفس: ستة رجال وأربع نسوة. والسبب في قتل ابن خطل وعدم دخوله في قوله: من دخل المسجد فهو آمن. أنه كان يهجو الرسول بأبيات من الشعر.

الذبح والقتل كان مصير كل من ينتقد الإسلام ويعارضه في الماضي وفي الحاضر أيضا لا زالت غالبية الدول الإسلامية مستمرة في ملاحقة الكتاب والنقاد والفلاسفة والسياسيين بتهديدهم بالجلد والقتل لمنعهم من النقاش والشك واتهامهم بالإرتداد عن الإسلام في حالة التعبير عن مواقفهم، وهذه طريقة فعالة جدا لمنع نقد الدين والتسليم به.

في السنوات الأخيرة حكمت محكمة سعودية على الشاعر الفلسطيني أشرف فياض [386] بالإعدام بتهمة الردة، ولكن بعد حملة دولية شارك فيها مئات الكتاب تضامنا مع الشاعر الفلسطيني، أصبح الحكم 8 سنوات و800 جلدة. قضية الشاعر أشرف فياض تتضمن دلالات متعددة على عيوب وغياب إحترام الرأي المخالف وحرية التعبير في دول العالم الإسلامي. كما حكم أيضا على المدون والناشط في مجال حقوق الإنسان رائف البدوي[387] بتهمة الإساءة لخرافات الدين الإسلامي وبحكم نهائي بسجن رائف 10 سنوات، وجلده 1000 جلدة، وتغريمه مليون ريال، ومنعه من السفر والظهور الإعلامي والكتابة لمدة عشر سنوات بعد خروجه من السجن، وبدلا من حمآية حق المواطنين السعوديين في حرية التعبير، قامت الحكومة السعودية بمعاقبة حمزة كشغري ورائف بدوي وأشرف فباض، وتخويف الآخرين الذين قد يجرؤون على مناقشة مسائل الدين.

وقد شاهد العالم كله الأحداث التي وقعت بدآية سنة 2015 في فرنسا والهجوم الذي تعرض له مقر الصحيفة الساخرة شارلي إيبدو[388]، وقد انتهى الهجوم بقتل 12 شخصا، بينهم ثمانية أعضاء من مكتب تحرير الصحيفة. تعرضت شارلي إيبدو للهجوم الإرهابي لنشرها رسومات كاريكاتورية عن النبي محمد، وجاء هذا الهجوم المروع كثأر للنبي محمد بقتل العديد من الأرواح. هنا نرى همجية الفكر الديني

[386] أشرف فياض 1980 شاعر فلسطيني أعتقل سنة 2013 بتهمة الإلحاد و صدر في حقه حكم بالإعدام

[387] رائف البدوي 36 سنة كاتب و ناشط سعودي ليبرالي معتقل منذ2012 بتهمة الإساءة للإسلام

[388] شارلي إيبدو صحيفة ساخرة تعرضت لإعتداء ارهابي أسفر عن 12 قتيلا

المنغلق ومواجهة القلم بالسيف والسلاح و لاننسى أن نذكر بحادثة ذبح أستاذ التاريخ في باريس ساموبل باتي بتاريخ 17 أكتوبر 2020.
كذلك الصومالية المولد أيان حرسي علي ذات الـ45 عاما. أيان حرسي، وهي ناقدة للإسلام، تعيش تحت حماية الشرطة منذ عشرة أعوام بعدما كتبت النص للفيلم الذي أخرجه الهولندي Theo van Gogh[389] والذي كلفه حياته.
في سنة 1989 أفتى الخميني زعيم الثورة الإيرانية فتوى بقتل سلمان رشدي[390] لأنه ارتدّ عن الدين بسبب كتابته روآية آيات شيطانية. وفي عام 1992 أعتُبر الصحفي المصري المعروف بانتقاده للإسلاميين ، فرج فوده مرتدًا عن الدين. وقد تم اغتياله على يد أصوليين إسلاميين في مصر بسبب أرائه العلمانية. ولا ننسى محاكمة الكاتب المصري نصر حامد أبو زيد والحكم بردته وتفريقه عن زوجته. نذكر كذلك عملية اغتيال الكاتب الأردني ناهض حتر[391] أمام المحكمة بسبب نشره صورة ساخرة في موقع إفتراضي كانت سببا في محكمته بتهمة ازدراء الأديان هذه التهمة الجاهزة التي يسجن بسببها الفلاسفة والمفكرين والصحفيين في الدول الإسلامية. من قتلوا ناهض حتر هم أيضا قتلوا عمر محمد باطويل الشاب اليمني الذي كان ينتقد الخرافات الدينية وكهنة المعبد على صفحته في فيسبوك آخر تدوينة له قبل مقتله تقول: "عندما يعرفون الفرق بين العالِم والكاهن سيستعيدون عقولهم!"
فكان مصيره ثمان رصاصة قاتلة، الرصاص هو جزاء شاب لم يبلغ ربيعه العشرين والتهمة "كافر".[392]
تهمة الكفر هي حكم بالإعدام تنفذه الجماعات الإسلامية و قطعان الجماهير تحت أصوات التكبير التي يتم شحنها تحت زخم العواطف الدينية و العالم كله كان شاهدا على جريمة قتل الأستاذة فرخندة في أفغانستان و التي اتهمها مشعوذ بحرق القرآن فلم ترحمها الجموع و مزقوها أشلاء و أحرقوها و هم يصورون جريمتهم منتشين بقتل الفتاة [393].

---

[389] هو مخرج فيلم الخضوع تم اغتياله سنة 2004 على يد متطرفين مسلمين Theo van Gogh

[390] كاتب من أصول هندي من أشهر منشورته آيات شيطنية

[391] كاتب اردني اغتاله المتطرفون سنة 2016 بسبب تدونية ناقدة نشرها على الفيسبوك

[392] شاب يمني تمت تصفيته في أفريل 2016 من قبل اسلاميين بتهمة الإلحاد

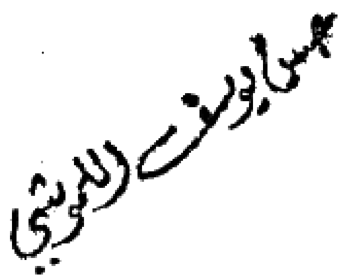
[393] فرخندة ملكيزاده فتاة أفغانية قتلت و أحرقت في الشارع أمام الكاميرات بتاريخ 15/0/ 2015

من أين جاء هؤلاء القتلة؟ أكيد هم لم يهبطوا من المريخ .

يبدأ التجييش في الكتاتيب ثم على مقاعد المدرسة ومن خلال مناهج التربية والتعليم التي تزرع في عقول الصغار "معالم في طريق" تقسيم البشر إلى مسلمين وكفار، معنا وضدنا. من هناك تبدأ المسيرة الإرهابية "المظفرة" ومن ينكر هذا عليه أن يعود ليتأمل تلك المناهج التعليمية التي تمهد الأرض لزراعة الإرهاب المستمد من القرآن والسنة وكتب التراث.

إن الدعوات التي تستهدف تكفير الشعراء والمفكرين والمسرحيين في الماضي والحاضر تهدف في حقيقتها إلى تكريس الجهل والتخلف وتأخر ميلاد الإبداع في المجتمعات المتدينة فتسقط الشعوب في قبضة أيدي رجال الدين والمافيات "الإقتصاسياسية" يسومونهم كيفما شاؤوا ويوجهونهم نحو الأراء والمواقف التي تستهويهم فقط وتحافظ على مكانتهم. إن التكفير كان وما زال من أبشع الأسلحة التي تستخدم ضد المبدعين والمفكرين فتزرع بدورها بذور الخوف والشك في المجتمعات الناهضة لتنمو أشجار الجهل والتخلف. إن المصير الذي بلغته الصومال وأفغانستان وسوريا هو مصير كل الدول التي تعتبر الإسلام دين الدولة ودوامة العنف والإرهاب دائرة تدور وتضرب منطقة كل عشرية ولا ننسى ما حدث بالجزائر فيما يعرف بالعشرية السوداء و محاولة إقامة دولة إسلامية في العراق و سوريا، حلم إقامة الخلافة السادسة سيظل يهدد الدولة الوطنية في كل البلاد التي تدين بالإسلام.

التقدم له أسبابه. والتخلف أيضاً لا يأتي من فراغ. الإرهاب الفكري وشبح الدمار الشامل سيبقى خطر داهم يهدد المنطة ما بقي القرآن كما هو عليه الآن بما يحويه من آيات تحرض على العنف والقتل والقتال.



الإسلام والسيف

من يقول ان الإسلام انتشر بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة لا يعرف شيئا عن التاريخ الدموي للإسلام، ولا أدري لماذا يتحرج المسلمون من مقولة إن الإسلام انتشر بالسيف، كان الأحرى بهم أن يردوا على ما يعتبرونه إتهاما بطرح السؤال التالي: وهل وجدت أي حضارة أو نظام من أي نوع نجح في التمدد وبسط نفوذه خارج حدوده دون استعمال القوة؟

حتى الحيوانات والطيور والحشرات تلجأ لأساليب الغزو والقتل والإرهاب عندما تكون بحاجة للسيطرة على قطعة أرض أو مورد مياه أو حتى على مجموعة من الإناث.

إنها أذن غريزة تزود بها كل الكائنات الحية من أجل بقائها، إذن ليس مطلوب من المسلمين أن يعتذروا على ما قاموا به من غزوات مسلحة وقتل ودمار لإنشاء إمبراطوريتهم فالإسكندر المقدوني كان قائدا وقام بحروب وغزوات كبيرة قتل وسبى فيها مئات البشر كذلك فعل محمد "الرسول". النقطة الوحيدة التي تمثل الشعرة التي قسمة ظهر البعير هي أن محمد وضع رخصة إلهية لكل ما فعله أي كل حروبه كانت بإذن الله وكل الجرائم التي اقترافها أتباعه كانت بما يرضي الله ولم يكتفي بذلك بل وضع نصوص مقدسة تفرض على اتباعه إتباعها والسير على منهاجه إلى الأبد.

الإسلام وقبل أن يكتمل بناءه كدين بدأ بالسيف والغزوات فالرسول محمد وأصحابه كوّنوا ما يشبه العصابة وبدأوا بالإغارة على القبائل والسطوا عليها وقتها لم يكن هناك قرآن يدعو أن به القبائل للإيمان بالله وإنما مجرد دعوة للتوحيد وطاعة أوامر الرسول ودفع الزكاة أو دفع الجزية مقابل الحياة.

يُصر أصحاب العاطفة الدينية من الإسلاميين مُعتدلين ومُتطرفين على أنّ انتشارالإسلام تمّ بالإقناع و التبشير بما ورد فى القرآن عن هدآية البشر فإذا كان

الأمر كذلك، فلماذا لم يرجع العرب الذين حملوا الرسالة إلى قريش أو مكة بعد أن بلّغوا رسالتهم؟ أي لماذا استمروا فى البلاد التى غزوها، وجلسوا مكان الغازي المُحتل السابق، كما حدث فى شمال إفريقيا من مصر الى المغرب؟

والسؤال الثانى: إذا كان الهدف هو نشرالإسلام فأين الكتاب المؤسس للإسلام، أي القرآن؟ لقد كان غزو مصر في عهد عمر بن الخطاب، بينما تمّ الانتهاء من جمع المصاحف فى عهد الخليفة التالى له عثمان الذى أحرق ستة أو تسع مصاحف ولم يبق إلاّ على المصحف الذى وافق عليه وأطلق عليه اسم مصحف عثمان.معنى هذا الكلام أنّ العرب الذين غزوا مصر وغيرها من الشعوب، لم يكن معهم مصحف ناهيك عن صيغة الجمع مصاحف لتوزيعها على من قصدوا هدايتهم إذا كيف يقتنع الإنسان بشىء جديد دون الإطلاع على فحواه؟ أما الدليل الدامغ الذى ينفى مسألة الهدآية فهو أنّ أول سؤال سأله عمرو بن العاص لـ(المقوقس) عندما غزا مصر، هو مقدار الجزية التى كان الرومان يحصلون عليها من المصريين، والدليل الدامغ الثانى هو: كان على الشعب الذى تمّ غزو أراضيه واحتلال وطنه الإختيار بين ثلاثة بدائل: الدخول فى الإسلام التخلى عن ديانته أو أداء الجزية أو القتال.[394] ويؤكد ذلك ما ذكره السيوطي[395] أنه رُوي عن عمربن الخطاب قوله: كان الشعرعلم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس.وقد هلك العرب بالقتل في الغزوات فحفظوا أقل من ذلك وذهب عنهم الكثير.

السؤال الثالث: أليست الغزوات التى شنّها الرسول محمد ضد قريش وغيرها من القبائل التى رفض أهلها دعوة الإسلام، هي تمهيد للغزوات التي تمّت خارج قريش ومكة؟ وهل إجبار القرشيين على الدخول في الإسلام يختلف عن الأحداث السابقة قبل دعوة محمد؟ فعندما تولى الملك (ذو نواس) وكان على الدين اليهودي، وبلغه انتشار المسيحية بنجران، سار إليهم بجند من حمير وقبائل اليمن، فجمعهم ودعاهم إلى دين اليهودية، وخيّرهم بين القتل أوالدخول في اليهودية، فاختاروا القتل، فخدّ لهم الأخدود، فحرق بالناروقتل بالسيف ومثّل بهم كل مُثلة حتى قتل منهم قريبًا من

---

[394] ابن عبد الحكم في كتابه "تاريخ مصروأخبارها"– مؤسسة دارالتعاون للطبع والنشر- عام 1974- ص53

[395] السيوطي في (المُزهر في علوم اللغة)

عشرين ألفا.[396] أليس هذا ما تكرّر بعد الإسلام؟ ولماذا لم يُقنع نبى الإسلام القرشيين لدعوته بالكلمة الطيبة بدلا من الإعتداء على قوافلهم التجارية؟

السؤال الرابع: إذا كان هدف الإسلام الأساسى هوالدعوة إلى التوحيد أي عبادة إله واحد لاشريك له، فهل تلك الدعوة كانت جديدة أم سبقتها دعوات سابقة؟ الأكيد أن التوحيد ليس بجديد على المنطقة ولم يكن محمد أول من دعى للإيمان بإله واحد بدليل أن والده اسمه "عبدالله" وكنّا قد فصلنا دعوة مسلم بن حبيب للإسلام قبل محمد بعشرات السنين، ناهيك على أن اليهودية والمسيحية كانتا منتشرتين في مكة والمدينة حتى أن كبار قريش كانوا يخشون من ذلك ويرون فيهما تهديد لبقائهم.

كانت البدآية الحقيقية لتدشين دولة الإسلام هي انتصاره على من أطلق عليهم كفار قريش فسيطرعلى تجارتهم بفضل قوته المسلحة، وبعد هذا الانتصار الساحق وما تبعه من السيطرة على باقية القبائل العربية، بدأت المرحلة الثانية لدولة الإسلام أي مرحلة غزو الشعوب المُتحضرة فارس والشام والعراق ومصر للإستيلاء على مواردها ونهب خيراتها واستعباد أهلها، وكانت الوسيلة هي السيف أي القوة العسكرية، وهكذا انتشر الإسلام تحت رآية لا إله إلاّ الله محمد رسول الله .

الملاحظ في النص القرآني وكتب التراث أن هناك استخداما وتفعيلا أساسيا لمفردة السيف وفي مواضع مختلفة، كلمة السيف تعتبر من مسلمات العقيدة الإسلامية، وهذا الإستخدام يتوزع في أيات وأحاديث ليس كأشارات، بل تعتبر دلالة مركزية كمعنى ومضمون وفعل، وتتمثل استخداما وغآية ونتيجة، وكما يلي:

-السيف في العقيدة الإسلامية، يتجلى في كثير من القضايا، فهو أساسا مرتبط بالرسالة المحمدية وبالبعثة النبوية، لا فرار منه فهو القاعدة والأساس في عبادة الله، فقد روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح[397] حديث عبد الله بن عمر أنه قال: قال رسول الله: "بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له"، أما الروآية الأخرى. فالرسول يقرن السيف، بنشر الإسلام، وبالحياة اليومية من رزق، وبالعلو والرفعة.

[396] جواد علي– تاريخ العرب قبل الإسلام– هيئة قصورالثقافة– عام 2011- ج3- ص167

[397] مسند الإمام أحمد 5115 و أخرجه البخاري 2914

حيث يقول "بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذّلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم".[398]

أذن للسيف وجود في البنية النصية للقرآن والحديث، بأجماع النصوص.

-بقى السيف مقترن بالدين منذ فجر الدعوة المحمدية، حيث استخدم في صدر الرسالة المحمدية بنشر وتثبيت الرسالة من خلال غزوات الرسول مثلا، وحقق الرسول بواسطته مردودا ماليا لجماعته، وكان له وبنفس الوقت، الخمس من الغنائم في كل غزوة (أداء الخُمس من المغنم هو شعيرة إسلامية من الفرائض، ويعني دفع خُمس الغنائم التي يحصل عليها المسلمون نتيجة الحرب مع الكفار ودفعها لأصناف وردت في القرآن "وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"سورة الأنفال[41])

فالسيف هنا واسطة لتحقيق كسبا ماديا عن طريق الحصول على غنائم الغزوات.

-السيف أخذ منطلقا أخر وسلك منهجا مغايرا فيما بعد، وذلك عن طريق توظيفه في لسياسة والتحكيم، بعيدا عن الدين والمعتقد، وكما حدث في موقعة صفين بين جماعة علي أبي طالب وجماعة معاوية بن أبي سفيان، عندما قبل علي بن أبي طالب بالتحكيم وقال قوله المأثور "كلمة حق يراد بها باطل"، وانطلق الخوارج يكفرون من يخالفهم الرأي بما فيهم علي نفسه لأنه قبل بالتحكيم وأوقف القتال مع جيش معاوية رافعين فى وجهه الآية التي تقول

"إن الحكم إلا لله" فقد رأوا فى تصرف علي علمانية فقد فصل القرار السياسي عن النصوص الدينية، فهم يرون أن معاوية وجيشه بغاة يجب قتالهم وفقا للنص القرآنى ولكن علي بن أبي طالب خالف الأمر وقبل بتحكيم عمرو بن العاص وأبو موسي الأشعرى إذن فقد حكّم الرجال فيما حكم فيه القرآن فهو كافر. والغريب أن معظم هؤلاء الذين خرجوا على الإمام علي هم من "القراء" أي حفاظ القرآن.

ننقل بتصرف من موقع أهل القرآن[399].السيف ربط بالإسلام منذ أول غزوة غزاها الرسول، "غزوة ودّان– سنة 2 هجرية" هي أول غزوة قام بها الرّسول بنفسه، وقد

---

[398] مجموع الفتاوى لإبن تيمية ج1 ص 147

[399] موقع أهل القرآن تاريخ النشر 2017/09/3

كانت في شهر صفر، في بدآية إثني عشر شهرا من السّنة الهجريّة، وقد حمل لواء هذه الغزوة حمزة بن عبد المطلب، وقد كان لونه أبيضا، واستخلف النّبي في المدينة سعد بن عبادة، ثمّ خرج في المهاجرين، ولم يكن فيهم أنصاريّ واحد، وذلك لكي يعترض عيرا كانت لقريش.

وكان السيف سيرة وحياة وفروسية في المفهوم القبلي، وأنجر هذا المفهوم على الإسلام أيضا، ولوحظ هذا كما جاء في الحديث التالي ، الحديث الثامن عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن الرسول قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى. رواه البخاري ومسلم.[400]. فالسيف ليس أستخداما أنيا أضطراريا أذن، بل هو ثقافة ونهج وحياة، وأقرارا قهريا بنبوة الرسول كزعامة وسلطة وألا الموت بحده.
كان للسيف الدور المحوري والأهم والمركزي في نشر الإسلام ومن ثم تثبيته، وحروب الردة أبلغ حدث على ذلك، وعندما رفعت المصاحف على أسنة الرماح في موقعة صفين المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية ابن أبي سفيان في شهر صفر سنة 37 هـ، كان أقتران السيف بمحور السلطة وليس الإسلام، لأن الدعوة المحمدية أنتهت بموت الرسول، وكل ماحدث بعد وفاة الرسول هو تناحر وصراع سلطوي علي الحكم.
إن حصاد تاريخ السيف كان مأساة، تتكرر بدمائها في جل الحقب الإسلامية، منذ غزوات الرسول محمد إلى الأن، مستندة على مورروث عقائدي من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تعلي من قيمة السيف وتجعله عنوان الإسلام.
في السيرة النبوية هناك الكثير من الروايات التي تعطينا إنبطاع وصورة قريبة من فترة النبوة والتي يظهر فيها محمد كقاتل لا كرسول وفيما يلي قصة وردة في الأثر حول إسلام أبو سفيان تحت التهديد :

[400] حديث متفق عليه و صحيح الإسناد (راجع: زاد المعاد - الجزء الثالث - ابن قيم الجوزي - الفتح الأعظم وأيضا: سيرة ابن هشام والروض الأنف وغيرها)

ودخل عمرُ فقال يا رسولَ اللهِ هذا أبو سفيانَ قد أمكن اللهُ منه بغيرِ عقدٍ ولا عهدٍ فدعني فلأضربَ عُنُقَه فقلتُ يا رسولَ اللهِ إني أجرتُه ثم جلستُ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقلتُ لا واللهِ لا يُناجيهِ الليلةَ رجلٌ دوني قال فلما أكثرَ عمرُ في شأنِه قلتُ مهلًا يا عمرُ أما واللهِ أن لو كان من رجالِ بني عديِّ بنِ كعبٍ ما قلتَ هذا ولكنَّك عرفتَ أنَّهُ من رجالِ بني عبدِ منافٍ فقال مهلًا يا عباسُ واللهِ لإسلامُك يومَ أسلمتَ أحبَّ إليَّ من إسلامِ أبي لو أسلمَ وما بي إلا أني قد عرفتُ أنَّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ من إسلامِ الخطابِ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اذهب به إلى رَحْلِك يا عباسُ فإذا أصبحتَ فائتني به فذهبتُ به إلى رَحْلِي فبات عندي فلما أصبح غدوتُ به على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فلما رآهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال ويحك يا أبا سفيانَ ألم يأنِ لك أن تشهدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ قال بأبي أنت وأمي ما أكرمَك وأحلمَك وأوصلَك لقد ظننتُ أن لو كان مع اللهِ غيرَه لقد أغنى عني شيئًا قال ويحك يا أبا سفيانَ ألم يأنِ لك أن تعلمَ أني رسولُ اللهِ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَك هذه واللهِ كان في النفسِ منها شيْءٌ حتى الآنَ , قال العباسُ ويحَكَ يا أبا سفيانَ أسلِمْ واشهَدْ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ قبل أن يضربَ عُنُقَك قال فشهد شهادةَ الحقِّ وأسلمَ قلتُ يا رسولَ اللهِ إنَّ أبا سفيانَ يحبُّ هذا الفخرَ فاجعل له شيئًا قال نعم من دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمنٌ ..

الروآية تقول بأن العباس نظر إلى أبو سفيان وقال له "أسلم قبل أن تضرب عنقك" وهذا الحوار كان في حضرة محمد ولم ينهه عن إكراه الناس على الإسلام بالقوة. إذن فالأصل هو الإكراه في الدين. فأغلب القبائل والشعوب دخلت الإسلام مكرهة.

جاء في خبر أبي هريرة: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) آل عمران: 110 خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام" قال الإمام الكرماني على قوله:"خير الناس للناس"أي خير بعض الناس لبعضهم وأنفعهم لهم من يأتي بأسير مقيد في السلسلة إلى دار الإسلام، ليسلم، وإنما كان خيرًا، لأنه بسببه صار مسلمًا وحصل أصل جميع السعادات الدنيوية والأخروية.[401]

[401] مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج17 صفحة 41

فظلم الناس وتقييدهم بالسلاسل وأسرهم وأكراههم على الإسلام يعتبر من ميزات خير أمة أخرجت للناس. ويؤكد النص القرآني على صحة الإكراه للدخول في الإسلام "طوعاً وكرهاً" جاء في الآية: (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون، قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) آل عمران 84

ذكر القرطبي [402]: وروى أنس بن مالك قال: قال محمد في القرآن: "وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها" قال: (الملائكة أطاعوه في السماء والأنصار وعبد القيس في الأرض).

وقال ايضا: (لا تسبوا أصحابي فإن أصحابي أسلموا من خوف الله وأسلم الناس من خوف السيف).

أخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم: وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها: "أما من في السماوات فالملائكة، وأما من في الأرض فمن ولد على الإسلام، وأما "كرها"، فمن أتي به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون". [403]

وروى مسلم عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ محمدا إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوسَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تَغْدِرُوا، وَلا تَمْثُلُوا، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ أَوخِلالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإسلام فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ. فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمْ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ. [404]

هذا الحديث يستدل به المسلمون لدلالة على حلم ولطف الرسول محمد عند الغزوات وهو بالأساس حديث يدين محمد حيث أنه يأمر أمراءه أن يدعو الناس إلى

---

[402] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)

[403] تفسير الطبراني

[404] صحيح مسلم مسلم (3261)

الإسلام وهم يرفعون السيوف فوق رؤوسهم، فإن أبوا الإسلام دفعوا الجزية وهم أذلة صاغرون، فإن أبوا فما لهم إلا السيف (فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ).
وقال محمد: (بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ، لا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُو مِنْهُمْ)[405].
قتل الناس وسرقت ممتلكاتهم والسطوا على أراضيهم وإغتصاء النساء وسبي الأطفال ليكونوا خدما وعبيد عند المسلمين كلها جرائم حلال في الإسلام. قطع الرقاب والتنكيل بالجثث أمور أتاها محمد وأصحابه وأقرّها النص القرآن فكيف ينكرها بعض المسلمين المعتدلين الذي يرفضون المساس بالنصوص القرآنية والأحاديث التي تشرعن الإرهاب وفي الوقت ذاته يرفضون نقدها ويتهمون النقاد بأنهم السبب في تنامي ظاهرة التطرف وكأن التطرف دخيل على الإسلام.
بعد كل حادث ارهابي تتسبب فيه إفرازات كتب التراث و التفاسير يخرج علينا المحللين والمبررين والمعلقين ليقولوا أن هذا ليس من الإسلام وأنه براء مما أقترفوه هولاء المجرمين أعداء الحياة وأن قرآننا يقول : "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أوفَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"سورة المائدة 32.
فهل سيتبراء أصحاب الإسلام المعتدل من بعض ما ورد في سيرة الرسول محمد وأصحابه وما ورد من آيات تبيح القتل كما تبرؤا من الجهاديين والسلفيين؟
أليس من الضروري تركيز الجهود على معالجة النص القرآني وكتب التراث بدل الهروب المستمر من مواجهة الحقيقة؟

405 مسند الإمام أحمد (4869). صحيح الجامع (2831)

الجهاد والقتال في القرآن

القرآن في جملته يدعو للحرب والقتال، هو كتاب عسكري فالكثير من نصوصه، يحتوي القرآن على قرابة الـ 214 آية تدل على الجهاد والقتال. عدد آيات الجهاد يفوق بكثير عدد بعض الآيات الدالة على فروض أخرى (والجهاد فرض)، منها، على سبيل المثال، فرض الصيام الذي ورد ذكره في القرآن مرة واحدة فقط "كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِيَامَ كَمَا كُتِبَ عَلَى الّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ" الآية 183 من سورة البقرة. والكل يعرف جيدا ما لهذا الفرض من أهمية وقدسية لدى المسلمين؟ فهل الجهاد أهم من الصلاة والصيام والحج؟

الجهاديين الذين يدعون إلى الجهاد وتطهير أرض المسلمين من الكفرة والزنادقة والملحدين لا يتحركون من فراغ، بل ينطلقون أساسا من هذه النصوص والآيات القرآنية بإعتبارها أوامر إلهية يجب تنفيذها بكل قوة، ولذا تراهم يرفعون المصاحف عاليا بعد قطع رأس ضحيتهم ويردّدون "الله أكبر، الله أكبر" بكل فخر وإعتزاز ورأس الضحية يتدحرج تحت أقدامهم، وأياديهم مضرجة بالدماء؟ وقد يكون هذا الرأس رأس رجل أو رأس إمرأة أو رأس طفل رضيع، لا يهم، المهم أن هؤلاء "المجاهدين" راضين، بل فرحين، بفعلتهم لأنهم ينفّذون ما أمرهم الله به في القرآن، بل قد يستندون إلى أحاديث نبوية مثل "أعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف".

حسب القرآن فإن الله أمر رسوله محمد بتحريض المسلمين على القتال يقول القرآن:

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" سورة الأنفال 65.

وحتى لا يذهب البعض الى القول أن الله يأمر بالقتال للدفاع عن النفس، نرجع لآيات القرآن حتى نعرف من سيقاتل المسلم:

يقتل الغير مسلمين فى كل الأرض، حتى يكون الدين كله لله يقول القرآن:في سورة البقرة 193"وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ".

ويقول أيضا فى سورة آل عمران 19"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ". ويؤكد فى سورة آل عمران 85"وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُو فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ".

وهذا الحكم الرباني الناسخ لكل آيات السلم فى القرآن : "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" سورة التوبة 29.

وورد في الآية 16 من سورة الفتح التي يستند عليها كل المتطرفين المُسلمين لتشريع الجهاد "تُقَاتِلُونَهُمْ أَو يُسْلِمُونَ".

بالعودة للآية 29 من سورة التوبة التي ذكرنا نصّها هذه الآية تتعلق بأهل الكتاب، أي اليهود والنصارى، الذين يعيشون في البلدان الإسلامية، أي الذمّيين، الذين يجب أن يدفعوا الجزية للمسلمين إذا أرادوا العيش في بلدان المسلمين، وإلاّ فإنّ السيف ينتظرهم. والأمر لا يسقط فقط على بلاد المسلمين لأن أغلب أراضي المسلمين اليوم كانت بالأمس أراضي شعوب أخرى إحتلها المسلمون وخيروا أهلها بين الإسلام والجزية. يعني أحتل أرضك وأفتك بيتك وأخيرك بين أن تسلم أوتدفع لي المال أو أقتلك هذا منطق السماحة الإسلامية.

وماذا عن غير أهل الكتاب، أي الهندوس والبوذيين وغيرهم من الذين "لا يدينون دين الحق"، وما أكثرهم اليوم في دول الخليج ألا يحق للجهاديين أن يقوموا بواجبهم الديني تجاههم والذي فرضه الله عليهم طبقا للنص القرآني وهو حدّ السيف.

القرآن جعل المُسلم يكن العداء لكل مختلف:

حث القرآن على قتال الأقرباء من المخالفين فى العقيدة في أكثر من موضع:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ".[406]

---

[406] سورة التوبة الآية 23

"وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ" سورة الزخرف 26.هذه الآية تأسس لعقيدة الولاء و البراء و هذه العقيدة المستمدة من القرآن هي حجر الأساس في فكر كل التنظيمات الجهادية في العالم.

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا (أبغير محدودة المدة) حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ).[407]

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" سورة التغابن 14.

"لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوكَانُوا آبَاءهُمْ أَوأَبْنَاءهُمْ أَوإِخْوَانَهُمْ أَوعَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [408].

النص القرآني حث على قتل اليهود والنصارى:

أهل الكتاب الذين مدحهم القرآن في بعض المواضع ثم ذمهم في مواضع أخرى في تناقض غير منطقي حكمهم حكم الكفار والمشركين والحكم العام على هؤلاء كما ورد : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ" سورة التوبة 28 بل ويقول عنهم القرآن أنهم أحفاد القردة والخنازير: "فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ"سورة البقرة 65."وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ"سورة المائدة 60. " كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" سورة الأعراف 166.

ويحرض المُسلمين عليهم "وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُو الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ" سورة البقرة 120.

"وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ" سورة المائدة 18.

---

[407] سورة الممتحنة الآية 4

[408] سورة المجادلة الآية 22

بل ويحرض المُسلمين على عدم إتخاذ اليهود والنصارى أولياء فيقول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ".[409]

"وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" سورة المائدة 64.

"وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" سورة التوبة 30.

"وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ"سورة البقرة 193.

"وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" سورة الأنفال 39.

"فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"سورة.[410]

والأمر الصادم أن القرآن يحرض المُسلم على قتال الذين أوتوا الكتاب قائلاً في سورة التوبة 14"قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ" أي حتى يشفي الله غليل المسلمين في منطق سطحي ينم عن عقلية قبلية.

يقول في موضع أخر:

"وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ" سورة.[411]

القتال للمجهول:

---

[409] سورة المائدة الآية5

[410] سورة التوبة الآية5

[411] سورة البقرة الآية191

القتال هو سيمة النص القرآني فلا تكاد تخلوا سورة فيه من حث أو إشارة للقتال دون سبب أو تمهيد وربما هذا ما عمق إيمان المسلمين بنظرية المؤامرة فالعدوا يأتي بصفة المجهول أحيانا في القرآن مع ضرورة قتاله والحذر منه.

"وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوفَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" سورة المنافقون 4.

"هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" آل عمران 3.

"وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا" سورة النساء 101.

"قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ" سورة الأعراف 129.

"كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوكُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوخَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوشَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوكَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)"[412].

" مَا كَأن لاهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُو نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ " سورة التوبة 120.

"وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوبِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا" سورة الكهف 50.

---

[412] سورة البقرة 216- 21760

"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا" سورة الفرقان 31.

"وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَاللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ"[413]

هوس النص القرآن بالتحارب والإقتتال يجعلنا نطرح العديد من الأسئلة حول صدق مصادر بعض النصوص التي تتناقض و مقاصد الدين الإسلامي .

ولشدة ما ذكر القتال في القرآن بلغ الأمر بكاتبه أن القرآن قد جعل المسلم يعادي حتى نفسه وأمره بقتالها:

"فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوالتَّوَّابُ الرَّحِيمُ" سورة البقرة 54.

ولوأخذنا هذه الآية من كونها تحث على مقاومة الشهوة وتجنب المعاصي والإبتعاد عن الوقوع في المحرمات فهل يعقل أن ترد بلفظ "اقتلوا أنفسكم ذلكم خير" ألم يجب صاحب الكتاب المعجزة ألفاظ أرقى تعبر عما أراد قوله؟

إن استمرار بقاء القرآن والشريعة الإسلامية بوضعها الحالي يعني بأن كل فرد مسلم هو منظمة داعش أو منظمة قاعدة صغيرة قابلة للتضخم إلى حد الإنفجار، في أي وقت قد يقوم تنظيم أو عصابة بالدعوة لتحكيم شرع الله والحكم بالقرآن ويتخذ من الجهاد والعنف طريق لفرض موقفه كما يأمره القرآن وتحدثه كتب السيرة.

الحاجة باتت ملحة لمراجعة النصوص المقدسة.

نحن بانتظار إعادة تشكيل النص القرآني، قرآن يلغي تماما محاسبة الآخرين وإرهابهم بسبب انتماءهم ومعتقدهم الديني أو الجنسي سواءا أكان أولئك الآخرين هم مسلمين أو غير مسلمين أو كفار أو ملحدين أو لادينيين.

نحن بانتظار قرآن عصري يلغي عقوبة الجلد والضرب وقطع اليد وقطع الرأس، قرآن ينشر المحبة والسلام والمساواة بين البشر. السلطة السياسية هي صاحبة القرار في هذا السجال المستمر منذ قرون ولها القدرة على الفصل فيه.

---

[413] سورة الأنفال الآية60

الخاتمة

بعد أن تنتهي من قرأت هذا الكتاب والبحث والتدقيق في كل ما ورد فيه من أدلة ستدرك أن أقوال و أحاديث غير المسلمين ليست مجرد شبهات وإدعاءات ما هي إلا أحاديث المسلمين محفوظة عندهم منذ قرون ولا تزال، فقط هم لا ينظرون لها بعين الناقد.

إنني أدعو هنا إلى ضرورة أن نُسند لأنفسنا كنخب وبشجاعة مهمة إلغاء ما يُعد امتيازا قداسيا للإسلام، وذلك بإعادة قراءته وكتابته من جديد كتابة علمية وعقلانية خالصة وموضوعية، بأن نسلِكه في مجرى العلوم الإنسانية والتطبيقية الحديثة، وأن نضعه في مختبرات التاريخ، والجغرافيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفيزياء، والفلك، والأنثربولوجيا، والهرمنيوطيقا، والثيولوجيا، والباثولوجيا، والمثيولوجيا، والأركيولوجيا، والإبستمولوجيا... إلخ، ببساطة لأن الإسلام لم يعد شأن خاص بالمسلمين وحدهم اليوم. ولأن كثيرين جدا قد تأذّوا منه ومما جاء به من أحكام، وعلى رأسهم المسلمين أنفسهم عدا عن بقية الأديان والشعوب، حتى صارت الناس تفر منه أفواجا عوض أن تدخل فيه أفواجا.

الإسلام أضحى دين سيء السمعة.وإذا كان الإسلام بريئاً حقاً من سلوك أتباعه الموسوم اليوم بالتطرف والإرهاب والدموية والغلو في الرأي والفتاوى المضحكة والمتهافتة التي تستجد كل يوم.فهل الإسلام بريئاً حقاً من غبن المرأة واستعبادها وشيطنتها وحبسها في مفاهيم العار والعورة؟ هل هو حقاً غير متورط في إزدراء غير العربي؟ وفي النظر لغير المسلمين نظرة العداء إلى حد استباحة الدم والعرض والأرض؟

الإسلام متهم بتبخيس الفنون وكل أشكال التعبير عن الذوق والتطلعات وتحريمها والتنفير منها. الإسلام مسؤول عن هذا التدني في الإنتاج على صعيد التحديث الفكري والنظري والجرأة على النقد، هو ليس بريئ من قتل المجددين من الشعراء والروائيين والرسامين والكتاب والفنانين.الإسلام لا يقبل النقد إلى حد استباحة دماء النقاد والتفريق بينهم وبين أزواجهم. الإسلام عدو لدود لحقوق الإنسان بالمفهوم

الذي جاءت به المواثيق الدولية وحقوق الإنسان العالمية. الإسلام لا يحترم خصوصيات الآخرين ولا يكفل حرمتها، هو لا يتورع عن افتضاضها وهتكها في شكل من أشكال إقحام نفسه في شؤون الجميع لكفالة السيطرة على معتنقيه.

الإسلام فكرة تبلورت مع الأيام، ولم تتوانى هذه الفكرة على مر التاريخ، من أن تقمع وتقتل كل من يعارضها.

يدعي المسلمون دائماً أنهم أصحاب الحقيقة المطلقة وسدنة الحق وأهل الخير وأشرف الناس وأن كل مخالف لعقيدتهم وكتابهم وتوجهات الرسول المعصوم هو إما جاهل أو حاقد أولا يفهم المعنى الصحيح للآيات المحكمات كما يجب. وعند كل عمل إرهابي تجدهم يصرخون الإسلام برايئ دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التفكير في سبب وجود الإرهاب.

المسلمون لا ينفكون يجملون الإسلام، في حين أن التاريخ والقرآن والسيرة يعلموننا شيئًا أخر وهو أن الإسلام ومنذ بداياته وبحسب ما وردنا على لسان القرآن وكتابات أئمتهم وفقهائهم ومفسريهم ورواتهم، يخبرونا بأنه دين دموي النزعة وبلا منافس، والأبطال فيه مجرد قتلة وسفاحين وقد عرضنا سيرة أبرز القادة المسلمين ورأيتم مدى بشاعة تاريخهم، الإسلام كدين إستغله العرب ليحكموا العالم.

إن محاولات إستيلاء الإسلاميين على السلطة اليوم في بلدانهم وإقامة دولة إسلامية عالمية كالتي أقامها أتباع الرسول محمد، ليست جديدة ولا عفوية، إنها نتاج مخطط بعيد وطويل النفس ما إن ينقطع حتى يستأنف نفسه من جديد، إن لم يكن بالمحاججة فبالقتال و الجهاد، تُنفق لأجله الأموال وتُبذل دونه الأرواح، ويكفر بسببه المخالفون بل ويقتلون ويصفون إجتماعياً وإقتصادياً. هذه المحاولات التي ذهبت ضحياتها شعوب ودول في عصرنا الحديث هي استمرار لغزواة النبي وأصحابه وأتباعهم وستظل مستمرة مادامت كتب المسلمين كما هي ثابتة لا تتغير.

الإسلام السياسي بشقّيه معتدلين و متطرفين هو إستمرار للإسلام المورث الجامد وهو حصيلة عمل دؤوب لمفكرين إسلاميين قُدامى، أمثال أحمد بن حنبل و ابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب، ومتأخرين أمثال المودودي بالهند وسيد قطب وحسن البنا بمصر وصولا الى أبو بكر البغدادي.

يستهدف هذا الكتاب النفاذ إلى عمق الرسالة المحمدية وتفكيكها بأسلوب نقدي مبني على الأدلة الثابتة، ومحاولة الولوج إلى فكرها المتطرف، بقدر ما تتيحه معارفي الخاصة وحصيلة قراءتي المتواضعة للإسلام منذ بدايته..

البحث مازال مستمرا، إن من وجبنا النقد وجلد الذات، بالنقد والمراجعة تتقدم الأمم وتدور عجلة الحضارة أما الأمة الجامدة التي ترى في نفسها الكمال سوف يكون مصيرها كالجثث التآكل ثم الإندثار و الإنقراض.

البيبليوغرافيا

*القرآن بروآية حفص ين سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفيّ عن عاصم بن أبي النّجود الكوفيّ .

* أبو بكر محمد البلقاني،اعجاز القرآن، دار المعارف،مصر،2010

* أبو فرج ابن الجوزي، صيد الخاطر، دار الوطن للنشر،الرياض،2017

* أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، سنن أبو داود،دار التأصيل،2015

* أبو عبدالله القضاعي،مسند الشهاب، دار الكتب العلمية بيروت،2001

* أبو عوانة الأسفراييني ، مستخرج أبو عوانة ، دار المعرفة ، بيروت 1998

* أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،فتح الباري شرح صحيح البخاري، ، دار الكتب العلمية،بيروت،2011،الإصابة في تمييز الصحابة،دار الكتب العلمية،بيروت 1995

* أبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي النّيسابوري، أسباب النزول ،دار الكتب العلمية،بيروت،1991،المستدرك دار المنهج القويم ،دمشق، 20018

* ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، دار التاج،الرياض،1989

* اين أبي داود السجستاني،المصاحف، دار البشائر،دمشق،2019

* أحمد بن حنبل ،مسند أحمد ، دار الحديث،القاهرة 2003

* أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية،بيروت،2003

* أحمد بن عبد الوهاب النويري،نهآية الأرب في فنون الأدب،دار الكتب العلمية،بيروت،2004

* أحمد زاهد ، الغزو العربي لشمال إفريقيا، ،دار تاوالت،تونس،2015

* ابراهيم رضوان، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية بيروت،1979

* ابن الأثير،أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية،بيروت،2016

*ابن تيمية،دار ابن الحزم، الصارم المسلول، بيروت،2006، مناهج السنة النبوية،دار الكتب العلمية للنشر،بيروت،2009

* ابن تنباك مرزوق بن صنيتان، الوأد عند العرب بين الوهم و الحقيقة، مؤسسة الرسالة، 2004

* ابن الرقيق القيراواني ، تاريخ إفريقية و المغرب، دار الفرجاني للنشر و التوزيع،ليبيا،1994

*ابن سعد، الطبقات الكبرى ، مكتبة الخانجي،2006

*ابن عطية الأندلسي ، تفسير ابن عطية،دار الكتب العلمية،بيروت، 2008

*ابن عساكر، تاريخ ابن عساكر "تاريخ مدينة دمشق – حماها الله – وذكر فضلها ، وتسمية من حلّها من الأماثل ، أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها"،دار الفكر،دمشق،2015

* ابن عبد الحكم، تاريخ مصر و أخبارها ، مؤسسة دار التعاون للطبع و النشر،القاهرة،1974

*ابن القيم الجوزية ،الفوائد السماوية،دار الكتب العلمية،بيروت، 1973

* ابن جرير الطبري،تاريخ الطبري تاريخ الأمم و الملوك، دار الكتب العلمية،بيروت،1987

* ابن خلدون ، العبر، دار الكتب العلمية،بيروت،2016

* ابن كثير ، البدآية و النهآية ،دار ابن كثر،بيروت،2018

* ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، دار الكتب العلمية،بيروت،2012

* إبن هشام ،السيرة النبوية، دار المعرفة،بيروت،2004

* ابن قدامة المقدسي،المغني من مستودعات الفقه الحنبلي، دار عالم الكتب،الرياض،2014

*، ابن قتيبة الدينوري، الإمامة و السياسة، دار الكتب العلمية للنشر،بيروت،2016

* آدونيس ،النص القرآني و آفاق الكتابة، دار الآداب،1993

*البخاري، صحيح البخاري، دار اين كثير، دمشق بيروت 2002

* البيهقي،دلائل النبوة، دار الريان للتراث،الشارقة،1988

* بدر الدين العيني، عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية،بيروت،2001

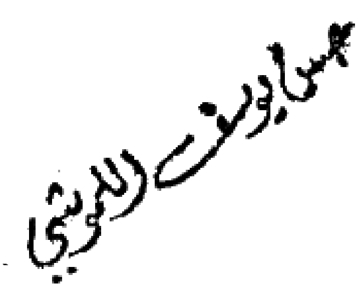
*الترمذي، صحيح الترمذي أو جامع الترمذي، دار الكتب العربي،بيروت،2005

* تركي بن الحسن الدهماني، مختارات من علوم القرآن، أمواج للنشر و التوزيع،الأردن،2012

* جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في تفسير بالمأثور ، دار الفكر،بيروت،2010
* جلال كشك ،خواطر مسلم في المسألة الجنسية ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع،مصر 1992
* جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، هيئة قضور الثقافة ،القاهرة،2010
* الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، الإستعاب في معرفة الأصحاب ، دار الأعلام، نابلس،2003
* حسن العدوي الحمزاوي، النور الساري من فيش صحيح الأمام البخاري، دار الكتب العلمية ،بيروت،2014
* حسين كمال الدين، المرشد في اتجاهات القبلة و المواقيت للصلاة، جامعة الإمام محمد بن سعود،الرياض،1982
* حسين مؤنس ،فتح العرب، دار الفكر العربي،بيروت،1998
* حسين هيكل ،حياة محمد ، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،2020
*ا الزبير بن بكار، لأخبار الموفقيات، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع،الرياض،2008
*االزحلي،التفسير المنير ، دار الفكر، دمشق، 2005
* سامي الذيب أبو ساحلية، القرآن بالتسلسل التاريخي، مركز القانون العربي و الإسلامين،باريس،2016
* سعد زغلول عبد الحميد، المغرب الإسلامي (في جزآين)، مكتب الشعب،مصر،1960
*سليمان ابن أحمد الطبراني،المعجم الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،دار الحديث،القاهرة،2010
* سيف بن عمر التميمي، الردة و الفتوح من طريق الطبري، دار أمية للنشر و التوزيع،دمشق،1997
* شاكر فضل الله النعماني، إعجاز القرآن بين الحقيقة و البهتان، منشور عبر الإنترنت
* شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، الدار العالمية للنشر و التجليد،القاهرة،2019
* الشوكاني، فتح القدير ، دار الفكر، دمشق، 1992
* الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي، الأربعين النووية، دار السلام،دمشق،2007

* الفضل بن الحسين الطبرسي،مجمعَ البيان في تفسير القرآن ، دار المرتضى،بيروت،2006
*الألباني ،صحيح الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع ،1997
*محمد ابن عمر الواقدي، لمغازي،محمد ابن عمر الواقدي، دار الكتب العلمية، بيروت،2004
* محمد إبن اسحاق المطلبي،المغازب، دار الفكر،دمشق،1978
* محمد ابن اسماعيل الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف، المكتبة العصرية،بيروت،2003
* محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحواذي، دار الفكر،دمشق،2016
* محمد بن عبد الباقي الزرقاني، مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المكتب الإسلامي،بيروت،1989
* محمد الطاهر بن عاشور، موجز البلاغة، المطبعة التونسية،1932
*محمد جواد مغنية، فضائل الإمام علي ،دار التيار الجديد للطباعة و النشر،بيروت،2008
* محمد متولي الشعراوي،المرأة في القرآن الكريم، دار الأمل،القاهرة،2018
* محمد مقصدي، تأملات في جمع القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت،2006
* محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، دار الكتب العلمية،بيروت،2004
* محمود شاكر الحارستاني،التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي،دمشق،2000
* محمود العقاد، عبقرية محمد،دار نهضة مصر،القاهرة،2013
* مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي،القاهرة،1973
*الإمام مسلم ،صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2003
* المقريزي ،امتاع الأسماع ، دار الكتب العلمية،بيروت، 1999
* عبد السلام بن محسن آل عيسى، درسات نقدية في المرويات في شخصية عمر بن الخطاب و سيايته الإدارية، الجامعة الإسلامية،2002
* عبد الرحمن ابن عبد الحكم،فتوح افريقية و الأندلس، دار الكتاب البناني للطباعة و النشر،بيروت،1987
*عبد العزيز بن عبد الله بن باز، فتاوى ابن باز مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، دار القاسم للنشر،الرياض،2008

* عائشة بن عبد الرحمان، القرآن و التفسير العصري، دار المعارف،1998
* علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي،كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع،بيروت،1998
* علي برهان الجبن الحلبي ،السيرة الحلبية ، دار المعرفة بيروت، 1980
* القاسم بن سلام أبو عبيد، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، دار ابن كثير،بيروت،1995 ن التأويل ،دار الكتب
*القاسمي، محاس العلمية،بيروت، 1999
*القرطبي،تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنةوأحكام الفرقان،دار الحديث،القاهرة،2010
*القسطلاني،ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ،دار الكتب العلمية، 1996
*الذهبي،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام، دار الكتاب العربي،بيروت،1987
* ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، دار الكتب العلمية،بيروت،2008
*النوري، شرح صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية، بيروت،2017
*هبة الله بن الحسن ابو القاسم(اللالكائي)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: من الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1988
*هتون أجواد الفاسي،المرأة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، دار آركيوبرس البريطانية،أوكسفورد،2007
* وجيه قانصو،النص الديني في الإسلام من التفسير الى التلقي، دار الفرابي، بيروت،2011
* يحي ابن شرف النووي،تهذيب الأسماء و اللغات، دار البشائر،2013



فهرس المواضيع

... ولا يبدو أن لدى المسلمين القدرة والشجاعة للقيام بهذه الخطوة في الوقت الراهن.

ورغم أن هناك قراءات جديدة للإسلام يقدمها بعض الفقهاء المجتهدين والمفكرين الإسلاميين المتنورين فهي لا تكفي لعلاج الهوة بين الإسلام والعصر. هذه القراءات ليست سوى اجترار لأفكار ماضوية غير منبثقة من الحاضر وتبذير للطاقات بل وتبعدنا عن أصل المشكل وهو النص المقدس المؤسس للإسلام من قرآن و سنة...

الثمن : 15 دت / 9 €
ر. د. م. ك : 978-9973-28-593-5
9 789973 285935